كتب نادرة

العدد المطبوع ٥٠٠

الإنصاف

فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

لإمام المتكلمين، سيف السلام، ولسان الحق

القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني

البصري المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية

عرف الكتاب، وقدمه للقراء، وكتب هوامشه

مولانا العلامة المحقق الكبير، بقية السلف الصالح

صاحب الفضيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقا

روجع على أصل مخطوط للنسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب

الملكية المصرية بالقاهرة

عني بنشره، وصححه، ووضع فهارسه

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

سنة ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

كتب نادرة

العدد المطبوع ٥٠٠

الأنصاف

فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

لإمام المتكلمين، سيف السلام، ولسان الحق

القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني

البصري المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية

عرف الكتاب، وقدمه للقراء، وكتب هوامشه

مولانا العلامة المحقق الكبير، بقية السلف الصالح

صاحب الفضيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الاسلامية في الخلافة العثمانية سابقا

روجع على أصل مخطوط للنسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب

الملكية المصرية بالقاهرة

عني بنشره، وصححه، ووضع فهارسه

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

سنة ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠

~~893.791~~
~~B229~~

BP
166
.B27

مجموعة ١١٧٠ ك
٢٥٢٥٢ د

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن كتاب الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به
ومؤلفه الإمام الباقلانى

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فبين أيدينا كتاب بالغ النفع يسمى « الإنصاف : فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به » ، ينسب إلى الإمام النظار المتكلم المغوار ، أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى - تغمده الله برضوانه - ؛ وقد انفردت « دار الكتب المصرية » بفخر اقتنائه من بين خزانات العالم - فيما نعلم - ، ولم يذكره القاضى عياض فى « ترتيب المدارك فى فقهاء مذهب مالك » مع ذكره لمعظم مؤلفات الباقلانى ، وهذا مما يزيد الاهتمام به . وقدألفه مؤلفه إجابة لالتماس فاضلة خيرة : ذِكْرَ مايجب على المكلفين اعتقاده ولايسعهم الجهل به ، فذكر المؤلف - رحمه الله - بادىء ذى بدء ، المبادىء التى تجب معرفتها مما لايتم النظر فى معرفة الله وصفاته إلابها ، ثم قسم العلم إلى قسمين : علم الله سبحانه ، وعلم الخلق ؛ ونص على أن الأول لاينقسم إلى ضرورى واستدلالى بخلاف الثانى فانه منقسم إليهما ، ثم أوضح هذين القسمين ، ثم ذكر أن الاستدلال هو نظر القلب المطلوب به علم ماغاب عن الحس والضرورة ، وأن الدليل هو مايمكن بصحيح النظر فيه الوصول إلى معرفة المطلوب ، ثم بيّن انحصار العلوم فى الموجود والمعدوم ، وانقسام الموجود إلى قديم ومحدث ، وانقسام المحدث إلى جسم وجوهر (فرد) وعرض ، وأوضح حدوث ماسوى الله تعالى من جسم وجوهر وعرض ، ثم ذكر أن للعالم محدثا أحدثه ، وبيّن صفات صانع العالم ، وسرد جملا من نعم الله

39505 JAN 6 1955 MB

على المكلفين مما يوجب شكر المنعم - جلت قدرته - ، وقال : إن الأدلة التى يدرك بها الحق خمسة : وهى الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، والقياس على ماثبت بها ، وحجج العقول . ثم ذكر أقسام الفرائض على المكلفين وقال : منها مايعم الجميع ، ومنها مايخص العلماء دون العامة ، ومنها مايخص الأمراء دون الرعية ، وأوضح أن أول مافرضه الله على الناس الإيمان بالله ، وشرح ماهو الإيمان ؟ ، ونص على تنزيه الله سبحانه من الجوارح والحوادث ، وسرد صفات الله سبحانه على معتقد أهل الحق ، وبيّن أنه تعالى مقدر الأرزاق والآجال . وأن إرادته تعم الأفعال ، ثم ذكر وجوب النظر فى الخلق من غير خوض فى ذات الخالق - جل جلاله - ، وبرهن على أن العالم حادث ، وأن محدثه هو الله جل شأنه ، وأفاض فى التدليل على ذلك ، وأوضح أن الخالق لايشبه المخلوقات بوجه من الوجوه ، وبسط القول فى صفات الله وأفعاله ، ونزهه - جل جلاله - عن الاختصاص بالجهات ، وذكر شمول إرادته سبحانه للحوادث كلها ، ونص على أن العبد كاسب غير مجبور ، وتحدث عن الاستطاعة ، ورؤية الله من غير تشبيه ، وذكر الحسن والقبح ، وعذاب القبر ، وما إلى ذلك مما ورد فى السمع ، كالشفاعة ، والجنة ، والنار ، ثم بسط القول فى الإيمان ، والايمان والإسلام ، وقول المؤمن أنا مؤمن حقا ، وأوضح ثبوت دعوى النبوة بالمعجزات ، وبيّن أن شرع نبينا ناسخ للشرائع كلها ، ونص على بقاء نبوات الأنبياء بعد وفاتهم رداً على افتراء الحشوية ، وذكر خلافة أبى بكر الصديق وخلافة باقى الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم اجمعين - ، وأوصى بالكف عما شجر بين الصحابة ، وذكر شروط الإمامة ، وسرد أصناف المبتدعة ، ثم أفاض فى بيان قدم كلام الله على مذهب الأشاعرة ، ونقض أدلة المعتزلة فى دعوى خلق القرآن وأوضح أن الآيات والآثار التى تمسكوا بها لاتدل على حدوث الكلام النفسى القائم بالله ، وأفاض فى ذلك إفاضة لاتوجد فى غير هذا الكتاب ، وشرح الفرق بين القراءة والمقروء - يريد بالمقروء ماقام بالله ، وبيّن أن كلامه سبحانه ليس بحرف ولاصوت وإنما هما دالان على القديم القائم بالله ، وسرد الآثار الدالة على أن الحروف

والأصوات من صفات قراءة القارىء لامن صفات كلام البارى سبحانه ، ثم عزز ذلك بالدليل العقلى ، وبيّن وجه سماعنا لكلامه جل جلاله ، وبرهن على أن الكلام الحقيقى هو الكلام النفسى ، ودلل على الكلام النفسى بتوسع لاتجده فى غير هذا الكتاب ، وسخف أحلام الحشوية فى الحروف والأصوات ، وعاب عليهم عدم انتباههم للإسناد المجازى فى الآثار الواردة فى الحرف والصوت ، وأوضح معنى الأحرف السبع ، وتوسع فى الكلام فى الصوت الوارد فى بعض الآثار ، واستقصى البحث فى ذلك وفى سرد الأدلة على أن الصوت مخلوق لايجوز ان يقوم بالله سبحانه عند أولى الألباب ، ثم تحدث عن عموم ارادة الله وأنه هو الخالق وحده ، وأفاض فى ذلك إفاضة لاتجدها فى غير هذا الكتاب ، ونص على ان العبد كاسب وليس بخالق لأفعاله كما ادعاه بعض أهل الزيغ ، ثم حكى عن ابن فورك ماجرى بينه وبين الصاحب ابن عباد قائلا : « وقد قيل عن الشيخ الإمام ابى بكر بن فورك رضى الله عنه ان الصاحب قطع سفرجلة وهما فى بستان وقال لابن فورك : الست انا قطعت هذه السفرجلة؟ فقال : إن كنت تزعم انك خلقت هذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت . فبهت » . وابن فورك زميل الباقلانى فى مجلس أبى الحسن الباهلى كما سيأتى فانظر إلى هذه النفوس الطيبة كيف يذكر بعضهم بعضا باجلال وتقدير وهكذا يكون المخلصون من العلماء وهما وإن كانا مترافقين فى عهد الطلب لكنهما كانا متباعدين بلاداً فى عهد نشرهما العلم ، ولذا ترى الباقلانى يقول فى حكايته عنه : (وقد قيل عن الشيخ الإمام .) فلايتوهمن متوهم خدش ذلك فى نسبة الكتاب إليه ، واوضح المؤلف مسألة الخلق والكسب ايضاحا شاملا ، ثم استوفى الكلام فى مسألة الشفاعة ، ثم افاض فى مسألة رؤية الله تعالى من غير تشبيه ولاتمثيل ، وبها ختم الكتاب .

وهذا الكتاب من أبدع مابرز للوجود من آثار المتقدمين من المتكلمين ، فى التفنن فى التدليل على مباحثه ، ولا غرو فان مؤلفه الباقلانى كان واسع الاطلاع ، قوى الذاكرة ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، نير البيان ، وله ذكاء متقد ، وحافظة

قوية ، ولسان لا يغالب فى المناظرات ، ومؤلفاته أصدق شاهد على ذلك ، وله مقدرة خارقة للعادة فى تصيد الحجج من ثنايا الكتاب والسنة والآثار ضد مخاصميه ، فيعجب اللبيب مما جمع الله له من المنح العظمى ، لكن عادته الرواية بالمعنى ، فلا تجده يراعى كثيراً لفظ الرواية مكتفيا بجوهر المعنى ، كما هو عادة أغلب النظار فى حجاجهم . ثم انه كثيراً ما تراه يذكر آثاراً فيها وهن على سبيل الاستئناس بها بدون أن يتخذها أدلة مباشرة ؛ وقد تكون تلك الآثار فى عداد مايتمسك بها الخصوم فيقلبها عليهم ، وأمامن ناحية النضج العقلى ، والمقدرة الفائقة فى الاحتجاج العقلى السليم فحدث عن البحر ولا حرج ، وإن كان لايخلو من بعض تهويل وتشغيب فى مغالبة الخصوم فيما يكاد أن يكون الخلاف فيه لفظيا ؛ ويتبين ذلك كله من مطالعة كتابه هذا ، فضلا عن مطالعة كتبه الأخرى ، وكان رحمه الله من أعاظم الأئمة فى علم التوحيد والصفات ، وقد ازداد مذهب الأشعرى وضوحا ببياناته النيرة فى كتبه الخالدة . وقد حجز الباقلانى المعتزلة حقا فى أقماع السمسم أيضاً ـ كما يقول ابن الصيرفى فى الأشعرى فى زمانه ـ وضيق عليهم جداً سبيل التخلص من قوامع حججه ، وضايقهم كل المضايقة بعد أن رفعوا رؤوسهم فى عهد آل بويه ، فهو جدلى عظيم لايصطلى بناره ، ولا منجاة لمناظره بدون استرشاده بمناره .

ولا يؤخذ بشىء سوى تعوده القسوة فى المزاح ؛ وقد قيل ان ابن المعلم كبير الإمامية كان جالسا فى مجلس ، ومعه أصحابه ، فرأى من بعد إقبال الباقلانى فقال لأصحابه هامساً : (قد جاءكم الشيطان) — يعنى البراعة فى الجدل — فلما جلس الباقلانى ـ وقد سمع هذه المهامسة ـ لم يتغاض عن ذلك ، بل قال فوراً لابن المعلم: قال الله تعالى : (ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) ـ فان كنتُ شيطانا فانتم كفار ، وقد أرسلتُ عليكم ، وهذا مزاح ظريف ، لكنه قاس من مثله .

وقال أيضاً فى أبى جعفر محمد بن أحمد السمنانى القاضى — أحد أصحابه فى علم الكلام : (انه مؤمن آل فرعون) ـ يعنى انه الأشعرى الوحيد بين الحنفية ـ غير محاذر أن يقلب ذلك عليه باعتبار انه حنفى وحيد بين أصحابه نفسه ، كما يروى مثل

ذلك عن الملك المعظم فى آل ايوب ، لكن هذا مزاح غير مستساغ صدوره من مثله ، على خطورة هذا النوع عن المزاح ، ولعل صنيع ابن حزم معه - من غير حق - جزاء معنوى لذلك ، بل له إلزامات فى المسائل الاجتهادية الفرعية ، يجرى فيها على ماتعود من العنف فى المسائل الاعتقادية - سامحة الله وايانا بمنه وكرمه .

وقد رغب الأستاذ البحاثه أبو أسامة السيد محمد عزة العطار الحسينى فى نشر هذا الكتاب ، وطلب إلىّ أن أتحدث عن كتاب (الإنصاف) هذا ، ومؤلفه الإمام الباقلانى فكتبت مايسره الله لى ، مع التعليق على بعض المواضع برمز (ز) ، نزولا عند رغبته فأشكره على قيامه بنشر هذا الكتاب الفاخر ، علاوة على مانشره من الكتب النافعة على التوالى ، وهو ثانى كتاب فى التوحيد للباقلانى منشور فى المدة الأخيرة وأولهما كتاب (التمهيد) له ، وقد طبع باهتمام الأستاذين البارعين السيد محمود الخضيرى والسيد محمد عبد الهادى (ابو ريدة) - حفظهما الله - المعروفين فى البيئات الجامعية والمحافل العلمية بكل فضل ونبل ، وقد عنيا بتحقيق الكتاب ، ودراسة احوال المؤلف وكتابه . عناية مشكورة ، وعرضا - بكل إجادة ثمرة بحوثهما الشاملة - لأعين الباحثين ، فأغنانا ذلك عن التوسع فى ترجمة المؤلف والمقارنة بين آرائه فى كتبه ، وآراء الآخرين من المتكلمين ، فأكتفى بالمامة يسيرة فى ترجمة الباقلانى ، أسوقها من تاريخ الاسلام الكبير للذهبى بحروفه وهى :

ترجمة المؤلف : شيوخه . تلامذته

(هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضى ابو بكر الباقلانى البصرى صاحب التصانيف فى علم الكلام ، سكن بغداد ، وكان فى فنه أوحد زمانه ، سمع أبا بكر القطيعى وابا محمد بن ماسى ، وخرج له ابو الفتح بن ابى الفوارس ، وكان ثقة ، عارفا بعلم الكلام ، صنف فى الرد على الرافضة ، والمعتزلة ، والخوارج ، والجهمية ، وذكره القاضى عياض فى طبقات الفقهاء المالكية فقال :

هو الملقب بسيف السنة ، ولسان الأمة ، المتكلم على لسان اهل الحديث ، وطريق ابى الحسن الاشعرى ، واليه انتهت رياسة المالكيين فى وقته ، وكان له بجامع المنصور (ببغداد) حلقة عظيمة .

روى عنه ابو ذر الهروى ، وابو جعفر محمد بن احمد السمنانى ، والحسين بن حاتم .

أقوال المؤرخون فيه وتاريخ وفاته

قال الخطيب : كان ورده كل ليلة عشرين ترويحة ، فى الحضر والسفر ، فاذا فرغ منها كتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه . سمعت ابا الفرج محمد بن عمران يقول ذلك ، وسمعت على بن محمد الحربى يقول : جميع ما كان يذكر ابو بكر ابن الباقلانى من الخلاف بين الناس ، صنفه من حفظه ، وما صنف أحد خلافا الا احتاج ان يطالع كتب المخالفين ، سوى ابن الباقلانى .

قلت : وقد أخذ ابن الباقلانى علم النظر عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائى صاحب الأشعرى ، وقد ذهب فى الرسلية إلى ملك الروم ، وجرت له أمور منها : أن الملك أدخله عليه من باب خوخة ليدخل راكعا للملك ففطن لها ، ودخل بظهره . ومنها : أنه قال لراهبهم كيف الأهل والأولاد ؟ فقال له الملك : أما علمت أن الراهب تنزهه عن هذا ؟ ! . فقال : تنزهونه عن هذا ولا تنزهون الله عن الصاحبة والولد . وقيل أن طاغية الروم سأل كيف جرت القصة لعائشة ؟ — وقصد توبيخه — فقال : كما جرى لمريم ، فبرأ الله المرأتين ، ولم تأت عائشة بولد ، فأفحمه ولم يحر جوابا .

قال الخطيب : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه ، سوى القاضى أبى بكر ، فان صدره يحوى علمه وعلم الناس

وقال أبو محمد البافى (بالباء والفاء) : لو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس ، لوجب أن يدفع إلى أبى بكر الأشعرى (الباقلانى)

وقال أبو حاتم القزوينى : ان ما كان يضمره الباقلانى من الورع والديانة ، والزهد ، والصيانة ، أضعاف ما كان يظهره ، فقيل له فى ذلك . فقال : انما أظهر ما أظهره غيظا لليهود ، والنصارى ، والمعتزلة ، والرافضة ، لئلا يستحقروا علماء الحق وأضمر ما أضمره فانى رأيت آدم على جلالته نودى عليه بذوقة . وداود بنظرة ، ويوسف بهمّة ونبينا بخطرة عليهم السلام ولبعضهم فى أبى بكر الباقلانى : —

انظر إلى جبل تمشى الرجال به وانظر إلى القبر مايحوى من الصلف
وانظر إلى صارم الإسلام مغتمداً وانظر إلى درة الإسلام فى الصدف

توفى فى ذى القعدة (يوم السبت) لسبع بقين منه (سنة ٤٠٣ هـ) وصلى عليه ابنه الحسن ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة (باب حرب ١ هـ) ببغداد تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه .

وللباقلانى عمل مشكور فى التدليل على المسائل ، بأوضح الدلائل ، وقد ابتكر فى المذهب بعض آراء نظرية ، عدها مبرهنة ويعدها غيره غير مبرهنة ، وهى لا تكون فى عداد مسائل المذهب ، بل تعزى اليه مباشرة ، كاستحالة بقاء العرض زمانين ، وقوله فى الحال . وقوله فى صفة البقاء ، وإثبات الجزء الفرد ؛ ومصادر تلك الآراء معروفة . وما يبنى على قواعد غير مبرهنة يبقى تحت النظر عند من لا يراها مبرهنة ، من غير أن يمس ذلك بمقامه السامى ، ولا مانع من أن يكون لكل ناظر بعض آراء غير مسلمة ، وبعض استدراكات على من سبقه ، ومن المعلوم أن الأشعرى كان تلقى علم الكلام من أبى على الجبائى المعتزلى ، ثم انتقل فى الثلث الأخير من عمره إلى معتقد أهل السنة ، فقام بالذب عنه خير قيام ، كما شرحت ذلك فى تقدمة « تبيين كذب المفترى » شرحا وافيا ؛ وقد ملأ العالم علما ، وتلاميذ . وأبو الحسن الباهلى ، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد الطائى (١) من أصحاب الأشعرى ، يقول فيهما عبد القاهر البغدادى : هما اثمرا تلامذة هم إلى اليوم شموس الزمان ، وائمة العصر ، كالبقلانى ، وابن فورك ، وابى إسحاق ابراهيم بن محمد الإسفرايني ؛ ثم ذكر أنه أدرك ابن مجاهد والباقلانى وابن فورك ، وابا إسحاق الاسفرايني ؛ فيكون عبد القاهر شارك الباقلانى فى الأخذ عن ابن مجاهد ، كما شارك الباقلانى ابن فورك ، والاسفرايني فى الأخذ عن

---

(١) وتوفى الاثنان سنة ٣٧٠ هـ كما يظهر من تاريخ الصلاح الكتبي وتاريخ اليافعى — راجع عيون التواريخ ومرآة الجنان (ز)

الباهلي . وإن كان للباقلاني مزيد اختصاص بابن مجاهد ، كما أن للاسفرايني وابن فورك اختصاصا خاصا بالباهلي . فهكذا تداخل السندان في الارتواء من نبع واحد . فلا يعول على ما لم يرد بطريقهما عن الأشعري ـ كمذهب للأشعري ـ لأنهما وارثا علومه في أواخر عهده ، وفيها كان نضج علمه . وأما « الابانة » التي كان قدمها إلى البربهاري في أوائل انتقاله إلى معتقد السنة ، فتحتوي على بعض آراء غير مبرهنة ، جارى فيها النقلة ليتدرج بهم إلى الحق ، لكنه لم ينفع ذلك ـ على تلاعب الأقلام فيها ـ فاستقر رأيه ـ بعد عهدي الإفراط والتفريط ـ على ما نقله هؤلاء عنه من الآراء المعتدلة على خلاف مزاعم ابن كثير . وعن أبي اسحاق الاسفرايني أخذ أبو القاسم عبد الجبار ابن علي الأسفرايني . وعنه أخذ امام الحرمين ، وعن امام الحرمين أخذ الغزالي ومنه انتشر المذهب الأشعري انتشاراً كبيراً . وكان أبو المظفر الأسفرايني أخذ الكلام عن حميه عبد القاهر ، وكان امام الحرمين كثير الاستفادة من كتب الباقلاني وأبي اسحاق وابن فورك ، وعبد القاهر ، كما يظهر من كتبه . وكان امام الحرمين مدينا لهؤلاء فيما حاز من المقدرة الفائقة في علم الكلام .

وهؤلاء هم حملة مذهب الأشعري من المتقدمين . وإن كان لكل منهم رأي خاص في بعض المسائل ، ولا تجد في كلام هؤلاء مجاراة للحشوية بكلام موهم ، بل هم صرحاء في التنزيه البات ، ولا تجد في كلامهم أيضاً نفي تأثير قدرة العبد ، أو عد العبد مجبوراً ، أو كون صفات الله ممكنات في ذاتها ، واجبات بالغير ، ونحو ذلك مما تجده في كلام الفخر الرازي ومن تابعه من المتأخرين . فلا يصح عد أمثال تلك الآراء من مذهب الأشعري ، بل يجب عزو تلك الآراء إلى مرتئيها فحسب ، والنظار المنسوبون إلى مذهب اعتقادي لا يلزم أن يتواردوا على رأي واحد في كل بحث ، بل قد ينفرد بعضهم ببعض آراء غير منقولة في المذهب ، ولا سيما في مذهب الأشعري الذي لا يصحح إيمان المقلد ، وكون هذا المنفرد مصيبا أو مخطئا بحث آخر . وهذا ما وجب لفت النظر إليه في هذا المقام ، لأنه يوجد من يَعدُّ قولَ الفرع كقول للأصل ، وهذا مما لا يستساغ .

ومن طرائف الأنباء المروية عن الباقلانى أنه كان كثير التطويل فى المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة ؛ وجرى يوما بينه وبين ابى سعيد الهارونى مناظرة ، فأكثر الباقلانى فيها الكلام ووسع العبارة ، وزاد فى الإسهاب ؛ ثم التفت إلى الحاضرين وقال : اشهدوا علىّ أنه إن أعاد ماقلت لاغير لم أطالبه بالجواب ، فقال الهارونى : اشهدوا علىّ أنه إن أعاد كلام نفسه ، سلمت له ماقال كما نقله ابن خلكان واليافعى .

وفى هذا القدر كفاية فيما نحن فيه ، فأدعوالله عزوجل أن يكافئ الأستاذ الناشر على هذا العمل النافع ، وأن يوفقه وإيانا لكل مافيه رضاه ، وهو المجيب لمن دعاه

فى ١٧ شعبان المعظم سنة ١٣٦٩ هـ

محمد زاهد الكوثرى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضى الامام السعيد ، سيف السنة ، ولسان الأمة أبو بكر محمد بن الطيب ابن محمد رضى الله عنه .

الحمد لله ذى القدرة والجلال ، والعظمة والكمال ، أحمده على سوابغ الإنعام وجزيل الثواب ، وأرغب إليه فى الصلاة على نبيه محمـــد المختار وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار والتابعين لهم بإحسان [الى يوم القرار] .

أما بعد : فقد وقفت على ما التمسته الحرة الفاضلة الديّنة أحسن الله توفيقها لما تتوخاه من طلب الحق و نصرته ، وتنكب الباطل وتجنبه. واعتماد القربة باعتقاد المفروض فى أحكام الدين ، واتباع السلف الصالح من المؤمنين من ذكر جمل مايجب على المكلفين اعتقاده ولا يسع الجهل به ، وما إذا تدين به المرء صار إلى إلتزام الحق المفروض ، والسلامة من البدع والباطل المرفوض . وانى بحول الله تعالى وعونه ، ومشيئته وطوله أذكر لها جملا مختصرة تأتى على البغية من ذلك ، ويستغنى بالوقوف عليها عن الطلب واشتغال الهمة بماسواه فنقول وبالله التوفيق : أن الواجب على المكلف

١ — أن يعرف بدء الأوائل والمقدمات التى لا يتم له النظر فى معرفة الله عزوجل وحقيقة توحيده ، وماهو عليه من صفاته التى بان بها عن خلقه ، ومالأجل حصوله عليها استحق أن يعبد بالطاعة دون عباده . فأول ذلك القول فى العلم وأحكامه ومراتبه وأن حده انه معرفة المعلوم على ماهو به فكل علم معرفة وكل معرفة علم .

(تنبيه) : الكلمات الموجودة بين أقواس مربعة هى من تصحيح استاذنا ومولانا ، الكوثرى

٢ — وأن يعلم أن العلوم تنقسم قسمين . قسم منهما : علم الله سبحانه وهو صفته لذاته وليس بعلم ضرورة ولا استدلال قال الله تعالى : (أنزله بعلمه ٤ — ١٦٥) وقال : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ٣٥ — ١١) وقال : (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ١١ — ١٤) فأثبت العلم لنفسه ، ونص على أنه صفة له فى نص كتابه .

والقسم الآخر : علم الخلق . وهو ينقسم قسمين : فقسم منه علم اضطرار ، والآخر علم نظر واستدلال . فالضرورى ما لزم أنفس الخلق لزوما لا يمكنهم دفعه والشك فى معلومه نحو العلم بما أدركته الحواس الخمس وما ابتدى فى النفس من الضرورات .

والنظرى . منهما : ما احتيج فى حصوله إلى الفكر والرويّة وكان طريقه النظر والحجة . ومن حكمه جواز الرجوع عنه والشك فى متعلقه وجميع العلوم الضرورية تقع للخلق من ستة طرق . فمنها : درك الحواس الخمس وهى : حاسة الرؤية ، وحاسة السمع ، وحاسة الذوق ، وحاسة الشم ، وحاسة اللمس . وكل مدرك بحاسة من هذه الحواس من جسم ، ولون ، وكون ، وكلام ، وصوت ، ورائحة ، وطعم ، وحرارة وبرودة ، ولين ، وخشونة ، وصلابة ، ورخاوة فالعلم به يقع ضرورة . والطريق السادس هو العلم المبتدأ فى النفس لا عن درك ببعض الحواس وذلك نحو علم الإنسان بوجوده نفسه ومايحدث فيها وينطوى عليها من اللذة ، والألم ، والغم ، والفرح ، والقدرة ، والعجز ، والصحة ، والسقم . والعلم بأن الضدين لا يجتمعان ، وأن الأجسام لاتخلو من الاجتماع والافتراق وكل معلوم بأوائل العقول والعلم بأن الثمر لا يكون إلا من شجر ، أو نخل ، وأن اللبن لا يكون إلا من ضرع وكل ماهو مقتضى العادات وكل ماعدا هذه العلوم وهو علم استدلال لايحصل إلا عن استئناف الذكر والنظر وتفكر بالنظر والعقل فمن جملة هذه الضرورات العلم بالضرورات الواقعة بأوائل العقول ومقتضى العادات التى لا تشارك ذوى العقول فى علمها البهائم والأطفال والمنتقصون : نحو العلم الواقع بالبديهة ومتضمن كثير من العادات ونحو العلم بأن

الاثنين أكثر من الواحد وأن الضدين لايجتمعان وامثال ذلك من موجب العادات وبداهة العقول التى لايخص بعلمها العاقلون .

٣ — وأن يعلم أن الاستدلال هو نظر القلب المطلوب به علم ماغاب عن الضرورة والحس ، وان الدليل هو ما امكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة مالا يعلم باضطراره وهو على ثلاثة أضرب : عقلى له تعلق بمدلوله نحو دلالة الفعل على فاعله ومايجب كونه عليه من صفاته نحو حياته . وعلمه ، وقدرته ، وارادته . وسمعى شرعى دال من طريق النطق بعد المواضعة ومن جهة معنى مستخرج من النطق ، ولغوى دال من جهة المواطأة والمواضعة على معانى الكلام ودلالات الأسماء والصفات وسائر الألفاظ . وقد لحق بهذا الباب دلالات الكتابات والرموز ، والاشارات والعقود الدالة على مقادير الاعداد وكل مالا يدل إلا بالمواطأة والاتفاق . والدال هو ناصب الدليل . فالمدلول هو مانصب له الدليل . والمستدل الناظر فى الدليل ، واستدلاله نظره فى الدليل وطلبه به علم ماغاب عنه .

٤ — وإن يعلم أن المعلومات على ضربين معدوم وموجود لاثالث لهما ولا واسطة بينهما . فالمعدوم : هو المنتفى الذى ليس بشىء . قال الله عز وجل : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ١٩ - ٩) . وقال تعالى : (هل اتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ٧٦ - ١) . فاخبر ان المعدوم منتف ليس بشئ ، والموجود هو الشئ الكائن الثابت . وقولنا شئ إثبات ، وقولنا ليس بشئ نفى . قال الله تعالى : (قل أى شئ أكبر شهادة قل الله ٦ - ١٩) وهو سبحانه موجود غير معدوم .

وقول أهل اللغة علمت شيئاً ، ورأيت شيئاً ، وسمعت شيئاً إشارة إلى كائن موجود ، وقولهم : ليس بشئ وهو واقع على نفى المعدوم ، ولو كان المعدوم شيئاً كان القول ليس بشئ نفياً لا يقع ابداً إلا كذبا وذلك باطل بالاتفاق .

٥ — وان يعلم أن الموجودات كلها على قسمين . منها : قديم لم يزل وهو الله تعالى ، وصفات ذاته التى لم يزل موصوفاً بها ولا يزال كذلك . وقولهم : اقدم ، وقديم

موضوع للمبالغة فى الوصف بالتقدم . وكذلك أعلم وعليم ، واسمع وسميع .

والقسم الثانى: محدث ، لوجوده أول، ومعنى المحدث مالم يكن ثم كان مأخوذ ذلك من قولهم : حدث بفلان حادث . من مرض ، أو صداع ، وأحدث بدعة فى الدين ، وأحدث روشناً وأحدث فى العرصة بناء أى فعل ما لم يكن من قبل موجوداً .

٦ — وأن يعلم أن المحدثات كلها على ثلاثة أقسام : جسم ، وجوهر، وعرض . فالجسم فى اللغة هو المؤلف المركب يدل على ذلك قولهم : رجل جسيم ، وزيدا جسم من عمرو وهذا اللفظ من أبنية المبالغة وقد اتفقوا على أن معنى المبالغة فى الاسم مأخوذ من معنى الاسم . يبين ذلك أن قولهم : أضرب إذا أفاد كثرة الضرب كان قولهم : ضارب مفيداً للضرب ، وكذلك إذا كان قولهم : المؤلف المركب مفيد كثرة الاجتماع والتأليف وجب أن يكون قولهم جسم مفيداً كذلك .

والجوهر الذى له حيز . والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجد فيه غيره .

والعرض هو الذى يعرض فى الجوهر ولا يصح بقاؤه وقتين يدل على ذلك قولهم : عرض لفلان عارض من مرض ، وصداع ، إذا قرب زواله ولم يعتقد دوامه. ومنه قوله عز وجل : (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ٨ - ٦٧) وقوله : (هذا عارض ممطرنا ٤٦ - ٢٤) فكل شىء قرب عدمه وزواله موصوف بذلك وهذه صفة المعانى القائمة بالأجسام فوجب وصفها فى قضية العقل بأنها أعراض .

٧ — وأن يعلم أن العالم محدث وانه لا ينفك علويه وسفليه من أن يكون جسما مؤلفا ، أو جوهراً منفرداً ، أو عرضا محمولا وهو محدث بأسره . وطريق العلم بحدوث أجسامه وحدوث أعراضه . والدليل على ثبوت أعراضه تحرك الجسم بعد سكونه وتفرقه بعد اجتماعه ، وتغير حالاته ، وانتقال صفاته ، فلو كان متحركا لنفسه ، ومتغيراً لذاته لوجب تركه فى حال سكونه وتغيره واستحالته فى حال اعتداله ، وفى بطلان ذلك دليل على اثبات حركته ، وسكونه، وألوانه ، وأكوانه وغير ذلك من صفاته. لأنه إذا لم يكن كذلك لنفسه وجب أن يكون لمعنى ما تغير عن حاله واستحال عن وصفه .

والدليل على حدوث هذه الأعراض ماهي عليه من التنافى والتضاد فلو كانت قديمة كلها لكانت لم تزل موجودة ولاتزال كذلك ، ولوجب متى كانت الحركة فى الجسم أن يكون السكون فيه ، وذلك يوجب كونه متحركا فى حال سكونه ، وميتا فى حال حياته ، وفى بطلان ذلك دليل على طروق السكون بعد ان لم يكن وبطلان الحركة عندمجىء السكون والطارىء بعد عدمه ، والمعدوم بعد وجوده محدث باتفاق لأن القديم لايحدث ولا يعدم ، ولا يبطل .

والدليل على حدوث الأجسام : انها لم تسبق الحوادث ولم تخل منها لأننا باضطرار نعلم أن الجسم لاينفك من الألوان ومعانى الألوان من الاجتماع والافتراق وما لاينفك من المحدثات ولم تسبقه كان محدثا ، ولأنه إذا لم يسبقه كان موجوداً معه فى وقته أو بعده وأى ذلك وجد وجب القضاء على حدوثه وانه معدوم قبل وجوده .

٨ — وأن يعلم أن للعالم محدثاً أحدثه . والدليل على ذلك وجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر ، ولايجوز أن يكون ماتقدم منها وتأخر متقدماً ومتأخراً لنفسه ، لأنه ليس التقدم بصحة تقدمه أولى من التأخر بصحة تأخره فوجب أن يدل على فاعل فعله وصرفه فى الوجود على إرادته وجعله مقصوراً على مشيئته يقدم منها ماشاء ويؤخر ماشاء . قال الله تعالى : (فعال لما يريد ١١ - ١٠٧ و ٨٥ - ١٦) وقال : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ١٦ - ٤٠) ويدل على علمنا بتعلق الفعل بالفاعل فى كونه فعلا كتعلق الفاعل فى كونه فاعلا بالفعل فإن تعلق الكتابة ، والصناعة بالكاتب والصانع كتعلق الكاتب فى كونه كاتباً بالكتابة . فلو جاز وجود فعل لامن فاعل ، وكتابة لامن كاتب وصورة وبنية محدثة لامن مصور لجاز وجود كاتب لا كتابة له ، وصانع لاصنعة له فلما استحال ذلك وجب أن يكون اقتضاء الفعل للفاعل ودلالته عليه كاقتضاء الفاعل فى كونه فاعلا لوجود الفعل وحصوله منه ، ومن صفات هذا الصانع تعالى أنه : موجود ، قديم ، واحد ، احد ، حى ، عالم ، قادر ، مريد ، متكلم ، سميع

بصير باق[1] (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) وسيدل على ذلك فيما بعد إن شاء الله بعد البداية بفرائض المكلفين ، وشرائع المسلمين مما يقرب فهمه ولا ينبغى جهله ، ولا بد للمكلف من علمه والعمل [به] فإذا أتينا على هذه الجملة رجعنا إلى القول فى التوحيد واثبات أسماء الله تعالى وصفاته وذكر مايجوز عليه وما يستحيل فى صفته وماتوفيقى إلا بالله.

٩ — وأن يعلم أن أول نعم الله تعالى على خلقه الحى الدراك خلقه فيهم إدراك اللذات ، وسلامة الحواس ، ونيل ما ينتفعون به من الشهوات التى تميل إليها طباعهم ، وتصلح عليها أجسامهم، ولو أحياهم، وآلمهم ومنعهم إدراك اللذات لكانوا مستضرين بالآلام وبمثابة الأحياء المعذبين من أهل النار وهذه نعمة الله سبحانه على جميع الحيوان الحاس العاقل منهم والناقص ، والمؤمن والكافر .

١٠ — وأن يعلم أن أفضل وأعظم نعمة الله على خلقه الطائعين وعباده المؤمنين خلقه الايمان فى قلوبهم واجراؤه على ألسنتهم وتوفيقهم لفعله وتمكينهم بالتمسك به. وخلق الايمان والتوفيق له نعمة خص الله تعالى بها المؤمنين دون الكافرين ولذلك قال عز وجل : (فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ٢ - ٦٤) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ٤ - ٨٢) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ٢٤ - ٢١) وقال عز وجل : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ٣ - ١٠٣) وقال تعالى : (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ٤٩ - ١٧) فلو كانت هذه النعمة له على الكافرين لم يكن لتخصيصه بها المؤمنين وامتنانه على المؤمنين وجه إذ كان قد أنعم بها على المردة والكفرة الضالين .

---

(١) والبقاء ليس صفة حقيقية عند الباقلانى بل هو دوام الوجود (ز)

١١ — وأن يعلم أن طرق المبان عن الأدلة التى يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه : (١) كتاب الله عز وجل و (٢) سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و (٣) اجماع الأمة و (٤) ما استخرج من هذه النصوص وبنى عليها بطريق القياس والاجتهاد و (٥) حجج العقول. قال الله تعالى آمراً باتباع كتابه والرجوع إلى بيانه : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ٤٧ - ٢٤) . وقال عز وجل : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ٤ - ٨٢) . وقال تعالى : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ١٧ - ٩) . وقال سبحانه : (تبياناً لكل شىء ١٦ - ٨٩) و (ما فرطنا فى الكتاب من شىء ٦ - ٣٨) وقال عز وجل فى الامر باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٥٩ — ٧) وقال : (وما ينطق عن الهوى ٥ إن هو إلا وحى يوحى ٥٣ - ٣ و ٤) . وقال : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ٢٤ - ٦٣) وقال سبحانه فى وصف عدالة أمة نبيه صلى الله عليه وسلم والأمر باتباعها ، والتحذير من مخالفتها : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ٢ - ١٤٣) وقال : (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ٣-١١٠) وقال : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ٤ - ١١٥) وقال فى الأمر بالقياس والحكم بالنظائر والأمثال : (فاعتبروا يا أولى الأبصار ٥٩ - ٢) وقال : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ٤ - ٨٣) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لقاضيه معاذ بن جبل رضى الله عنه حين انفذه إلى اليمن لإقامة الحدود واستيفاء الحقوق : « بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله عز وجل . قال : فان لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم تجد ؟ قال: اجتهد رأيى واحكم. فقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسوله لما يرضى الله ورسوله» . فاقره على الحكم والاجتهاد وجعله أحد طرق الأحكام وقال عز وجل فى الأمر باتباع حجة العقل : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون ٥١-٢١) وقال: (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ٥٦-٥٩)

وقال : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ٣ - ١٩٠) وقال : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم ٥ قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ٣٦-٧٨-٧٩) . وقال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ٣٠و٢٧) فأمرنا بالاعتبار والاستبصار ورد الشيء إلى مثله أو الحكم له بحسب نظيره وهذا هو الحكم بالمعقول والتقاضى إلى أدلة العقول .

١٢ — وإن يعلم ان فرائض الدين وشرائع المسلمين ، وجميع فرائض المسلمين وسائر المكلفين على ثلاثة اقسام . فقسم منها : يلزم جميع الأعيان وكل من بلغ الحلم وهو : الايمان بالله عز وجل والتصديق له ، ولرسله ، وكتبه وما جاء من عنده والعبادات على كل مكلف بعينه من نحو الصلاة ، والصيام وما سنذكره ونفصله فيما بعد ان شاء الله . والقسم الثانى : واجب على العلماء دون العامة وهو القيام بالفتيا فى احكام الدين والاجتهاد ، والبحث عن طرق الأحكام ومعرفة الحلال والحرام وهذا فرض على الكفاية دون الأعيان فاذا قام به البعض سقط عن باقى الامة ، وكذلك القول فى حفظ جميع القرآن وما تنفذ به الأحكام من سنن الرسول عليه السلام وغسل الميت . ومواراته ، والصلاة عليه ، والجهاد ، ودفع العدو ، وحماية البيضة وما جرى مجرى ذلك مما هو فرض على الكفاية فاذا قام به البعض سقط عن باقى الأمة . والقسم الثالث : من الواجبات من فرائض السلطان دون سائر الرعية نحو اقامة الحدود ، واستيفاء الحقوق ، وقبض الصدقات ، وتولية الامراء ، والقضاة ، والسعاة ، والفصل بين المتخاصمين وهذا وما يتصل به من فرائض الامام وخلفائه على هذه الاعمال دون سائر الرعية والعوام ، وليس فى فرائض الدين ما يخرج عما وصفناه ويزيد على ما قلناه .

١٣ — وان يعلم أن أول مافرض الله عز وجل على جميع العباد النظر فى آياته والاعتبار بمقدوراته والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته لانه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهد بالحواس وانما يعلم وجوده وكونه على ماتقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة . والثانى : من فرائض الله عز وجل على جميع العباد الايمان به والاقرار بكتبه ورسله وما جاء من عنده والتصديق بجميع ذلك بالقلب والاقرار به باللسان .

١٤ — وأن يعلم أن الايمان بالله عز وجل هو التصديق بالقلب بانه الله الواحد الفرد، الصمد ، القديم ، الخالق ، العليم الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ٤٢-١١) . والدليل على ان الايمان هو الاقرار بالقلب والتصديق قوله عز وجل : (وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ١٢-١٧) يريد بمصدق لنا . ومنه قوله عز وجل :(ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ٤٠-١٢) أى تصدقوا . ويقال فلان يؤمن بالله وبالبعث أى يصدق بذلك . وكذلك قولهم : فلان يؤمن بالشفاعة والقدر ، وفلان لا يؤمن بذلك يعنى به التصديق ، وبنفى الايمان به التكذيب . وقد اتفق أهل اللغه قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الايمان فى اللغة هو التصديق دون سائر افعال الجوارح والقلوب .

والايمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه ، والوصف له بصفاته ، ونفى النقائص عنه الدالة على حدوث من جازت عليه ،

والتوحيد له هو الاقرار بأنه ثابت موجود ، وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شىء على ماقرر به قوله تعالى : (والهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم ٢ — ١٦٣) وقوله : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ٤٢ — ١١) وانه الأول قبل جميع المحدثات ، الباقى بعد فناء المخلوقات على ما أخبر به تعالى من قوله : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم — ٥٧ — ٣) والعالم الذى لايخفى عليه شىء ، والقادر على اختراع كل

مصنوع ، وابداع كل جنس مفعول على ما اخبر به فى قوله تعالى : (خالق كل شىء ٦ - ١٠٢ - و - ١٣ - ١٨) (وهو على كل شىء قدير ١١ - ٤) وانه الحى الذى لايموت ، والدائم الذى لايزول وانه إله كل مخلوق ، ومبدعه ، ومنشئه ، ومخترعه وانه لم يزل [مسميا] لنفسه [با]سمائه وواصفاً لها بصفاته قبل إيجاد خلقه ، وانه قديم باسمائه وصفات ذاته التى منها الحياة التى بها بان من الموت والأموات ، والقدرة التى ابدع بها الأجناس والذوات ، والعلم الذى أحكم به جميع المصنوعات واحاط بجميع المعلومات ، والارادة التى صرف بها أصناف المخلوقات . والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات ، والكلام الذى به فارق الخرس والسكوت وذوى الآفات ، والبقاء الذى به سبق المكونات ويبقى به بعد جميع الفانيات كما أخبر سبحانه فى قوله : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه ٧ - ١٨٠) وقوله تعالى : (انزله بعلمه ٤ - ١٦٥) (وماتحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه ٣٥ - ١١) وقوله : (أولم يروا أن الله الذى خلقهم اشد منهم قوة ٤١ - ١٥ -) وقوله : (ذو القوه المتين ٥١ - ٥٨) فنص تعالى على اثبات اسمائه وصفات ذاته ، وأخبر انه ذوالوجه الباقى بعد تقضى الماضيات كما قال عز وجل (كل شىء هالك إلا وجهه ٢٨ - ٨٨ -) وقال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٥٥ - ٢٧ -) واليدين اللتين نطق باثباتهما له القرآن فى قوله عز وجل : (بل يداه مبسوطتان ٥ - ٦٤ -) وقوله : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ٣٨ - ٧٥) وأنهما ليستا بجارحتين ولا ذوى صورة وهيئة ، والعينين[1] اللتين أفصح باثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام فقال عز وجل : (ولتصنع على عينى ٢٠ - ٣٩) و (تجرى باعيننا ٥٤ - ١٤) وأن

---

(١) وتثنيه العين لم ترد فى الكتاب ، وحديث الدجال ليس فيه إلا نفى النقص من الله سبحانه لا إثبات العينين له مع كونه خبر آحاد فيتعين الاقتصار على ماورد فى الكتاب وهو مافى الآيتين وإلا يكون فى الأمر فتح باب التشبيه (ز)

عينه ليست بحاسة من الحواس ، ولا تشبه الجوارح والأجناس وانه سبحانه لم يزل مريداً وشائياً ، ومحباً ، ومبغضا ، وراضياً ، وساخطا ، وموالياً ، ومعاديا ، ورحيما ورحمانا . ولأن جميع هذه الصفات راجعة إلى إرادته فى عباده ومشيئته لا إلى غضب بغيره ، ورضى يسكنه طبعاً له وحنق وغيظ يلحقه وحقد يجده إذ كان سبحانه متعالياً عن الميل والنفور ، وانه سبحانه راض فى أزله عمن علم انه بالإيمان يختم عمله ويوافى به . وغضبان على من علم أنه بالكفر يختم عمله ويكون عاقبة أمره وقد قال تعالى : (فعال لما يريد ١١ - ١٠٧ و ٨٥ - ١٦) و (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ٢ - ١٨٥) وقال : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ١٦ - ٤٠) وقال : (رضى الله عنهم ورضوا عنه ٩ - ١٠٠ و ٥٨ - ٢٢ و ٥٨ - ٨) (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله - ٧٦ - ٣٠) فى أمثال هذه الآيات الدالة على أنه شاء مريد وأن الله جل ثناؤه مستو عن العرش ، ومستول على جميع خلقه كما قال تعالى : (الرحمن على العرش استوى ٢٠ - ٥) بغير مماسة وكيفية ولا مجاورة وانه فى السماء إله وفى الأرض إله كما أخبر بذلك .

وانه سبحانه يتجلى لعباده المؤمنين فى المعاد فيرونه بالأبصار على ما نطق به القرآن فى قوله : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ٧٥ - ٢٢ و ٢٣) وتأكيده كذلك بقوله فى الكافرين : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - ٨٣ - ١٥) تخصيصاً منه برؤيته للمؤمنين والتفرقة فيما بينهم وبين الكافرين وعلى ما وردت به السنن الصحيحة فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أخبر به عن موسى عليه السلام فى قوله : (رب أرنى أنظر اليك ٧ - ١٤٣) ولولا علمه بجواز الرؤية بالأبصار لما أقدم على هذا السؤال .

١٥ — وأن يعلم مع كونه تعالى سميعاً بصيراً أنه مدرك لجميع المدركات التى يدركها الخلق من الطعوم ، والروائح ، واللين ، والخشونة ، والحرارة ، والبرودة بادراك معين وانه مع ذلك ليس بذى جوارح وحواس توجد بها هذه الإدراكات . فتعالى [الله] عن التصوير والجوارح ، والآلات .

١٦ — وأن يعلم أنه مع إدراك سائر الأجناس [من] المدركات وجميع الموجودات غير ملتذ ولا المبادراك شيء منها ولا مشقة [له منها] ولا نافر عنها ولا منتفع بادراكها [ولا متضرر] بها ، ولا يجانس شيئاً منها ولا يضادها وإن كان مخالفا لها .

١٧ — وأن يعلم أنه سبحانه ليس بمغاير لصفات ذاته وأنها في أنفسها غير متغايرات إذ كان حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقه أحدهما الآخر بالزمان ، والمكان ، والوجود والعدم . وأنه سبحانه يتعالى عن المفارقة لصفات ذاته وأن توجد الواحدة منها مع عدم الأخرى .

١٨ — وأن يعلم أن صفات ذاته [هي التي] لم تزل ولا يزال موصوفا بها وأن صفات أفعاله هي التي سبقها وكان تعالى موجوداً في الأزل قبلها . ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه ورحمته وكراهيته وغضبه وسخطه وولايته وعدواته [كلها] راجع إلى إرادته وأن الارادة صفة لذاته غير مخلوقة لا على ما يقوله القدرية ، وانه مريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه مما يتفرد سبحانه بالقدرة على ايجاده وما يجعله منه كسباً لعباده من خير ، وشر ، ونفع ، وضر ، وهدى ، وضلال ، وطاعة ، وعصيان لا يخرج حادث عن مشيئته . ولا يكون إلا بقضائه واردته .

١٩ — وان يعلم أن كلام الله تعالى صفة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفا به وأنه قائم به ومختص بذاته ولا يصح وجوده بغيره وان كان محفوظا بالقلوب ومتلواً بالألسن ومكتوباً في المصاحف ، ومقروءاً في المحاريب على الحقيقة لا على المجاز (١) وغير حال في شيء من ذلك وأنه لو حل في غيره لكان ذلك الغير متكلما به وآمراً وناهياً

---

(١) لأن القرآن يطلق على ما قام بالله من الألفاظ العلمية الغيبية — وهو غير مخلوق وغير حال في مخلوق — وعلى المكتوب بين الدفتين وعلى المحفوظ في القلوب من الألفاظ الذهنية ، وعلى الملفوظ بالألسن على سبيل الاشتراك اللفظي عنده والقرنية هي التي تعين المراد منها في كل موضع وماسوى الأول مخلوق وهذا البحث أنضج عند الآخرين من أئمة الأشاعرة ، والتحقيق ان وصف القرآن بما سوى الأول وصف للمدلول بصفة الدال كما في شرح المقاصد (ز) .

ومخبرا وقائلا: (انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ٢٠ - ١٥) وذلك خلاف دين المسلمين وان كلامه سبحانه لا يجوز أن يكون جسما من الأجسام ولا جوهراً، ولا عرضا، وانه لو كان كذلك لكان من جنس كلام البشر ومحدثا كهو يتعالى الله سبحانه أن يتكلم بكلام المخلوقين.

٢٠ — و[أن] يعلم أن كلامه مسموع بالآذان وان كان مخالفا لسائر اللغات وجميع الأصوات وأنه ليس من جنس المسموعات كما أنه [مرئى] بالأبصار وان كان مخالفاً لأجناس المرئيات، وكما انه موجود مخالف لسائر الحوادث الموجوادت وان سامع كلامه منه تعالى بغير واسطة ولا ترجمان كجبريل، وموسى، ومحمد عليهم السلام حق سمعه من ذاته غير مَتلو ولا مقروء ومن عداهم ممن يتولى الله خطابه بنفسه انما يسمع كلامه متلواً ومقروءاً وكذلك قال الله عز وجل: (وكلم الله موسى تكليما ٤ - ١٦٤) وقال: (منهم من كلم الله ٢ - ٢٥٣) وان قراءتنا القرآن كسب لنا نثاب عليه ونلام على تركها اذ وجبت علينا فى الصلوات. وأنه لا يجوز أن يحكى كلام الله عز وجل ولا أن يلفظ به [1] لأن حكاية الشيء مثله وما يقاربه وكلام الله تعالى لا مثل له من كلام البشر، ولا يجوز أن يلفظ به بتكلم الخلق لأن ذلك يوجب كون كلام الله تعالى قائما بذاتين قديم ومحدث وذلك خلاف الاجماع والمعقول. وان كلام الله تعالى غير متبعض ولا متغاير وان الصفة هى ما قامت بالشيء وان الوصف قول الواصف الدال على الصفة خلاف ما يذهب إليه القدرية.

وانه مقدر لأرزاق جميع الخلق، ومرقت لآجالهم، وخالق لأفعالهم، وقادر على مقدوراتهم وإله ورب لها. لا خالق غيره، ولا رازق سواه كما أخبر تعالى

---

(١) يعنى لايجوز أن يقال حكى كلام الله أو لفظ به فى صدد الإفادة عن قراءته وتلاوته، لأن الحكاية توهم المحاكاة وفيها شائبة المماثلة وهو سبحانه منزه عنها، وكذا اللفظ والتكلم بكلام الله لإيهام ذلك المشاركة، تعالى الله عن ذلك، على ان تلك العبارات مما لم يرد إذن من الشارع فى إطلاقها على كلام الله (ز)

فى قوله : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ٣٠ — ٤٠) وقال تعالى : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٧ - ٣٤) وقال : (هل من خالق غير الله ٣٥ - ٣) ، وقال : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ١٦ - ٢٠) وان بيده الخير ، والشر ، والنفع ، والضر وانه مقدر جميع الأفعال لا يكون حادث إلا بارادته ، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته ما شاء كان ومالم يشاء لم يكن .

وانه فعال لما يريد ، وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، لا هادى لمن أضله ولا مضل لمن هداه كما قال : (من يهدى الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلا هادى له ٧ - ٧٨ و ١٨٦) .

وانه موفق أهل محبته وولايته لطاعته ، وخاذل لأهل معصيته فدل ذلك كله [على] تدبيره وحكمته وانه عادل [فى] خلقه بجميع مايبتليهم به ويقضيه عليهم من خير ، وشر ، ونفع ، وضر ، وغنى ، وفقر ، ولذة ، وألم ، وصحة ، وسقم ، وهداية ، وضلال : (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ٢١ - ٢٣) (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ٦ - ١٤٩) .

وانه سبحانه يعيد العباد ، ويحيي الأموات ، وأنه يقصد يوم القيامة لفصل القضاء ، ويجيء الملائكة صفاً صفاً ، و[يمد] الصراط ، ويزن الأعمال ، وانه سبحانه قد خلق الجنة والنار ومالا يأتى الواجب إلا بفعله صار واجبا كالطهارة مع الصلاة والقراءة فى الصلاة ، وامساك جزء من الليل فى الصيام ، وادخال جزء من الرأس فى غسل الوجه إلى غير ذلك مما لا يمكن تحصيل الواجب إلا به صار واجبا .

مسألة : وإذا صح وجوب النظر فالواجب على المكلف النظر والتفكر فى مخلوقات الله لا فى ذات الله والدليل عليه قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق

السموات والأرض ٣ - ١٩١) ولم يقل فى الخالق ، وأيضاً قوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ٨٨ - ١٧) فالنظر ، والتفكر ، والتكييف يكون فى المخلوقات لا فى الخالق ، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله(١) » . وأيضاً قوله عليه السلام : « مثل الناظر فى [قدر(٢)] الله كالناظر فى عين الشمس فمهما أراد نظراً ازداد حيرة » . وأيضا فان موسى عليه السلام لما سأله اللعين فرعون عن ذات الله أجابه بان مصنوعاته تدل على انه إله ورب قادر لا إله سواه إذا نظر فيها وتأمل ولم يحدد له الذات فلا يكيفها لأنه لما قال له : (وما رب العالمين ٢٦ - ٢٣) قال : (رب السموات والأرض وما بينهما ٢٦ - ٢٤) إلى أن كرر عليه السؤال وأجابه بمثل الأول الى آخر الآيات (٢٦ - ٢٥ و ٢٨) كلها فمهما سأله عن الذات اجابه بالنظر فى المصنوعات التى تدل على معرفته .

وقيل سئل بعض اهل التحقيق عن الله عز وجل ما هو ؟ فقال : اله واحد . فقيل له كيف هو ؟ فقال : ملك قادر ، فقيل له اين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل ليس عن هذا أسألك ؟ فقال : الذى أجبتك به هو صفة الحق فأما غيره فصفة الخلق . واراد بذلك ان يسأله عن التكييف ، والتحديد ، والتمثيل وذلك صفة المخلوق لا صفة الخالق ، ولأن المتفكر اذا تفكر فى خلق السموات والأرض وخلق نفسه وعجائب صنع ربه اداه ذلك الى صريح التوحيد لأنه يعلم بذلك أنه لابد لهذه المصنوعات من صانع ، قادر ، عليم ، حكيم (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ٤٢ — ١١)

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية واللالكائى فى شرح السنة بألفاظ متقاربة فى المعنى (ز)

(٢) هكذا فى الأثر ولم نجده مرفوعا فإذا كان النظر فى قدر الله موجباً للحيرة فبالحرى كون النظر فى الله موجباً للحيرة ممنوعا (ز)

مسألة : ويجب أن يعلم أن العالم محدث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى والدليل على حدوثه تغيره من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثا وقد بين نبينا صلى الله عليه وسلم هذا باحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة لما قالوا له يارسول الله : اخبرنا عن بدء هذا الأمر ؟ فقال : « نعم . كان الله تعالى ولم يكن شيء ، ثم خلق الله الأشياء » فاثبت أن كل موجود سواه محدث مخلوق . وكذلك الخليل عليه السلام انما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة لأنه لما رأى الكوكب قال هذا ربي إلى آخر الآيات (٦ - ٧٦ - ٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وتنقلت من حال إلى حال دلت [على انها] محدثة مفطورة مخلوقة وان لها خالقاً فقال عند ذلك (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ٦ - ٧٩) .

مسألة : وإذا صح حدوث العالم فلابد له من محدث أحدثه ومصور صوره والدليل على ذلك أن الكتابة لابد لها من كاتب كتبها ، والصورة لابد لها من مصور صورها ، والبناء لابد له من بان بناه فلانا لانشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لامن كاتب . وصناعة لامن صانع ، وحياكة لامن ناسج . وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها ، ومحدث أحدثها إذ كانت ألطف وأعجب صنعاً من سائرما يتعذر وجوده إلا من صانع .

دليل ثان : ويدل على ذلك أيضاً علمنا بتقدم الحوادث بعضها على بعض وتأخر بعضها عن بعض مع علمنا بتجانسها وتشاكلها فلا يجوز أن يكون المتقدم منها متقدماً لنفسه لأنه لو تقدم لنفسه لوجب تقديم كل ماهو من جنسه ، معه وكذلك المتأخر منها لو تأخر لنفسه وجنسه لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر ، وفي علمنا بان المتقدم من المتماثلات بالتقدم أولى منه بالتاخر دليل على أن له مقدما قدمه ، وعاجلا عجله في الوجود مقصوراً على مشيئته

ويدل على صحة ذلك أيضاً علمنا بان الصور الموجودة منها ما هو مربع ومنها ماهو

مدور ، ومنها شخص أطول من شخص وآخر اعرض من آخر مع تجانسها ولايجوز ان يكون المربع منها ربع نفسه ، ولا المطول منها طول نفسه . ولا القبيح منها قبح نفسه ، ولا الحسن منها حسن نفسه فلم يبق إلا أن لها مصوراً صورها طويلة . وقصيرة ، وقبيحة ، وحسنة على حسب إرادته ومشيئته .

ويدل على صحة ماذكرناه أن الموجودات لايجوز أن تكون فاعلة لنفسها انا وجدنا منها الموات والأعراض أعنى الجمادات التى لاحياة فيها لايجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا لغيرها لأن من شرط الفاعل أن يكون حياً ، قادراً . فبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها .

ويدل على صحة ذلك أيضاً انا وجدنا أنفس الموجودات فى العالم الحى القادر العاقل المحصل وهو الآدمى ثم اكمل ما تكون . تعلم وتحقق أنه كان فى ابتداء امره نطفة ميتة لاحياة فيها ولاقدرة ثم نقل إلى العلقة ثم إلى المضغة ، ثم من حال إلى حال ثم بعد خروجه حيا من الاحشاء إلى الدنيا . تعلم وتحقق أنه كان فى تلك الحالة جاهلا بنفسه وتكييفه ، وتركيبه ، ثم بعد كمال عقله وتصوره وحذقه وفهمه لايقدر فى حال كماله أن يحدث فى بدنه شعرة ولاشيئاً ، ولاعرقاً فكيف يكون محدثاً لنفسه ومنقلا[1] لها فى حال نقصه من صورة إلى صورة ومن حالة [إلى حالة] . وإذا بطل ذلك منه فى حال كماله كان أولى أن يبطل ذلك منه فى حال نقصه ولم يبق إلا أن له محدثا أحدثه ومصوراً صوره ومُنقِّلا نقله وهو الله سبحانه وتعالى .

مسألة : وإذا ثبت ان للعالم صانعاً صنعه ، ومحدثاً أحدثه فيجب ان يعلم أنه لايجوز أن يكون مشبهاً للعالم المصنوع المحدث لأنه لو جاز ذلك لم يخل اما ان يشبهه فى الجنس أو فى صورة ولا يجوز أن يكون مشبهاً له فى الجنس لأنه لو أشبهه فى الجنس لجاز أن يكون محدثاً كالعالم المحدث أو يكون العالم قديماً كهو . لأن حقيقة

---

(١) هكذا فى الأصل وهو بصيغة اسم الفاعل من التفعيل أى ناقلا لها ومصلحا من حال إلى حال (ز)

المشتبهين المتجانسين ماسد أحدهما مسد الآخر وناب منابه ، وجاز عليه مايجوز عليه ولا يجوز أن يكون يشبه العالم فى الصورة لأن حقيقة الصورة هى الجسم المؤلف والتأليف لا يكون إلا من شيئين فصاعدا ، ولأنه لو كان صورة لاحتاج إلى مصور صوره لأن الصورة لاتكون إلا من مصور على ما قدمنا بيانه وقد بين ذلك تعالى بأحسن بيان فقال تعالى : (أفمن يخلق كمن لايخلق ١٦ - ١٧) وقد سئل بعض أهل التحقيق عن التوحيد ما هو؟ فقال : هو ان تعلم أنه باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم .

وقال الجنيد رضى الله عنه : التوحيد افراز القدم عن الحدوث فأحكمو أصول العقائد بواضح الدليل ولايح الشواهد .

وقال أبو محمد الحريرى رضى الله عنه : من لم يقف على علم التوحيد يشاهده من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة التلف .

وقال الجنيد : أول مايحتاج إليه المكلف من عقد الحكمة أن يعرف الصانع من المصنوع فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث.

وسئل أبو بكر الزاهد رضى الله عنه عن المعرفة ماهى ؟ فقال: المعرفة اسم ومعناه: وجود تعظيم فى القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه .

وقيل لأبى الحسن البوشنجى ما التوحيد فقال : ان تعلم انه غير مشبه بالذوات ولا بنفى الصفات .

مسألة : وإذا ثبت ان صانع الموجودات ومحدثها لايجوز أن يكون يشبهها فيجب ان تعلم ان محدث العالم قديم ، ازلى لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه . والدليل على صحة ذلك انه لو لم يكن قديماً كما ذكرنا لكان محدثاً ، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث أحدثه لأن غيره من الحوادث إنما احتاجت إلى محدث لأنها محدثة . ولو كان ذلك كذلك لاحتاج كل محدث إلى محدث آخر إلى مالا نهاية له ولا غاية ولما بطل ذلك صح كونه قديماً أزلياً . وبمثل هذا الدليل يستدل على بطلان قول من زعم من أهل

الدهر أن الحوادث لا أول لوجودها فافهمه ترشد ان شاء الله تعالى .

مسألة : ويجب أن يعلم ان صانع العالم جلت قدرته واحد أحد ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه ولا من يستحق العبادة إلا إياه ولا نريد بذلك أنه واحد من [جهة العدد] ، وكذلك قولنا أحد ، وفرد وجود ذلك إنما نريد به أنه لا شبيه له ولا نظير ، ونريد بذلك أن ليس معه من يستحق الالهية سواه ، وقد قال تعالى : (إنما الله إله واحد ٤ - ١٧١) ومعناه لا إله إلا الله .

والدليل على أن صانع العالم على ما قررناه قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ٢١ - ٢٢) والدليل المعقول مستنبط من هذا النص المنقول فانا نرى الأمور تجرى على نمط واحد فى السموات والأرض ومافيهما من شمس وقمر وغير ذلك . ولو كانا اثنين أو أكثر فلا بد أن يجرى خلاف أو تغير من أحدهما على الآخر وقد بينه سبحانه وتعالى فقال : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ١٧ - ٤٢) سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا .

وأيضاً فلو جاز أن يكونا اثنين أو أكثر فيريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده فلا يخلو أن يتم مرادهما أو يتم مراد أحدهما دون الآخر ، ولا يجوز أن يتم مرادهما لأن فى إتمام مراد أحدهما عجز الآخر لأنه تم ما لا يريد وفى ذلك تعجيز لكل واحد منهما لأنه تم مالا يريده ، أولا يتم مراد واحد منهما فقد ثبت عجزهما أيضاً . ومن يكون عاجزاً فليس بالاله ، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر فالذى تم مراده هو الإله والذى لم يتم عاجز ليس بالاله فلم يكن إلا إله واحد كما ذكرنا .

فإن قيل فيجوز أن لايختلفا فى الإرادة . قلنا : هذا القول يؤدى إلى أحد أمرين اما إن يكون ذلك لقول احدهما للآخر لا تر[د] إلا ما اريد فيصير احدهما آمراً والآخر مأموراً والمأمور لايكون إلها والآمر على الحقيقة هو الإله ، او يكون كل واحد منهما لايقدران يريد إلا ما اراده الآخر ولو كان كذلك دل على عجزهما إذ لم

يتم مراد واحد منهما إلا بإرادة الآخر معه . وإذا ثبت هذا بطل ان يكون الإله إلا واحداً على ما قررناه :

مسألة : ويجب ان يعلم ان البارى جلت قدرته حى . وهذه المسألة اول مسائل قول الشيخ [1] موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه فنقول البارى يوصف بالحياة .

والدليل عليه قوله تعالى : (الحى القيوم ٢ - ٢٥٥ و ٣ - ٢) وقوله تعالى : (وتوكل على الحى الذى لايموت ٢٥ - ٥٨) . وايضا فان الفعل يستحيل وجوده من الموات الذى لا حياة له والله تعالى فاعل الأشياء ومنشئيها فوجب ان يكون حياً .

مسألة : ويجب ان يعلم انه تعالى قادر على جميع المقدورات .

والدليل عليه قوله تعالى : (وهو على كل شىء قدير ٥ - ١٢٠) ولأنا نعلم قطعاً استحالة صدور الأفعال من عاجز لا قدرة له ولما ثبت انه فاعل الأشياء ثبت انه قادر .

مسألة : ويجب ان يعلم انه تعالى عالم بجميع المعلومات .

والدليل عليه قوله تعالى : (انزله بعلمه ٤ - ١٦٥) وقوله تعالى : (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم - ٢٠ - ١١٠) وقوله تعالى : (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ٤٠ - ١٩) . وقوله تعالى : (ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض ٣ - ٢٩) وقوله تعالى : (فاعلموا انما انزل بعلم الله ١١ - ١٤) إلى غير ذلك من الآيات التى لاتحصى ، وأيضاً فيدل على انه عالم صدور الأفعال الحكيمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظام وإحكام واتقان وذلك لايحصل إلا من عالم بها ، ومن جوز

---

(١) أى أبا الحسن الأشعرى ، وقوله هذا تتفرع عنه مسائل كما بسط المؤلف (ز)

صدور خط معلوم منظوم مرتب من غير عالم بالخط كان عن المعقول خارجاً ، وفي عمل الجهل والجأ

ويدل على صحة ذلك أيضا أنه حي ، عالم ، قادر ، انا لو جوزنا صدور أفعال محكمة متقنة من غير حي ، عالم ، قادر ، لم ندر لعل جميع ما يظهر لنا من أفعال الناس من الكتابة والصناعة وسائر الصنائع لعلها تظهر لنا منهم وهم أموات عجزة جهلة ولعل لنا في هذه المسئلة المناظر عليها ميت عاجز

مسألة : ويجب ان يعلم ان الله مريد على الحقيقة لجميع الحوادث ، والمرادات

والدليل عليه قوله تعالى : (فعال لما يريد ١١ - ١٠٧ و ٨٥ - ١٦) . وقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهدا لم ولعلكم تشكرون ٢ - ١٨٥) وقوله تعالى : (والله يريد الآخرة ٨ - ٦٧) . وقوله تعالى : (ويريد الله أن يخفف عنكم ٤ — ٢٨) وقد قيل في بعض الآثار أنه تعالى يقول : يا ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد

ويدل على انه مريد من جهة العقل ترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت ، ومكان دون مكان ، وزمان دون زمان ؛ وكذلك يدل على أنه أراد أن يكون هذا قبل هذا وهذا بعد هذا وهذا على صفة ، والآخر على صفة غيرها ، وهذا من مكان ، وهذا من مكان آخر إلى غير ذلك .

مسألة : ويجب ان يعلم انه سميع لجميع المسموعات بصير لجميع المبصرات

والدليل عليه قوله تعالى : (وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) . وقوله تعالى : (ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ٤٣ - ٨٠) وقوله تعالى : (قد سمع قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (٥٨ — ١) . وقوله تعالى : (الم يعلم بأن الله يرى ٩٦ — ١٤)

وأيضا فانه لو لم يوصف بالسمع والبصر لوجب ان يوصف بضد ذلك من الصمم والعمى والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الله تعالى متكلم وان كلامه غير مخلوق ولا محدث .

والدليل عليه قوله تعالى :(منهم من كلم الله ٢ — ٢٥٣) وقوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما ٤ — ١٦٤) وقوله تعالى : (وتمت كلمة ربك ٦ — ١١٥) . وقوله صلى الله عليه وسلم : «فضل كلام الله على كلام الخلق كفضل الخالق على المخلوق» . ولا يتصف ببداية ولا نهاية لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذ كما بكلمات الله التامة العامة » . ومحال ان يعوذ مخلوق بمخلوق فثبت أنه عوز مخلوقاً بغير مخلوق إلى غير ذلك من الآيات والأخبار . ولأنه لو لم يكن متكلما لوجب أن يوصف بضد الكلام من الخرس والسكوت والعمى والله يتعالى عن ذلك .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الله سبحانه باق . ومعنى ذلك انه دائم الوجود .

والدليل عليه قوله : (ويبقى وجه ربك ٥٥ — ٢٧) يعنى ذات ربك . وأيضاً قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه ٢٨ — ٨٨) يعنى ذاته ولأنه قد ثبت قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه .

مسألة : ويجب أن يعلم أن البارى عالم بعلم قديم متعلق بجميع المعلومات ولا يوصف عليه بأنه مكتسب ولا ضرورى وانه قادر بقدرة قديمة شاملة لجميع المقدورات ، مريد بارادة قديمة متعلقة بجميع الكائنات ، سميع بسمع قديم متعلق بجميع المسموعات ، بصير ببصر قديم متعلق بجميع المبصرات ، متكلم وكلامه قديم متعلق بجميع المأمورات والمنهيات ، والمخبرات . فعلمه سبحانه وتعالى لا يوصف بالضرورة والكسب لأن ذلك صفات علم الخلق . وقدرته لا توصف بالاستطاعة لأن ذلك صفات الخلق ، وسمعه لا يوصف بأنه يقوم بالحواس كسمع الخلق ، وبصره لا يوصف بأنه يقوم بالآماق كبصر الخلق ، وكلامه لا يوصف بالجوارح والأدوات لأن ذلك صفات كلام الخلق . بل صفات ذاته قديمة أزلية لم يزل

موصوفاً بها ولا يزال كذلك لا تشبه بصفات المخلوقين ، ولا يقال انها هو ولاغيره ولا صفاته متغايرة فى أنفسها .

والدليل على هذه الجملة قوله تعالى : (ليس كمثله شىء ٤٢ — ١١) وقوله تعالى: (لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ١١٢ — ٣ و ٤) فكما [أن] ذاته لا تشبه ذوات الخلق فكذلك علمه لا يشبه علم الخلق ولا يوصف بصفة علم الخلق ، وكذلك قدرته وإرادته لا تشبه قدرة الخلق ولا ارادتهم ولا يوصف شىء من صفاته بصفات الخلق فاعلم ذلك وتحققه توفق للصواب بمشيئة الله تعالى .

والدليل على أن صفاته لا يقال لها هى هو لأنها لو كانت هى هو لكانت خالقة فاعلة مثله فلا يجوز أن يقال هى هو . ويدل على صحة هذا المعنى قول علىّ عليه السلام فى القرآن : ليس بخالق ولا مخلوق . لأنه لو جعله خالقاً كان إلهاً ثانياً مع الله ، ولو جعله مخلوقاً لوجب أن يكون البارى موجوداً بلا كلام ثم خلق كلامه بعد وذلك لا يصح لأن صفات ذاته قديمة بقدم ذاته .

فان قيل فليس ثم إلا خالق أو مخلوق. قلنا: نعم ولكن خالق [قديم بصفات ذاته ومخلوق حادث] بصفات ذاته التى توجد بعد ان لم تكن ، وتعدم بعد ان كانت وصفات القديم لا تتصف بوجود بعد عدم ولا بالعدم بعد الوجود، وإنما قلنا ان صفات ذاته ليست باغيار له ولا هو غير لصفاته ولا صفاته متغايرة فى أنفسها لأن حد الغيرين مايجوز مفارقة أحدهما الآخر اما بزمان أو بمكان وهذا يستحيل تصوره فى الله تعالى وصفات ذاته فافهم وتزيد التحقيق وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين آمين رب العالمين .

مسألة : فان قيل قد أثبتم أنه حى عالم قادر سميع بصير متكلم أفتقولون انه يغضب ويرضى ، ويحب ، ويبغض ، ويوالى ، ويعادى ، وانه موصوف بذلك . قيل لهم أجل

ومعنى وصفه بذلك أن غضبه على من غضب عليه ، ورضاه عمن رضى عنه ، وحبه لمن أحب ، وبغضه لمن أبغض ، وموالاته لمن والى ، وعدواته لمن عادى . ان المراد بجميع ذلك إرادته اثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه . وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه لاغير .

ويدل على هذه الجملة أنه يوصف بالغضب قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ٤ - ٩٣) وقوله تعالى : (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ٢٤ - ٩) إلى غير ذلك من الآيات .

ويدل على انه يوصف بالحب قوله تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ٢ - ٢٢٢) وقوله : (يحبهم ويحبونه ٥ - ٥٤) . وقوله : (والله يحب المحسنين ٥ - ٩٣) إلى غير ذلك .

ويدل على أنه يوالى قوله تعال : (والله ولى المؤمنين ٣ - ٦٨) وقوله : (إنما وليكم الله ورسوله ٥ - ٥٥) وقوله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى من آذى لى ولياً » إلى غير ذلك من الآيات والأخبار .

ويدل على أنه يعادى قوله تعالى : (فان الله عدو للكافرين ٢ - ٩٨) وقوله : (لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ٦٠ - ١) إلى غير ذلك من الآيات والآثار

ويدل أنه يبغض قوله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة يبغضهم الله تعالى : شيخ زان ، وبائع حلاف ، وفقير مختال » .

مسألة : فان قيل فما الدليل على أن غضب الله سبحانه ورضاه ، ورحمته ، وسخطه ، وحبه وعداوته ، وولاتيه وبغضه إنما هو إرادته لإثابة من رضى عنه وأحبه ووالاه ونفعه ، وان غضبه ، وسخطه ، وبغضه ، وعداوته إنما هو إرادة عقاب من غضب عليه وسخط وعادى وايلامه وضرره قيل له :

الدليل على ذلك : ان الغضب والرضا ونحو ذلك لايخلو اما أن يكون المراد به ارادته النفع والضرر فقط ، أو يكون المراد به نفور الطبع وتغيره عند الغضب ورقته وميله وسكونه عند الرضا فلما لم يجز أن يكون البارى جلت قدرته ذا طبع يتغير وينفر ، ولا ذا طبع يسكن ويرق وان هذه من صفات المخلوقين وهو يتعالى عن جميع ذلك ثبت أن المراد بغضه ، ورضاه ، ورحمته ، وسخطه إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان فى معلومه انه ينفعه ، وضرر من سبق فى علمه وخبره أنه يضره لاغير ذلك .

مسألة : فان قيل فهل يجوز أن يوصف بالشهوة ؟ قيل له :

ان أراد السائل بوصفه بالشهوة ارادته لأفعاله فذلك صحيح من طريق المعنى غير أنه أخطأ وخالف الأمة فى وصف القديم بالشهوة إذ لم يرد بذلك كتاب ولا سنة لأن اسمائه تعالى لا تثبت قياسا وهو معنى قول الشيخ رضى الله عنه : (لا مدخل للعقل والقياس فى إيجاب معرفته وتسميته وانما يعلم ذلك بفضله من جهته) . يعنى اما بنص كتاب أوسنة . وان أراد هذا السائل أن يصفه بالشهوة التى هى [شوق] النفس وميل الطبع الى المنافع واللذات فذلك محال ممتنع على القديم سبحانه وتعالى بما قدمنا ذكره من قبل .

مسأله : ويجب أن يعلم [أن كل ما] يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه .

فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات وكذلك لايوصف بالتحول ، والانتقال ، ولا القيام ، ولا القعود لقوله تعالى : (ليس كمثله شىء ٤٢ - ١١) وقوله : (ولم يكن له كفواً أحد ١١٢ - ٤) ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث والله تعالى يتقدس عن ذلك .

فان قيل أليس قد قال : (الرحمن على العرش استوى ٢٠ - ٥) . قلنا : بلى . قد قال ذلك ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ماجاء فى الكتاب والسنة لكن ننفى عنه امارة الحدوث ونقول ؟ استواؤه لايشبه استواء الخلق ، ولا نقول ان العرش له قرار ولامكان لأن الله تعالى كان ولامكان فلما خلق المكان لم يتغير عما كان .

وقال أبو عثمان المغربى يوماً لخادمه محمد المحبوب لو قال لك قائل اين معبودك ماذا كنت تقول له ؟ فقال : أقول حيث لم يزل ولايزول . قال : فان قال : فاين كان فى الأزل ماذا تقول ؟ فقال : أقول حيث هو الأن . يعنى انه كما كان ولامكان .

وقال أبو عثمان : كنت اعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبى فكتبت الى اصحابنا أنى قد اسلمت جديداً .

وقد سئل الشلبى عن قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى ٢٠ - ٥) فقال : الرحمن لم يزل ولايزول والعرش محدث ، والعرش بالرحمن استوى .

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : من زعم أن الله تعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك لأنه لو كان على شىء لكان محمولا ، ولو كان فى شىء لكان محصورا ، ولو كان من شىء لكان محدثا والله يتعالى عن جميع ذلك .

وقال بعض أهل التحقيق : (ألزم الكل الحدث لأن القدم له فهو سبحانه لا يظله فوق ، ولا يقيه تحت ، ولا يقابله حد ، ولايزاحمه [عد] ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ، ولا يظهره قبل ، ولا يفنيه بعد ، ولا يجمعه كل ، ولا يوجده كان ولا يفقده ، ليس باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم . ان قلت متى : فقد سبق الوقت كونه (١) وان قلت : أين فقد تقدم المكان وجوده ، فوجوده اثباته ، ومعرفته

---

(١) أى وجوده (ز)

توحيده [أن] تميزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلاف [ذلك] كيف يحل به ما منه بدؤه أو يتصف بما هو إنشاؤه لا تمثله العيون ، ولا تقابله الظنون ، قربه كرامته ، وبعده اهانته ، علوه من غير ترق ، ومجيئه من غير تنقل ، هو الأول ، والآخر والظاهر ، والباطن والقريب البعيد الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ٤٢ — ١١) .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى نفعها وضرها إيمانها وكفرها ، طاعتها ، ومعصيتها .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون ٣٧ — ٩٦) وأيضا فان الله تعالى رد على الكفار لما ادعوا معه شركاء فى الاختراع فقال تعالى : (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار ١٣ — ١٦) وقال تعالى . (هو الذى يسيركم فى البر والبحر ١٠-٢٢) فاخبر تعالى انه خالق لسيرنا وهى الحركات والسكنات . وقال تعالى : (هل من خالق غير الله ٣٥ — ٣) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الله خالق كل صانع وصنعته » . وأجمعت الأمة على القول بأن لا خالق إلا الله فى الدارين كما أجمعوا أن لا إله غيره .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى وأنه لا يتصور أن يوجد فى الدنيا والآخرة شىء لم يرده تعالى من نفع ، وضر ، ورزق ، وأجل ، وطاعة ، ومعصية إلى غير ذلك من سائر الموجودات .

والدليل على ذلك ما بيناه من قبل وأنه خالق لها وإذا صح ذلك ترتب عليه أنه مريد لما خلق قاصد إلى ابداع ما اخترع ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٦ — ٣٥) وقوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح

صدره للاسلام ومن يردان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ٦ — ١٢٥) وقوله تعالى : (ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ٦ — ١١١) وقوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ١٠ — ٩٩) وقوله تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جنهم من الجنة والناس أجمعين ٣٢ — ١٣) والآيات فى هذا المعنى فى القرآن لاتحصى عدداً . وأيضاً فان الأمة قد أجمعت على القول باطلاق هذه الكلمة : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وأيضاً فانه لو أراد شيئا وأراد غيره شيئا فوجد مراد غيره دون مراده كان ذلك دليل العجز والغلبة والله يتعالى عن ذلك .

وقال بعض أهل التحقيق : (والله ما قالت القدرية كما قال الله تعالى ولا كما قال النبيون ولا كما قال أهل الجنة ، ولا كما قال أهل النار ، ولا كما قال أخوهم ابليس لأن الله تعالى قال : (يضل من يشاء ويهدى من يشاء ١٦ — ٩٣) وقال : (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ٧٦ — ٣٠) .

وقال شعيب : (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ٧ — ٨٩) وقال موسى عليه السلام : (ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ٧ — ١٥٥) وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ٧ — ١٨٧) وقال أهل الجنة : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ٧ - ٤٣) وقال أهل النار : (ربنا غلبت علينا شقوتنا ٢٣ — ١٠٦) وقال ايضا : (بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ٣٩ — ٧١) وقال ابليس : (رب بما اغويتنى ١٥ — ٣٩) وقد قال تعالى : (واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ١٣-١١) .

مسألة : واعلم انه لافرق بين الأرادة ، والمشيئة ، والاختيار، والرضى ، والمحبة على ماقدمنا . واعلم ان الاعتبار فى ذلك كله بالمآل لابالحال فمن رضى سبحانه عنه لم يزل راضياعنه لايسخط عليه ابدا وان كان فى الحال عاصيا . ومن سخط عليه فلا يزال ساخطا عليه ولا يرضى عنه ابداً وان كان فى الحال مطيعا .

ومثال ذلك : انه سبحانه وتعالى لم يزل راضياً عن سحرة فرعون وان كانوا فى حال طاعة فرعون على الكفر والضلال لكن لما آمنوا فى المآل بان بانه تعالى لم يزل راضياعنهم ، وكذلك الصديق ، والفاروق رضى الله عنهما لم يزل راضيا عنهما فى حال عبادة الأصنام لعلمة بمآل امرهما ومايصير إليه من التوحيد ونصر الرسول والجهاد فى سبيل الله تعالى .

وكذلك لم يزل ساخطا على ابليس ، وبلعم ، وبرصيص فى حال عبادتهم لعلمه بمآلهم وما يصير اليه حالهم .

وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن قوله تعالى : (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ٢١-١٠١) فقال : هم قوم سبقت لهم العناية فى البداية فظهرت لهم الولاية فى النهاية .

مسألة : ويجب ان يعلم ان العبد له كسب وليس مجبوراً (١) بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية لأنه تعالى قال : (لها ما كسبت ٢ — ٢٨٦) يعنى من ثواب طاعة (وعليها ما اكتسبت ٢٢ — ٢٨٦) يعنى من عقاب معصية . وقوله : (بما كسبت أيدى الناس ٣٠ — ٤١) وقوله : (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ٤٢-٣٠) وقوله : (ولو يؤآخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً ٣٥ - ٤٥) ويدل على صحة هذا أيضاً ان العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبراً وسائر بدنه عند

(١) وبهذا يظهر أن كون العبد مجبوراً فى أفعاله ليس من مذهب الاشعرى ، وأول من نطق بعزو ذلك إليه هو الفخر الرازى واهما فى التخريج ، وادعاء كونه مجبوراً من الخطورة بمكان (ز) .

وقوع الحي به أو الارتعاش وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً الى ذلك باختياره فافعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى . فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق وكما لا يقال لله تعالى إنه مكتسب وكذلك لا يقال للعبد إنه خالق .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل [1] لا يجوز تقديمها عليه ولا تأخيرها عنه كعلم الخلق وادراكهم لا يجوز تقديم العلم على المعلوم ولا الإدراك على المدرك .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (وكانوا لا يستطيعون سمعاً ١٨ - ١٠١) يعني قبولا عند الدعوة يعني انه لم يكن لهم استطاعة عند مفارقة الدعوة فيحصل معها القبول ، وأيضاً قوله تعالى : (انك لن تستطيع معي صبرا ١٨ - ٦٧ و ٧٢ - ٧٥) وقول ابراهيم عليه السلام : (رب اجعلني مقيم الصلاة ١٤ - ٤٠) فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكان يقول : قد جعلتك مقيما ولم يكن لسوء آله معنى لأنه سئل في شيء قد اعطيه وهو قادر عليه ، وأيضاً قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين ١ - ٥) فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لم يكن للسوآل فيها معنى ولأن القدرة الحادثة لو تقدمت على

---

(١) ومبنى ذلك تجدد الأعراض لكن دليل التجدد غير تام ، ومذهب أبي حنيفة تقدم الاستطاعة على الفعل بمعنى سلامة الآلات الصالحة للفعل والترك ، والمعتزلة مع أبي حنيفة في هذا ، وحاول الفخر الجمع بين الرأيين بأن القوة العضلية سابقة ، والقدرة المستجمعة لشرائط التأثير مع الفعل فلا ينافي أحدهما الآخر في نظره لأن مجرد القوة العضلية غير كاف في صدور الفعل ما لم يرده سبحانه اتفاقاً وارادته تعالى هي تركه العبد يمضي فيما اختاره كما ذكره عبد القاهر البغدادي فلا تكون في ذلك سمة جبر ، ما دام فعل العبد مستنداً إلى اختياره نفسه ، والقوة العضلية هي مدار التكليف وهي صالحة للفعل والترك والقدرة المستجمعة لشروط التأثير غير صالحة إلا لأحدهما فيكون الوجوب في هذا من قبيل الضرورة بشرط المحمول فلا يكون من الضرورة في شيء (ز)

الفعل لوجد الفعل بغير قدرة لأنها عرض والعرض لا يبقى ولا يصح أن يوجد بعد الفعل وأيضاً لأنه يكون فاعلا من غير قدرة فلم يبق الا انها مع الفعل .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الرؤية جائزة عليه سبحانه وتعالى من حيث العقل مقطوع بها للمؤمنين فى الآخرة تشريفاً لهم وتفضلا لوعد الله تعالى لهم بذلك .

والدليل على جوازها من حيث العقل سؤال موسى عليه السلام حيث قال : (رب أرنى أنظر اليك ٧ - ١٤٣) . ويستحيل أن يسأل نبى من أنبياء الله تعالى مع جلالة قدره وعلو مكانه مالا يجوز عليه سبحانه ولو لا انه اعتقد جوازها لما سألها ولانه تعالى علقها باستقرار الجبل ومن الجائز استقرار الجبل ، ويدل عليه أيضاً أنه موجود والموجود يصح أن يُرى .

وأما الدليل على ثبوتها من طريق الكتاب والسنة قوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام ٣٣ - ٤٤) واللقاء إذا قرن بالتحية لا يقتضى إلا الرؤية . وأيضاً قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ١٠-٢٦) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : الزيادة النظر إلى وجهه الكريم . وقد ذكر مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ٧٥-٢٢ و٢٣) والمراد بقوله (ناضرة) انها مشرقة ، والمراد بقوله (إلى ربها ناظرة) انها لربها رائية . لأن النظر إذا عدى بكلمة إلى اقتضى الرؤية نصا كقوله تعالى : (فانظر إلى طعامك وشرابك ٢-٢٥٩) وقوله تعالى : (افلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ٨٨ - ١٧) وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله (وزيادة) قال : هى النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف . وأيضاً فان الصحابة لما سألوه صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون فى رؤيته » . وروى : « لا تضامون فى رؤيته » وروى : « لا يلحقكم ضرر ولا ضيم فى رؤيته » . ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية لا المرئى بالمرئى فكانه صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية وان الرائى المعاين للقمر ليلة البدر ليلة أربع عشرة لا يشك فى أن الذى يراه قمر . فكذلك الناظر إليه سبحانه وتعالى فى الجنة لا يشك

ان الذى يراه سبحانه وتعالى بلا تكييف ، ولاتشبيه ، ولاتحديد وهذا كما يقول القائل : أعرف صدقك كما أعرف النهار ، ورأيت زيداً كما رأيت الشمس . ويدل عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة [1] » .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الطاعة ليست بعلة للثواب ولا المعصية علة للعقاب ولا يجب لأحد على الله تعالى بل الثواب وما أنعم به على العبد فضل منه ، والعقاب عدل منه . ويجب على العبد ما أوجبه تعالى عليه ولا موجب ولا واجب على الله . والحسن ماوافق الأمر من الفعل ، والقبيح ماوافق النهى من الفعل وليس الحسن حسنا من قبل الصورة ، ولا القبيح قبيحا من قبل الصورة .

والدليل على الفصل الأول انه لا واجب عليه لاحد من الخليقة وان حقيقة الواجب ما استوجب من وجب عليه الذم بتركه والرب تعالى عن الذم علواً كبيراً

ويدل على صحة ذلك أيضاً قوله تعالى : (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ٣٠ — ٤٥) فاعلم أن ذلك بفضله لا بالعمل . وأيضاً قوله تعالى : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ٢٤ — ١٠ و١٤ — ٢٠) وسئل النبي صلى الله عليه وسلم « أيدخل أحد منا الجنة بعمله ؟ فقال : لا . فقيل ولا أنت ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته . فقال له بعد الصحابة ففيم العمل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له وانما وعدالله سبحانه بالثواب واوعد بالعقاب وقوله الحق ووعده الصدق ، فنصب الطاعات امارة على الفوز بالدرجات ، والمعاصى امارة على التردى فى الهلكات وكل ذلك امارة للخلق بعضهم على بعض لا له سبحانه وتعالى فانه عالم بالأشياء قبل كونها كماقال بعضهم : تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون ان لوكان كيف كان يكون .

والدليل على الفصل الثانى وهو ان الحسن ما وافق الأمر والقبيح ما خالف الأمر . ان لذة الجماع فى الزوجة والأمة صورتها فى الفرج [الحلال] كصورتها فى الفرج

---

(١) لايثبت والمصنف كثيراً مايورد أحاديث ضعيفة (ز)

الحرام إلا ان ذلك حسن فى الملك بموافقة الشرع قبيح فى غير ذلك بمخالفة الشرع . وكذا القتل وصورته فى القصاص كهى فى القتل من غير قصاص إلا ان احدهما حسن لمطابقة الشرع والآخر قبيح بمخالفة الشرع . وكذلك الأكل فى آخر يوم من شهر رمضان كصورة الأكل يوم الفطر إلا ان احدهما حسن لموافقة الشرع والآخر قبيح لمخالفته ، وكذلك بالعكس امساك يوم من شهر رمضان كصورة الامساك يوم الفطر إلا انه فى احدهما حسن للموافقة وفى الآخر قبح للمخالفة .

وجميع قواعد الشرع تدل على ان الحسن ماحسنه الشرع وجوزه وسوغه . والقبيح ماقبحه الشرع وحرمه ومنع منه لا من حيث الصورة فتفهم ذلك يخلصك من جميع ما يورده جهال القدرية من شبههم التى تضل عقول العوام . فإذا ثبت هذا وتقرر جاء منه أن البارى سبحانه وتعالى ليس فوقه آمر أمره ولا ناه نهاه حتى تتصف أفعاله تارة بالحسن لموافقة الأمر ، ولا بالقبح لمخالفة الأمر بل هو المالك على الحقيقة يتصرف فى ملكه كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

مسألة : ويجب أن يعلم أن أرزاق العباد وجميع الحيوان من الله تعالى فلا رازق إلا الله حلالا كان أم حراما .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ١٣ — ٢٦) وقوله تعالى : (ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ١١ — ٦) وقوله تعالى : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون ٣٠-٤٠) . وقد اجمع المسلمون على اطلاق القول لا رازق إلا الله كما أجمعوا على انه لا خالق إلا الله .

ويدل عليه أيضاً انه لو فرض نشوء صبى من حال كونه طفلا إلى بلوغه بين اللصوص وقطاع الطريق وكان يتناول من طعامهم المسروق المنهوب ثم من بعد ادراكه والبلوغ سلك مسلكهم فى السرقة والنهب والغارة إلى أن شاخ وهرم ولم يتناول لقمة

من حلال قط فلو قال قائل : ان هذا الشخص لم يرزقه الله رزقاً قط ولا أكل له رزقا كان هذا القائل معانداً للنص الوارد وخارقاً لاجماع المسلمين فدلت هذه الجملة ان لا خالق إلا الله ولا رازق إلا هو .

مسألة : ويجب أن يعلم ان كل ماورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ، وردالروح إلى الميت عندالسوال ، ونصب الصراط ، والميزان ، والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين كل ذلك حق وصدق ، ويجب الإيمان والقطع به ؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل فى العقل ، وكذلك يجب القطع بان الجنة والنار مخلوقتان فى فى وقتنا ، وكذلك يجب القطع بأن نعيم اهل الجنة لاينقطع وان عذاب جهنم مخلد للكفار ، وان من كان مؤمناً لايخلد فى النار .

والدليل على اثبات عذاب القبر قوله تعالى : (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ٢٠ — ١٢٤) قال ابو هريرة : يعنى عذاب القبر . وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : « القبر اماروضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار » . وقد قال تعالى : (النار يعرضون عليها غدوآ وعشيا ٤٠-٤٦) ، والغدو والعشى إنما يكون فى الدنيا . وايضا ماروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول : « اعوذ بالله من عذاب القبر » .

والدليل على سؤال منكر ونكير قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ١٤-٢٧) يعنى وفى الآخرة عند سؤال منكر ونكير . وايضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن ابنه ابراهيم جلس عند رأس القبر فتكلم بكلام ثم قال : « ابنى قل أبى » . وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه : « كيف بك ياعمر إذ جاءك فتانا القبر ؟ فقال : اكون كما انا الآن ؟ فقال له : نعم . فقال له : إذاً اكفيكهما » . وروى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما انه قال : رأيت أبى فى النوم فقلت له يا ابت منكر ونكير حق ؟ فقال : أى

والله الذى لاإله إلاهو لقد جآنى فقالا لى : من ربك ؟ فأخذت عليهما وقلت لهما لاأخلى عنكما حتى تعرفانى من ربكما . فقال احدهما للاخر : دعه فإنه عمر الفاروق سراج اهل الجنة .

ويدل على نصب الصراط قوله تعالى : (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ١٩-٧١) قيل فى التفسير هو العبور على الصراط . وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : « ينصب الصراط على متن جهنم دحض مزلة والأنبياء عليه يقولون : سلم . سلم . والناس يمرون عليه فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر عليه كالجواد من الخيل إلى آخره » .

والدليل على نصب الميزان : قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ٢١-٤٧) وقوله (فلا نقيم له يوم القيامة وزنا ١٨-١٠٥) وايضا فان عائشة رضى الله عنها قالت : يارسول الله هل تذكرون اهليكم يوم القيامة ؟ فقال لها : «اما عند مواطن ثلاثة فلا الكتاب ، والميزان ، والصراط » واعلم ان الموزون فى الميزان هو صحائف الأعمال . وقيل فى بعض الآثار يشخص رجل يوم القيامة على رؤس الخلائق فيعرض عليه تسعة وتسعون سجلا مملوءة سيئات فيقال له احضر وزنك قيل فيوضع فى كفة قال: فيحار العبد فيقال له : هل تعلم لك خبيئة اوحسنة ؟ قال فيدهش فيقول يارب لا اعلم شيئا . فيقول تعالى بل لك عندى خبيئة فيخرج له بقدر الأصبع فيقول ماتغنى هذه فى جنب هذة السجلات فإذا فيها لاإله إلا الله . اللهم ثبتنا عليها بحولك وقوتك .

والدليل على الحوض قوله تعالى : (إنا اعطيناك الكوثر ١٠٨ - ١) قيل فى التفسير هو الحوض وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : (حوضى كما بين أيلة إلى مكة ميزابان من الجنة اكاويبه [1] كعدد نجوم السماء ، شرابه ابيض من اللبن واحلى من العسل واطيب رائحة من المسك من كذب به اليوم لم يصبه الشرب يومئذ .

---

(١) جمع الجمع لأكواب هكذا فى بعض الروايات ، وفى بعضها، أكوابه . وفى بعضها : آنيته (ز)

والدليل على ثبوت الشفاعة : قوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢٠ - ٢٨) يدل على ثبوت الشفاعة لمن أراد سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ١٧ - ٧٩) وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم : «شفاعتى لأهل الكبائر من امتى » وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : « خُيرت بين ان يدخل شطر امتى [الجنة] وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها اعم واكفأ اترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمؤمنين الخاطئين » . وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : « يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة ويقال للعالم قف انت فاشفع لمن شئت »

والدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان قوله تعالى : (وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ٣ - ١٣٣) والمعد لا يكون إلا موجوداً مهيئاً . وأيضاً قوله : (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ١٨ - ١٠٢) إلى غير ذلك من الايات . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم « عرضت على ليلة الأسراء الجنة والنار » إلى غير ذلك من الأخبار

والدليل على تخليد النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار قوله تعالى فى أهل الجنة : (خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ٩٨ - ٨) والآى فى ذلك كثير . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش فيوقف بين الجنة والنار فينظرون اليه فيقال لهم: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت فيذبح ثم ينادى منادٍ يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت .

والدليل على أنه لا يخلد فى النار أحد من المؤمنين بذنب قوله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ٤ - ٤٨ و ١١٦) وقوله تعالى : (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ٣٩ - ٥٣) وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: « لا يبقى فى النار من فى قلبه ذرة من إيمان » فان الكفار لا ينفعهم إحسان مع الكفر ولا يخرجون من النار ، وكذلك الموحد لا تضره سيئة مع اثبات التوحيد ولا يخلد فى النار . قيل وكان عمر بن عبد العزيز

رضى الله عنه يقول فى دعائه : اللهم انى اطعتك فى احب الأشياء اليك وهو التوحيد وقول لاإله إلاالله ، ولم اعصك فى ابغض الأشياء اليك وهو الشرك فاغفرلى مابين ذلك .

مسألة ويجب ان يعلم ان الايمان على ضربين : ايمان قديم ، وايمان محدث . فالقديم ايمان الحق سبحانه وتعالى لأنه سمى نفسه مؤمناً فقال : (السلام المؤمن المهيمن ٥٩-٢٣) وايمانه سبحانه وتعالى تصديقه لنفسه لقوله : (شهد الله انه لا إله الاهو ٣ - ١٨) وكذلك تصديقه لأنبيائه بكلامه وكلامه قديم صفة من صفات ذاته .

والايمان المحدث ايمان الخلق لأن الله تعالى خلقه فى قلوبهم بدليل قوله تعالى : (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان ٥٨ — ٢٢) وقوله تعالى : (ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ٤٩ — ٧) ولأن إيمان العبد صفة للعبد ، وصفة المخلوق مخلوقة كما أن صفة الخالق قديمة أعنى صفة ذاته . وأيضا فان حد القديم هو الذى لا حد لوجوده ولا آخر لدوامه ، وحد المحدث مالم يكن ثم كان فكما لم يجز أن تكون صفة القديم محدثة فكذلك لا تكون صفة المحدث قديمة . وكيف تكون صفة المحدث قديمة وهى عرض لا يستقل إلا بحامل ولا يمكن قيامها بنفسها لأنه يستحيل وجود حركة من غير متحرك . وسكون من غير ساكن ، وعلم من غير عالم . وسواد من غير أسود إلى غير ذلك من صفات المحدثين .

واعلم أن حقيقة الايمان هو التصديق . والدليل عليه قوله تعالى اخبارا عن اخوة يوسف عليه السلام : (وما أنت بمؤمن لنا ١٢ — ١٧) أى بمصدق لنا . وأيضا ان الرسول عليه السلام لما أخبرعن كلام البقرة والذئب فقال : « أنا اؤمن به وأبوبكر وعمر » يريد أصدق . وأيضا قول أهل اللغة : فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار أى يصدق به . وفلان لا يؤمن بعذاب الأخرة أى لا يصدق به .

واعلم ان محل التصديق القلب وهو : ان يصدق القلب بأن الله إله واحد وان

الرسول حق ، وان جميع ماجاء به الرسول حق ، وما يوجد من اللسان وهو الاقرار وما يوجد من الجوارح وهو العمل فانما ذلك عبارة عما فى القلب ودليل عليه . ويجوز أن يسمى ايمانا حقيقة على وجه ، ومجازا على وجه ؛ ومعنى ذلك ان العبد إذا صدق قلبه بما قلنا واقر بلسانه ، وعملت جوارحه فهو المؤمن الحقيقى عند الله وعندنا ، واما من كذب بقلبه وأقر بالوحدانية بلسانه وعمل الطاعات بجوارحه فهذا ليس بمؤمن حقيقة وانما هو مؤمن مجازاً لأن ذلك يمنع دمه وماله فى أحكام الدنيا لأنه مؤمن من حيث الظاهر وهو عند الله غير مؤمن .

والدليل على صحة ذلك قوله : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهدان المنافقين لكاذبون ٦٣ - ١) فاخبر سبحانه بكذبهم ونحن نعلم وكل عاقل انه ما كذب اقرار السنتهم وانما كذب قلوبهم حيث ابطنوا خلاف ما اظهروا ولأن الاخرس المصدق بقلبه ايمانه صحيح وان كان لا يقدر على النطق والاقرار بلسانه وكذلك بالعكس من هذا فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى وان نطق بالكفر . يدلك على صحة ذلك قوله تعالى : (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ١٦ - ١٠٦) فاخبر أن نطق اللسان بالايمان لا ينفع مع اصرار القلب على الكفر واقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب .

واعلم انا لا ننكر أن نطلق القول بان الايمان عقد بالقلب واقرار باللسان ، وعمل بالاركان ، على ما جاء فى الأثر (١) لأنه صلى الله عليه وسلم انما اراد بذلك أن يخبر عن حقيقة الايمان الذى ينفع فى الدنيا والآخرة لأن من أقر بلسانه وصدق بقلبه وعمل باركانه حكمنا له بالايمان واحكامه فى الدنيا من غير توقف ولا شرط ، وحكمنا له أيضا بالثواب فى الآخرة وحسن المنقلب من حيث شاهد الحال وقطعنا

---

(١) لم يصح مرفوعا وفى صحيح مسلم الإيمان أن تؤمن بالله الحديث... (ز)

له بذلك فى الآخرة بشرط أن يكون فى معلوم الله تعالى أنه يحييه على ذلك ويميته عليه . ولو أقر بلسانه وعمل باركانه ولم يصدق بقبله نفعه ذلك فى أحكام الدنيا ولم ينفعه فى الآخرة ، وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم حيث قال : « يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الايمان فى قلبه » وإذا تأملت هذا التحقيق وتدبرته وجدت بحمد الله تعالى ومنه أن الكتاب والسنة ليس فيهما اضطراب ولا اختلاف وانما الاضطراب ، والاختلال ، والاختلاف فى فهم من سمع ذلك وليس له فهم صحيح ولا تصور نعوذ بالله من ذلك .

وكذلك أيضا لا ننكر أن نطلق ان الايمان يزيد وينقص كما جاء فى الكتاب والسنة لكن النقصان والزيادة يرجع فى الايمان إلى أحد أمرين : اما أن يكون ذلك راجعا إلى القول والعمل دون التصديق لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء الايمان فاما التصديق فمتى انخرم منه أدنى شيء بطل الايمان . وبيان ذلك أن المصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام إذا ترك صلاة أو صياماً أو زكاة أو قراءة فى موضع تجب فيه القراءة أو غير ذلك من الواجبات لا يوصف بالكفر بمجرد الترك مع كمال التصديق وثباته عليه . وبالضد من ذلك لو فعل جميع الطاعات ، وأقر بجميع الواجبات ، وصدق بجميع ماجاء به الرسول الا تحريم الخمر أو نكاح الام ولم يفعل واحداً منهما فانه يوصف بالكفر وانسلخ من الايمان ولا ينفع جميع ذلك مع انخرام تصديقه فى هذا الحكم الواحد فيجوز نقص الايمان وزيادته من طريق الأقوال والأفعال ، ولا يجوز من طريق التصديق وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه المسلم الخير » وكذلك قوله « حتى يامن جاره بوائقه » وأراد بذلك الكف عن الأذى ولم يرد التصديق لأنه لو استحل إذاه لم يكن له ايمان لا زائد ولا ناقص فافهم ذلك .

والأمر الثانى فى جواز اطلاق الزيادة والنقصان على الايمان يتصور أيضا أن يكون من حيث الحكم لا من حيث الصورة فيكون ذلك أيضا فى الجميع من

التصديق والاقرار والعمل ويكون المراد بذلك فى الزيادة والنقصان راجعاً إلى الجزاء والثواب ، والمدح والثناء دون نقص وزيادة فى تصديق من حيث الصورة وقد دل على ذلك الكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى : (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ٥٧ - ١٠) ولم يرد أن تصديق من آمن قبل الفتح يزيد على تصديق من آمن بعد الفتح لأن كل واحد منهما من حيث الصورة مصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام لكن تصديق اولئك أكمل فى الحكم والثواب والدرجه لأن هذا يصدق بشيء لا يصدق به الآخر . وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه » ومعلوم أن انفاق مثل أحد ذهباً ما انفقه أحد من الصحابة لكن ايمانهم ونفعهم فى الحكم والثواب ، والجزاء ، والدرجة أزيد واكمل من نفقة غيرهم وان كانت فى الصورة أكثر لكنها انقص من حيث الحكم لا من حيث العين فاعلم حكم ذلك وتحققه ووازن هذا من افعالنا اليوم وانها تتصف بالزيادة من حيث الحكم دون العين . ان من صلى صلاة الظهر فى بلد من البلاد غير مكة والمدينة واتى بجميع شرائطها وآخر صلى بمكة والمدينة على الوجه الذى صلى عليه الآخر لا يقال ان أحد الصلاتين ازيد من الأخرى من طريق الصورة والعين ولكن أحدهما أزيد من طريق الحكم فى تحصيل الفضل والثواب ولهذا نظائر يطول تعدادها وقد تكون الزيادة بكثرة دلائل التصديق لا فى التصديق .

مسألة : ويجب أن يعلم أن كل إيمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا لأن معنى الاسلام الانقياد ومعنى الايمان التصديق ويستحيل أن يكون مصدق غير منقاد ولا يستحيل ان يكون منقاد غير مصدق وهذا كما يقال : كل نبي صالح وليس كل صالح نبياً .

ويدل على صحة هذه الجملة قوله تعالى : (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ٤٩ - ١٣) فنفى عنهم الايمان واثبت ان ذلك منهم اسلام

الايمان . وايضا قوله تعالى : (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين ٤٩ — ١٧) فغاير بين الاسلام والايمان .

ويدل على صحة هذا القول أيضاً أن الرسول عليه السلام فرق هو وجبريل بين الإسلام والإيمان حين سأله فقال له ما الايمان ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره » فقال جبريل عليه السلام : صدقت . والمراد بجميع ذلك أن تصدق بالله ورسله إلى آخر ماذكر ثم قال له فما الإسلام ؟ فقال : « ان تشهد ان لا إله الا الله وانى رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت وتغتسل من الجنابة » وهذا واضح فى كونهما غيرين وان محل الإيمان القلب وهو التصديق ومحل الاسلام الجوارح وهذا الحديث يقوى لك جميع ماذكرت لك . وان التصديق متى اختل منه شىء انخرم الإيمان ، والقول والعمل يزيد وينقص ولا ينخرم الايمان مع التصديق بجميع ماجاء به الرسل عليهم السلام فعلى ماقررت لك لايجوز أن نطلق فنقول ايمان احدنا كايمان جبريل ولا كايمان محمد صلى الله عليه وسلم ولا كايمان الصديق رضى الله عنه[1] ، بل نمنع من ذلك ونريد به ان إيمان هؤلاء أفضل وأكمل وأرفع من طريق الحكم الذى بينت لك ومن طريق آخر وهو انه قد بان لهؤلاء من دلائل الواحدانية اكثر مما بان لنا فلا نطلق التسوية بين ايمانهم وايماننا ، ولانريد بذلك أنا نصدق ببعض ماجاء به الرسل عليهم السلام والصديق يصدق بالجميع بل لايصح لأحد ايمان حتى يصدق بالجميع لكن ايمان الصديق أكمل وافضل من الوجوه التى بينت لك .

مسألة : ويجب ان يعلم انه يجوز أن يقول العبد أنا مؤمن حقاً ويعنى به فى الحال ويجوز أن يقول انا مؤمن إن شاء الله ويعنى به فى المستقبل . فاما فى الماضى وفى الحال فلا يجوز

---

(١) ومن يجعلهم سواسية فى الإيمان يريد تساويهم فى الاعتقاد الجازم فقط (ز)

أن يقول ان شاء الله لأن ذلك يكون شكا فى الإيمان ولأن الاستثناء انما يصح فى المستقبل ولا يصح فى الماضى وقد بين ذلك سبحانه وتعالى فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله ١٨ - ٢٣ و ٢٤) وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إنا غداً ان شاء الله نازلون بخيف بنى كنانة » ولأن المشيئة لله تعالى سابقة لكل موجود فلولا المشيئة لما وجد الموجود فكما لا يجوز أن يستثنى فى الحال فلا يجوز أن يقطع فى المستقبل فاعلم ذلك وتحققه .

مسألة : ويجب أن يعلم أن الإسم هو المسمى بعينه وذاته والتسمية الدالة عليه تسمى اسماً على سبيل المجاز .

والدليل عليه قوله تعالى : (تبارك اسم ربك ٥٥ - ٧٨) ومعناه تبارك ربك . وأيضاً قوله تعالى : (سبح اسم ربك ٨٧ - ١٨٠) ولا يشك عاقل أن المسبَّح هو الله تعالى لا قول من يقول التسبيح ويدل عليه قوله تعالى: (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله امر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ١٢ - ٤٠) وقد علمنا أنهم ما كانوا يعبدون الاقوال والتسميات وإنما كانوا يعبدون ذوات الأصنام ، فاما قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى ٧ - ١٢٨) وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة » فالعدد فى ذلك راجع إلى التسميات التى هى عبارات الاسم فالتسمية تدل على الذات حسب دلالة الكتابة على المكتوب فمن لا يميز بين الاسم والتسمية وبين الكتابة والمكتوب وما جرى هذا المجرى فلا يحل الله له أن يفتى فى دين الله تعالى نعوذ بالله من الجهل بالله تعالى وصفاته

مسألة : ويجب أن يعلم أنه يجوز لله تعالى ارسال الرسل وبعث الأنبياء خلافاً لما تدعيه البراهمة .

والدليل عليه ايضاً انه مالك الملك يفعل مايشاء مع ماسبق من أنه ليس فى إرسال الرسل استحالة ولا خروج عن حقائق العقول فدل على جواز ذلك .

مسألة : ويجب أن يعلم أن صدق مدعى النبوة لم يثبت بمجرد دعواه وانما يثبت بالمعجزات وهى أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم للامم بالاتيان بمثل ذلك .

يبين لك ذلك ان موسى عليه السلام جاء فى زمان سحرة وسحر فتحداهم بقلب العصا حية فعلم المحققون منهم فى السحر ان ذلك خارج عن قبيل السحر لعجزهم عن ذلك وخرقه لعادة السحر فسارعوا الى الإيمان وهذا يدل على فضل العلم من أى نوع كان فانه أول من سارع إلى الإيمان السحرة لعلمهم بالسحر فكان فى علمهم ذلك وان كان باطلا فضل كبير على غيرهم من قومهم ممن لا يعلم السحر .

وكذلك عيسى عليه السلام جاء فى زمان قوم طب ومداواة فأحيا الموتى وابرأ الاكمة والأبرص فاتى بما هو خارج عن قبيل الطب خارقاً للعادة فيه لا يقدر عليه مخلوق .

وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم جاء فى وقت فصاحة وشعر وخطب ونظم ونثر فاتاهم بما هو خارج عن عاداتهم فى النظم والنثر وهو أفصح واجزل واوجز وتحداهم بالاتيان بمثله فوجدوا ذلك خارجاً عن نظمهم ونثرهم وخارقاً لعادتهم فعجزوا عنه فسارع من هداه الله إلى الإيمان به ولله الحمد والمنة على الهداية والتوفيق .

مسألة . ويجب أن يعلم ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الخلق وان شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه من الملل .

والدليل على ذلك . ثبوت نبوته وصدق مقاله وقد اخبر بجميع ذلك . وأعلم ان اكبر معجزاته القرآن العربى وفيه وجوه من الاعجاز .

أحدها : ما اختص به من الجزالة والنظم والفصاحة الخارجة عن أساليب الكلام وتحدى به فصحاء العرب بان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة ولم يتأت لهم ذلك فى مدة ثلاث وعشرين سنة .

ومن وجوه الاعجاز فى القرآن اشتماله على قصص الأولين وما كان من اخبار الماضين مع القطع بانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لايكتب ولايقرأ ولم يعهد منه صلى الله عليه وسلم فى جميع زمانه تعاط لدراسة كتب ولا تعلمها وقد نفى عنه سبحانه وتعالى ذلك بقوله : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون ٢٩ - ٤٨) ومن وجود الاعجاز [أن] اشتمال القرآن على [مالا يحصى من] علم غيوب متعلقة بالمستقبل ظاهر جلى مثل قوله تعال: (والعاقبة للمتقين ٧ - ١٢٨) وقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ٤٨ - ٢٧) . ومثل قوله (كتب الله لاغلبن انا ورسلى ٥٨ - ٢١) إلى غير ذلك من وجوه الاعجاز فى القرآن كثير جداً

وله صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات سوى القرآن كانشقاق القمر ، واستنزال المطر، وإزالة الضرر من الأمراض ، ونبع الماء من بين اصابعه ، وتسبيح الحصى فى يده ونطق البهائم إلى غير ذلك من المعجزات والآيات الخارقة للعادة. صلى الله عليه وسلم رزقنا الله شفاعته وحشرنا فى زمرته .

مسألة : ويجب أن يعلم ان نبوات الانبياء صلوات الله عليهم لاتبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة بل حكمهم فى حال خروجهم من الدنيا كحكمهم فى حالة نومهم وحالة اشتغالهم اما بأكل وشرب أو قضاء وطر .

والدليل عليه : أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم فى حالة اشتغالهم باداء الرسالة دون غيرها من الحالات لكانوا فى غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك. وقد غلط من نسب [إلى مذهب] المحققين من الموحدين إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا . وليس ذلك بصحيح لأن مذهب المحققين أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة ، وإنما صار رسولا واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله وهو الله تعالى أنت رسولى ونبيى . وقول الله تعالى قديم لايزول ولا يتغير .

والدليل على صحة هذا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : متى كنت نبياً فقال : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فحاصل الجواب فى هذا ان شرف النبوة وكمال المنصب ثابت للأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين الآن حسب ما كان ثابتا لهم فى حال الحياة لم ينثلم ولم ينتقص سواء نسخت شرائعهم أولم تنسخ ومن راجع نفسه ولم يغالط حسه عرف وتحقق أن النبي صلى الله عليه وسلم الآن لم يخاطب شفاها ولا يأمرهم ولا يكلمهم من غير واسطة لكن حكم شريعته وصحة نبوته ثابت لم ينتقض لأجل خروجه من الدنيا ولم تزل مرتبته ولا انخرمت رسالته ولا بطلت معجزته فاعلم ذلك وتحققه .

مسألة : ويجب أن يعلم ان امام المسلمين واامير المؤمنين ومقدم خلق الله اجمعين من الانصار والمهاجرين بعد الأنبياء والمرسلين ابو بكر الصديق رضى الله عنه لقوله تعالى : (ثانى اثنين اذ هما فى الغار ٩ - ٤٠) ولا افضل من اثنين ثالثهما الله تعالى لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ٥ - ٥٤) وهو الصديق وأصحابه لماقاتل أهل الردة. ولقوله تعالى: (والذى جاء بالصدق وصدق به ٣٩ - ٣٣) قيل فى أصح التفاسير الذى جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر الصديق يؤكد صحة هذا التفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « قال الناس لى كذبت ، وقال أبو بكر صدقت » ويدل عليه قوله تعالى : (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ٥٧-١٠) وهى الصديق رضى الله عنه اول من انفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « ان أمنّ الناس على فى نفس ومال ابو بكر الصديق مانفعنى مال مانفعنى مال أبى بكر » .

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء : « اتمشى امام من هو خير منك والله ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين والمرسلين افضل من ابى بكر وليس فى السماء ولا فى الأرض بعد النبيين أو المرسلين خير من أبى بكر » وكان

رضى الله عنه مفروض الطاعة لاجماع المسلمين على طاعته وامامته وانقيادهم له حتى قال امير المؤمنين على عليه السلام مجيباً لقوله رضى الله عنه لما قال : اقيلونى فلست بخيركم . فقال : لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله عليه وسلم لديننا ألا نرضاك لدنيانا . يعنى بذلك حين قدمه للامامة فى الصلاة مع حضوره واستنابته فى امارة الحج فأمرك علينا . وكان رضى الله عنه أفضل الأمة ، وارجحهم ايمانا ، واكملهم فهما وأوفرهم علما واكثرهم حلما وبه نطق قوله صلى الله عليه وسلم : « ولو وزن ايمان ابى بكر بايمان أهل الأرض لرجح ايمان ابى بكر على ايمان أهل الأرض » .

ثم من بعده على هذا امير المؤمنين عمر رضى الله عنه لاستخلافه اياه وقد ورد فى فضائله رضى الله عنه من الأحاديث مالا يحصى .

ومن جملة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لو كان بعدى نبى لكان عمر ان الله ربط الحق بلسان عمر وقلبه » . وايضا قوله صلى الله عليه وسلم : « كادت انفاس عمر تسبق الوحى » لأنه كلمه فى اسارى بدر وان تضرب اعناقهم فنزل قوله تعالى : (ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ٨-٦٧) فقال : « لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر » حين نزل قوله تعالى : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ٨-٦٨) وقال : لو حجبت نسائك فإنه يدخل عليك البر والفاجر فنزلت آية الحجاب وقال : (عسى ربه ان طلقكن ٦٦ - ٥) فنزلت الآية فى ذلك وفضله اكثر من ان يحصى.

وبعده امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لاجماع المسلمين انه من جملة الستة الذين نص عمر عليهم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ان عثمان اخى ورفيقى فى الجنة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان لنا ثالثة زوجناكها ياعثمان» . وقال صلى الله عليه وسلم: « دعوت الله تعالى ان يرفع الحساب عن عثمان ففعل . وقال صلى الله عليه وسلم : «من يزيد فى المسجد اضمن له الجنة ؟ » فزاد فيه عثمان . وقال : من يشترى رومة اضمن له الجنة » فاشتراها عثمان وجعلها للمسلمين . وقال : « من يجهز جيش العسرة فله الجنة » فجهزه عثمان تسع مائة وخمسين بعيرا واتمها ألفا بخمسين فرسا.

وبعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضائله احاديث كثيرة منها : قوله صلى الله عليه وسلم : «اللهم ادر الحق مع على حيث مادار» . وقال صلى الله عليه وسلم : « اماترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى » وقال صلى الله عليه وسلم : « لاعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فاعطاها لعلى عليه السلام .

مسألة : والدليل على إثبات الإمامة للخلفاء الأربعة رضى الله عنهم على الترتيب الذى بيناه أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا اعلام الدين ومصابيح أهل اليقين شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وشهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بانهم خير القرون فقال : « خير القرون قرنى » فلما قدموا هؤلاء الاربعة على غيرهم ورتبوهم على الترتيب المذكور علمنا أنهم رضى الله عنهم لم يقدموا احداً تشهياً منهم وانما قدموا من قدموه لاعتقادهم كونه أفضل وأصلح للامامة من غيره فى وقت توليه .

قال الشريف الأجل الإمام جمال الاسلام ووقع لى أنا دليل من نص الكتاب فى ترتيبهم على هذه الرتبة أنه لايجوز أن يكون غير ذلك [هو] قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٢٤ - ٥٥) ووعده حق وخبره صدق لايقع بخلاف مخبره فلابد من أن يتم ماوعدهم به واخبر ان يكون لهم ولايصح إلا على هذا الترتيب لأنه لو قدم على عليه السلام لم تصر الخلافة فيها إلى احد من الثلاثة لأن عليا عليه السلام مات بعد الثلاثة . وكذلك لو قدم عثمان رضى الله عنه لم تصر الخلافة إلى ابى بكر وعمر لأن عثمان مات بعد موتهما ، ولو قدم عمر لم تصر الخلافة إلى ابى بكر لأن عمر مات بعده والله تعالى أخبر ووعد انها تصير اليهم فلم يصح أن تقع إلا على الوجه الذى وقعت ولله الحمد على الهداية والتوفيق .

مسالة ويجب أن يعلم أن ماجرى بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ، ونثنى عليهم ونسال الله تعالى لهم الرضوان، والامان، والفوز، والجنان . ونعتقد ان علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله اجران . وان الصحابة رضى الله عنهم إنما صدر منهم ما كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون .

والدليل عليه قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنه ٥ - ١١٩ و ٩ - ١٠٠ و ٥٨ - ٢٢ و ٩٨ - ٨) وقوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ٤٨ - ١٨) وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وإذا اجتهد فاخطى فله أجر » فاذا كان الحاكم فى وقتنا له اجران كل اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ويدل على صحة هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم للحسن عليه السلام : « إن ابنى سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فاثبت العظم لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهم بصحة الإسلام . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يكون بين اصحابى هنات ونزغات يكفرها الله تعالى لهم ويشقى فيها من شقى » . وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى :(ونزعنا ما فى قلوبهم من غل أخواناً على سرر متقابلين ١٥ - ٤٧)

مسالة : ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضى الله عن الجميع وأرضاهم ، ونقر بفضل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضى الله عنهن وانهن امهات المؤمنين كما وصفهن الله تعالى ورسوله ونقول فى الجميع

خيراً ، ونبدع ، ونضلل ، ونفسق من طعن فيهن أو فى واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة فى فضلهم ومدحهم والثناء عليهم فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفا للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك .

مسالة : ويجب الكف عن ذكر ماشجر بينهم والسكوت عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اياكم وماشجر بين أصحابى » وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قيل له : ما تقول فيما شجر بين الصدر الأول ؟ فقال : أقول كما قال الله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ٥٩ - ١٠) . وسئل عن ذلك جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال : أقول ماقال الله : (علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى ٢٠ - ٢) . وسئل بعضهم عن ذلك فقال : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون ٢ - ١٣٤ و ١٤١) . وسئل عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال : تلك دماء طهر الله يدى منها افلا اطهر منها لسانى ، مثل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون ودواء العيون ترك مسها)

مسالة : ويجب أن يعلم أن الامامة لاتصلح الا لمن تجتمع فيه شرائط .

منها : أن يكون قرشياً لقوله عليه السلام : « الائمة من قريش » .

والثانى : أن يكون مجتهداً من أهل الفتوى لأن القاضى الذى يكون من قبله يفتقر إلى ذلك فالإمام أولى .

والثالث : أن يكون ذانجدة وكفاية وتهد لسياسة الأمور ويكون حرا ورعاً فى دينه . وهذه الشرائط كانت موجودة فى خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عليه السلام : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا » وكانت أيام الخلفاء الأربعة هذا القدر وفقنا الله للصواب وعصمنا من الخطا والزلل بمنه ورحمته .

فصل : اعلموا رحمنا الله وإياكم أن أهل البدع والضلال من الخوارج ، والروافض والمعتزلة قد اجتهدوا أن يدخلوا على أهل السنة والجماعة شيئاً من بدعهم وضلالهم فلم يقدروا على ذلك لذب أهل العلم ودفع الباطل حتى ظفروا بقوم فى آخر الوقت ممن تصدى للعلم ولا علم له ولا فهم ، ويستنكف ويتكبر أن يتفهم وأن يتعلم لأنه قد صار متصدراً معلماً بزعمه فيرى بجهله أن عليه فى ذلك عاراً وغضاضة وكان ذلك منه سبباً إلى ضلاله وضلال جماعته من الأمة .

وأعلم ان أخبث من ذكرنا من المبتدعة واكثرهم شبها وأعظمهم استجلابا لقلوب العوام ، المعتزلة ، فجعلوا يتطلبون أن يضلوا من ذكرنا فى مسألة القدر فلم يقدروا ، وكذلك فى مسألة الرؤية فلم يقدروا ، وكذلك فى مسألة الشفاعة والصراط والميزان ، وعذاب القبر وجميع ما انكروه مما صحت فيه الآثار فلم يقدروا عليهم فى شىء من ذلك ولم يظفروا به فجاؤا إلى مسألة القرآن وعقدهم فيه أنه مخلوق محدث موصوف بصفات المخلوقين فما قدروا أن يصرحوا بكونه مخلوقا فما زالوا يحسنوا لهم أمورا حتى قالوا بأن القرآن يتصف بصفات الخلق وذلك أكبر عمدة لهم فى كونه مخلوقا فرضوا منهم بأن يقولوا بخلق القرآن معنى وان لم يصرحوا به نطقا . وكان اكبر غرض هؤلاء الجهلة ممن يتصدى للعلم وليس من أهل ذلك أن ينفروا العوام من أهل التحقيق والذين يعرفون مغزاهم فى ذلك حتى لا يسمع كلامهم ولا يتعلم منهم حتى ينقرضوا شيئا فشيئا ويتم لهم ما أرادوا فى الجهال والعوام . وأنا بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ابين لك ذلك مسألة مسألة واذكر لك شبههم فى كل مسألة وهى اربع مسائل : مسألة القرآن وهى اهمها : و(الثانية) : مسألة القدر والجرح والتعديل و(الثالثة) : مسألة الرؤية : و(الرابعة) : مسألة الشفاعة .

مسألة : اعلم ان الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة وان كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا مجعول ، ولا محدث بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته كعلمه وقدرته وارادته ونحو ذلك من صفات الذات . ولا يجوز ان يقال كلام الله عبارة ولا حكاية ولا يوصف بشيء من صفات الخلق ولا يجوز ان يقول أحد لفظى بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ولا انى اتكلم بكلام الله هذه جملة أنا افصلها واحدا واحداً ان شاء الله تعالى .

مسألة : فاما الدليل على كون كلام الله قديماً غير مخلوق فمن الكتاب قوله تعالى : (الا له الخلق والأمر ٧ — ٥٤) فصل بين الخلق والأمر فدل على أن الأمر غير مخلوق لأن كلامه أمر ونهى وخبر . وأيضاً قوله تعالى : (والله يقول الحق ٣٣ - ٤) ويدل عليه أيضا قوله تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا اردناه أو نقول له كن فيكون ١٦ - ٤٠) ولو أن كلامه مخلوق لاحتاج فى خلقه إلى قول يقول به كن واحتاج القول إلى قول ثالث والثالث إلى رابع إلى مالا نهاية له وهذا محال باطل فثبت أن القول الذى تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق وهو كلامه القديم .

ويدل عليه من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » . فلما كان فضل الله على خلقه بقدمه ودوامه لأنه غير مخلوق وهم مخلوقون فكذلك القول فى كلامه فوجب أن يكون غير مخلوق وكلامهم مخلوقا .

ويدل عليه أيضاً ان ابا الدرداء لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرآن فقال : « كلام الله غير مخلوق » .

ويدل عليه ايضاً اجماع الصحابة وهو أن علياً عليه السلام لما انكر عليه التحكيم وكفر الخوارج فقال بحضرة الصحابة : والله ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القرآن . ولم ينكر ذلك منكر فدل على أنه اجماع ولأنه لو كان مخلوقا لم يخل أن

يكون خلقه فى نفسه أو فى غيره . أو فى شىء ولا يجوز أن يكون مخلوقا فى نفسه لأن ذاته لا تقوم بها المخلوقات والحوادث يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ولا يجوز أن يكون خلقه فى غيره لأنه لو كان خلقه فى غيره لكان ذلك الغير إلهاً ، آمراً ، ناهيا قائلا : (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم ٢٧-٩) وهذا محال باطل ولا يجوز أن يكون خلقه فى غير شىء لأنه يؤدى إلى وجود كلام من غير متكلم وهذا محال . فاذا ثبت بطلان هذه الثلاثة الأقسام لم يبق إلا أنه غير مخلوق بل هو صفة من صفات ذاته ، قديم بقدمه ، موجود بوجوده ، موصوف به فيما لم يزل وفيما لا يزال . ولا يجوز ان يباينه ولا يزايله ولا يحل فى مخلوق ولا يتصف بالحول رأساً فاعلم ذلك وتحققه .

فان احتجوا بقوله تعالى : (الله خالق كل شىء ١٣ - ١٦) وربما قرر عليك هذا السؤال ، والدليل كما قرره بشر المريسى على عبد العزيز المكى وهو انه قال له : اتقول ان القرآن شىء أو ليس بشىء ؟ فقال : بل هو شىء فقال يا أمير المؤمنين سلم أن القرآن مخلوق لأن الله تعالى قال : (الله خالق كل شىء ١٣ - ١٦) والجواب أن يقال فى أول [الأمر أى] شىء أردت بقولك أنه شىء [فان أردت] أنه موجود ثابت فنعم ، وان أردت بقولك أنه شىء كالأشياء من حيث خروجه من العدم إلى الوجود كالأشياء الموجودة بعد العدم فلا نقول ذلك .

والموجود الثابت لايدل على أنه مخلوق محدث فان الله موجود ثابت دائم الوجود ليس بمخلوق . وأما الجواب على جملة (خالق كل شىء) فالمراد به الخصوص دون العموم فانه[1] بعضه [قطعا] وأنه [غير د] اخل في ذلك كما سمى نفسه فقال : (كتب على نفسه الرحمة ٦ - ١٢) ثم قال : (كل نفس ذائقة الموت ٢١ - ٣٥)

---

(١) أى فان المراد بعض الشىء (ز) .

ولا تدخل نفسه فى ذلك وانما المراد به كل نفس منفوسة مخلوقة كذلك قوله : (الله خالق كل شىء ١٣ - ١٦) يعنى مما يصح فيه الخلق والحدث ، وصفات ذاته قديمة بقدمه وموجودة بوجوده فلم تدخل فى ذلك . ومثل هذا فى القرآن كثير فان الله تعالى قال فيما أخبر به عن داود وسليمان عليهما السلام : (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ٢٧ - ١٦) ولم يؤتيا سماء ولا أرضاً ، ولا شمسا ولا قمراً ولا جنة ، ولانارا ، ولا ملائكة ، ولا عرشاً ولاغير ذلك وانما اراد أوتينا من كل شىء ينبغى لمثلنا . وكذلك قوله فى قصة بلقيس : (واوتيت من كل شىء ٢٧ -٢٢) ومعلوم أنها لم تؤت النبوة ولا تسخير طير الى غير ذلك انما أراد به الخصوص دون العموم لأنها ما دمرت هوداً ، ولا السماء ، ولا الملائكة ، ولا الجبال إلى غير ذلك .

قال الشريف الأجل جمال الاسلام : ووقع لى جواب اخصر من هذا وأجود أن شاء الله وهو : أن يقول الآية حجة عليكم وان القرآن ليس بمخلوق وذلك أنه سبحانه وتعالى أفرد الخالق من المخلوق فسمى نفسه خالقا وسمى كل شىء دونه مخلوقا فالخالق بجميع صفات الذات غير مخلوق لأن الاسم هو المسمى على ماقررنا وهذا صحيح لأن الخالق هو الله العالم ، القادر ، المريد ، المتكلم وكلامه هو القرآن فدل على أنه غير مخلوق ولا داخل فى الأشياء المخلوقة ، والذى يفهم من ذلك فان كل عاقل يعلم انه يصنع كل شىء غير ذاته بصفاتها من قدرته ، وحياته ، وعلمه ، وكلامه . وكذلك إذا قيل [آخذ] الملك اليوم كل أحد ، وصغر كل صفة وحقرها ومعلوم [ان ذاته مادخلت] فى المفعولين ولا دخلت صفاته فى التحقير والتصغير فكذلك قوله : (الله خالق كل شىء ١٣ - ١٦) يعنى غير ذاته ، وذاته قديمة غير مخلوقة بجميع صفاتها فصح أن الآية حجة عليهم لا لهم . فان احتجوا بقوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ٢١ - ١٢) فوصفه بالحدث والحدث هو الخلق الجواب من ثلاثة أوجه : —

أحدها : ان الآية حجة عليهم لأنها تدل على أن من الذكر ما ليس بمحدث

لأنه لم يقل ما يأتيهم من ذكر الا كان محدثا . فثبت ان من الذكر ما هو قديم ليس بمحدث فيجب أن يكون القرآن لأن الاجماع قد وقع على أن كل ذكر غيره ، مخلوق فلم يبق ذكر غير مخلوق غير كلامه سبحانه وتعالى .

الجواب الثانى : ان الذكر ها هنا يراد به وعظ الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وتوعده لهم وتخويفه لأن وعظ الرسل عليهم السلام يسمى ذكراً يدل عليه قوله تعالى: (فذكر انما أنت مذكر ٨٨ - ٢١) ويقال : فلان فى مجلس الذكر يعنى فى مجلس الوعظ . الذى يحقق ذلك أن قريشاً لم تلعب عند سماع القرآن ولكنها كانت تفحم عند سماعه حتى قال عتبة : والله لقد سمعت كلاماً ما هو بالشعر ، وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ، وان عليه لطلاوة ، وان له لحلاوة . وفزعوا أيضاً أن تفتتن عند سماعه نساؤهم وأولادهم حين كان يقرأ ابو بكر رضى الله عنه .

الجواب الثالث : انه اراد ما يأتيهم من نهى محدث مجدد بعد نبى إلا استمعوه وهم يلعبون هل هذا إلا بشر، وقد سمى الله تعالى رسوله ذكرا بقوله : (رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً قد أحسن الله له رزقا ٦٥ - ١١).

فان احتجوا بقوله تعالى : (وكان امر الله مفعولا ٤ - ٤٧) (وكان امر الله قدراً مقدوراً ٣٣ - ٣٨) فالجواب : انه تعالى اراد عقابه وانتقامه من الكافرين ونصره للمؤمنين وماحكم به وقدره من أفعاله وهذا بمنزلة قوله (حتى إذا جاء أمرنا ١١ - ٤٠) يعنى ما أمرنا به من زيادة الماء واغراق الكافرين من قوم نوح عليه السلام ولم يعن (قولنا) وكذلك ايضا قال : (وما امر فرعون برشيد ١١ - ٩٧) يعنى شأنه وافعاله وطرائقه ولم يرد (قوله) وهذا بمنزلة قول القائل : —

فقلت لها امرى إلى الله كله وإن اليه فى الاياب لراجع

يعنى سرى وافعالى ولم يرد بذلك الأمر من القول ، وجمع هذا امور ، وجمع الأمر من القول الأوامر . ولولا عجزهم وجهلهم لم يلجؤا إلى مثل هـذا التمويه على العوام والجهال مثلهم . ولو نظروا إلى قوله تعالى : (وأفوض امرى إلى الله ٤٠ - ٤٤) تعالى انه أراد بذلك افعالى وامورى دون امره الذى هو قوله : (حتى تبين لهم انه الحق ٤١ - ٥٣) ورجعوا اليه .

فان احتجوا بقوله تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا ٤٣ - ٣) والمجعول مخلوق بدليل قوله تعالى . (وجعلنا من الماء كل شيء حى ٢١ - ٣٠) أى خلقنا فالجواب من ثلاثة أوجه : —

أحدها : ان معنى ذلك انا سميناه قرآنا عربيا ، والجعل يكون بمعنى التسمية بدليل قوله عز وجل : (الذين جعلوا القرآن عضين ١٥ - ٩١) يعنى سموه فبعضهم سماه شعراً ، وبعضهم سحراً . وبعضهم كهانة إلى غير ذلك ولم يرد انهم خلقوه . وكذلك قوله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ٤٣ - ١٩) يعنى سموهم وحكموا عليهم بذلك ولم يرد انهم خلقوهم . وكذلك قوله تعالى : (وجعلوا لله اندادا ١٤ - ٣٠) يعنى سموا . وكذلك قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ٥ - ١٠٣) وفى القرآن مثل هذا كثير .

الجواب الثانى : انه اراد انا جعلنا قراءته وتلاوته بلسان العرب وافهمنا احكامه . والمراد به باللسان العربى وتكون الفائدة فى ذلك الفرق بينه وبين التوراة والانجيل لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وافهام احكامهما باللسان العبرانى والسريانى وجعل تلاوة هذا الكتاب وافهام احكامه والمراد به بلسان العرب ولو عرفوا الفرق بين التلاوة والمتلو لم يموهوا بمثل هذا التمويه .

والجواب الثالث : ان الجعل اذا عُدى إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق ، واذا عُدى إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية فى اكثر الاستعمال . ولذلك لا يجوز أن يقول القائل : جعلت النجم والرجل ويسكت حتى يصله بقوله : جعلت النجم هادياً ودليلا ، وجعلت الرجل صديقا وصاحبا . فلما قال الله تعالى: (انا جعلناه قرآنا عربيا ٤٣ - ٣) تعدى إلى مفعولين فيكون بمعنى الحكم والتسمية .

فان احتجوا بقوله تعالى : (واذا بدلنا آية مكان آية ١٦ - ١٠١) وقالوا : ما يغير ويبدل فهو مخلوق لا محالة قلنا : هـذا جهل منكم ايضا وذلك ان التبديل والنسخ انما يكون ويتصور فى الرسم من خط أو تلاوة ، أو فى حكم فيكون تقدير الكلام واذا بدلنا حكم آية أو تلاوة آية دون المتلو القديم الذى لا يتصور عليه تبديل ولا تغيير وقد بين ذلك سبحانه وتعالى وأخبر أن كلامه القديم لا يغير ولا يبدل .

دليل الأول : قوله تعالى : (واذا بدلنا اية مكان اية ١٦ - ١٠١) يعنى حكم اية أو تلاوتها .

ودليل الثانى : قوله تعالى : (ولا مبدل لكلمات الله ٦ - ٣٤) وقوله تعالى : (لامبدل لكلماته ٦ - ١١٥) فاخبر تعالى ان التبديل يتصور فى احكام كلامه وتلاوة كلامه دون كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته ولو حققوا الفرق بين التلاوة والمتلو سلموا وجميع من وافقهم من الجهال الذين سلموا لهم وفق مذهبهم من خلق القرآن معنى ومنعوه نطقا نعوذ بالله من الجهل وسنبين هـذا الأمر إن شاء الله على الاستيفاء بالكمال فى مسئلة الفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء .

فان احتجوا بقوله تعالى : (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا إليك ١٧ - ٨٦) وقالوا : ما جاز عليه الذهاب والعدم فانه مخلوق .

فالجواب عن هذا السؤال مثل الجواب المتقدم لأن الذهاب والعدم انما يكون فى الحفظ والرسم دون المحفوظ الذى هو كلام الله تعالى . ويدل على صحة هذا ان ابن مسعود رضى الله عنه لما قال : استكثروا من قراءة القرآن قبل أن يرفع . فقيل له : كيف يرفع وقد حفظناه فى صدورنا واثبتناه فى مصاحفنا ؟. فقال : يُسرى عليه فيذهب حفظه من الصدور ، ورسمه من المصاحف . وهذا صحيح لأن حفظ المخلوق مخلوق مثله وحفظه مخلوق مثله فتصور عليه الذهاب والعدم بالنسيان والمحو . وأما المحفوظ والمكتوب[1] الذى هو كلامه القديم فلا يتصور عليه ذلك فاعلم ذلك وتحققه .

فان احتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان تناله ايديهم » قالوا : وما جاز أن ينتقل ويتحول ويسافر به فهو مخلوق . قلنا : كم هذا التمويه الذى تشبهون به على العوام وجهال الناس ، لان النبى صلى الله عليه وسلم انما اراد بهذا الكلام حمل المصحف الذى فيه كلام الله مكتوب ولم يرد بذلك نفس كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته وقد قرنه صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن المراد به المصحف دون غيره الا تراه قال : « مخافه ان تناله ايديهم» ومعلوم أن الذى تناله ايديهم انما هو المصحف دون غيره وقد بين عليه السلام ذلك فى حديث آخر ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه : « لا تمس القرآن إلا وانت طاهر » يريد بذلك الصحف التى يكتب فيها القرآن دون نفس القران الذى هو كلام الله تعالى لانه صفة من صفات ذاته ولا يتصور على صفات ذاته اللمس ونيل الأيدى .

فان قالوا : اجمعنا على ان القرآن سور ، والسور آيات ، والآيات كلمات ، والكلمات حروف واصوات . وجميع ذلك يدل على كونه محدثا مخلوقا لان السور

---

(١) وصف القرآن القائم بالله سبحانه بالمكتوب ، والمحفوظ ، والمتلو من قبيل وصف المدلول بوصف الدال مجازاً كما حققه التفتازانى فى شرح المقاصد على ما سبق (ز).

معدودة محسوبة لها أول وآخر ، وكذلك الآيات والحروف ومادخله الحصر والعد وكان له اول واخر فهو مخلوق ، وهذه الشبهة التى سخّمت وجوه من وافقهم فى مقالتهم هذه من أهل السنة الجهال بطرق التحقيق حيث سلموا لهم مع زعمهم انه كلامه ليس بمخلوق ماقرروه من هذه الشبهة وقالوا مثل قولهم ان كلامة حروف واصوات فانا لله وانا اليه راجعون . (١)

والجواب عن هذه الشبهة : ان يقال لهم : اما ماذكرتم من الحصر ، والتحديد والتبعيض ، والحروف ، والأصوات فجميع ذلك راجع الى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذى هو صفة من صفات ذاته لان جميع ماذكرتم يحتاج الى مخارج من لسان ، وشفتين ، وحلق والله يتعالى ويتنزه عن جميع ذلك . بل نقول ان كلامه

---

(١) قال السعد فى شرح المقاصد : (انتظم من المقدمات القطعية والمشهورة قياسان ينتج احدهما قدم كلام الله تعالى ، وهو انه من صفات الله وهى قديمة ، والآخر حدوثه وهو انه من جنس الأصوات ، وهى حادثة ، فاضطر القوم الى القدح فى احد القياسين ومنع بعض المقدمات ضرورة امتناع حقية النقيضين ، فمنعت المعتزلة كونه من صفات الله تعالى ، والكرامية كون كل صفة قديمة ، والأشاعرة كونه من جنس الاصوات والحروف ، والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثا ، ولا عبرة بكلام الكرامية والحشوية ، فبقى النزاع بيننا وبين المعتزلة . وهو فى التحقيق عائد الى إثبات الكلام النفسى ونفيه ، وأن القرآن هو أو هذا المؤلف من الحروف الذى هو كلام حسى أولا . فلا نزاع لنا فى حدوث الكلام الحسى ولا لهم فى قدم النفسى لو ثبت) ثم قال السعد : (وعلى البحث والمناظرة فى ثبوت الكلام النفسى وكونه هو القرآن ينبغى ان يحمل مانقل من مناظرة ابى حنيفة وابى يوسف ستة أشهر ثم استقر رأيهما على ان من قال بخلق القران فهو كافر) وهذا التحقيق هو مفتاح هذا البحث الطويل العريض . وقد أثبت المصنف الكلام النفسى بكل ماجلاء فى موضعه ، وحدوث ما سواه مما فى الأذهان والألسنة والخطوط جلى واضح عند أرباب العقول فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون (ز) .

صفة له قديمة لا يحتاج فيه الى اداة من صوت ، أوحرف ، أو مخرج . يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وكذلك ماذكرتم من الحصر ، والعد ، والأول ، والآخر انما ذلك راجع الى تلاوة المخلوقين لكلامه وكتبتهم لكلامه دون كلامه الذى هو صفة وقد بين ذلك سبحانه وتعالى باظهر بيان لمن كان له فهم صحيح لانه تعالى قال : (قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مدداً ١٨ - ١٠٩) وقوله تعالى : (ولو ان مافى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ٣١-٢٧) ومعلوم ان الكاتب منا يكتب عدة مصاحف بمحبرة واحدة ، ويتلو التالى مناعدة ختمات فالمحصور والمعدود المحدود الذى يتصف بأول واخر صفاتنا من تلاوتنا لكلامه ، وخطنا لكلامه ، وحفظنا لكلامه. فاما صفته التى هى كلامه على الحقيقة فلا تتصف بالزوال ، والحصر ، والعد ، والأول والآخر على ما اخبر سبحانه وتعالى على مقتضى التحقيق لان كل ما اتصف بالبداية والفراغ والحصر والعد فانما هى صفة المخلوق لا صفة الخالق القديمة بقدمه الموجودة بوجوده التى لا يجوز ان تتقدم عليه ولا تتأخر عنه فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من ضلالة الفريقين وتخلص من جهل الطائفتين .

مسألة : ويجب أن يعلم أن القراءة غير المقروء ، والتلاوة غير المتلو[1] والكتابة غير المكتوب وهذا انما خالف فيه من لاحس له ، ولافهم ، ولاعقل ، ولاتصور ،

(١) اعلم ان المتلو فى الحقيقة هو اللفظ ، والمكتوب هو أشكال الحروف ، والمحفوظ هو الحروف المتخيلة ، والمسموع هو الصوت ، واما التلاوة ، والكتابة والحفظ ، والسماع بالمعانى المصدرية فانما هى نسب بين التالى والمتلو ، والكاتب والمكتوب ، والحافظ والمحفوظ ، والسامع والمسموع فطرفا كل من هذه النسب مخلوقان ، وإنما القديم هو ماقام به سبحانه ، واطلاقنا المتلو والمحفوظ والمكتوب والمسموع ونحو ذلك على ماقام به سبحانه من قبيل وصف المدلول بصفة الدال كما ذكرت فيما علقت على الأسماء والصفات نص قول السعد فى شرح المقاصد فى ذلك (ز).

ونحن بحمد الله نبين الفرق بين الأمرين من الكتاب والسنة ودليل العقول .

فاما الدليل من الكتاب فكثير جداً . احدها : قوله تعالى : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ١٧ - ١٠٦) فاخبر تعالى ان القرآن منه منزل موحى وان الرسول يقرأه ويعلمه فالموحى المنزل المقروء هو كلام الله تعالى القديم وصفة ذاته والقراءة له فعل الرسول التى هى صفته . وايضاً قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ٥ - ٧٠) ففعل الرسول البلاغ الذى هو القراءة : وقوله تعالى : (لاتحرك به لسانك ٧٥ - ١٦) وقوله تعالى : (الا إذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ٢٢ - ٥١) وقوله تعالى : (يتلونه حق تلاوته ٢ - ١٢١) وقوله تعالى : (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وامرت انا كون من المسلمين ٢٧-٩١) (وان اتلو القرآن ٢٧ - ٩٢) فمعلوم ان هاهنا آمر امر بشيئين وهو الله تعالى ، ومأمور وهو الرسول فامره بالعبادة له فحصل هاهنا آمر ، ومأمور ، ومأمور به ، فالآمر هو الله تعالى ، والمأمور الرسول ، والمأمور به العبادة ، فالمعبود غير العبادة التى هى فعل الرسول ، فكذلك التلاوة(١) غير المتلو ، لأن التلاوة فعل الرسول وهو المامور بها . والمتلو كلامه القديم ولم يامره ان ياتى بكلامه القديم لأن ذلك لايتصور الأمر به ولا يدخل تحت قدرة مخلوق، انما امر بتلاوة(١) كلامه كما امر بعبادته وعبادته غيره ، فكذلك تلاوة كلامه غير كلامه ، فحصل من هذا : تال. وهو الرسول عليه السلام و تلاوته صفة له . ومتلو:

---

(١) ومما يجب الانتباه اليه هنا ان التلاوة بالمعنى المصدرى لها طرفان كما سبق جانب الفاعل وجانب الأثر المترتب عليه الذى يقال له الحاصل بالمصدر المبنى للمفعول وهذا هو المتلو حقيقة فالتالى والمتلو بهذا المعنى مخلوقان واما ما دل عليه هذا الصوت المكيف فهو صفة لله قائمة به وقديمة قدم باقى صفاته الذاتية الثبوتية فليس مراد المصنف بالمتلو والمحفوظ والمكتوب ماهو أثر مترتب على المعنى المصدرى للتلاوة والحفظ والكتابة بل مراده بها الصفة القائمة بالله التى لاترتب ولا تقدم ولا تأخر فيها . وفى شرح المقاصد تفصيل ذلك (ز) .

وهو كلام الله القديم الذى هو صفة له . ويدل عليه ايضاً قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن ١٦ - ٩٨) . ففرق بين القراءة والمقروء : وايضا قوله تعالى : (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك ١٨ - ٢٧) فذكر قرآءة ومقروءاً ، وتلاوة ، ومتلواً ، وعند الجاهل ان ذلك شيء واحد .

وايضاً فانه امر بالتلاوة والقراءة ، والأمر هو استدعاء الفعل ، والفعل صفة المأمور لا صفة الآمر الا ترى أنه امر بالعبادة ، والعبادة صفه العابد لا المعبود . ويدل عليه ايضاً قوله تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ٢٩-٤٨) فاخبر تعالى انه لم يكن تاليا ، ثم جعله تالياً ، ولم يكن كاتباً ، ولم يجعله ايضا فى الثانى كاتباً ، وقد جعل غيره تاليا لكلامه كاتباً له ، ومعلوم عند كل عاقل ان ما لم يكن ثم كان وهى التلاوة صفة للرسول لم يكن موصوفاً بها ثم صار موصوفاً بها غير كلام الله الذى هو صفة له لا يستحق غيره الوصف بها ولا يتصف بأنه لم يكن ثم كان ، ومعلوم ان الرسول كان تالياً قبل أن تكون امته تالية ، وحافظاً قبل أن تكون امته حافظة ، ثم صارت امته تالية حافظة لما اقرأها وحفظها ، فتلاوته غير تلاوة امته لتقدمها عليها وتلاوة امته غير تلاوته لتاخرها عنها والذى تلاه بتلاوته فهو كلام الله القديم و[كذا] الذى تلته امته بتلاوتها . فلا يخفى على عاقل ان التلاوة غير المتلو ، كما أن العبادة غير المعبود ، والذكر غير المذكور ، والشكر غير المشكور ، والتسبيح غير المسبح ، والدعاء غير المدعو إلى غير ذلك .

ويدل على صحة ذلك من السنة وان القراءة والتلاوة صفة القارى ، والمقروء المتلو صفة البارى قوله صلى الله عليه وسلم : « من اراد ان يقرأ القرآن غضاً فليقرأ على قراءة ابن ام عبد » يعنى ابن مسعود فاضاف القراءة إلى ابن مسعود ، والمقروء صفة الله تعالى ، والذى يدل على صحة هذا القول انه يجوز ان يقال هذا الحرف قراءة ابن مسعود وليس قراءة أُبى وغيره من القراء ، ولا يجوز ان يقال ان المقروء الذى يقرأه ابن مسعود غير المقروء الذى يقرأه أُبى ، لأن القراءة تكون غير القراءة والقران الذى يقرأه هذا بقراءته هو القرآن الذى يقرأه هذا انه شيء واحد لا يختلف ولا يتغير وان تغيرت القراءة له واختلفت . والذى يوضح لك هذا ويبينه تبييناً مستوفيا

ان عمر رضى الله عنه لما مر على بعض الصحابة وهو يقرأ سورة الفرقان على خلاف قراءة عمر فانكر ذلك عليه وقال : قد قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف هذه القراءة ولببه حتى اتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال : «خل عنه ، إقرأ ياعمر فقرأ فقال : هكذا انزل ، ثم قال للآخر . اقرأ فقرأ بالقراءة التى سمعها عمر منه فقال : هكذا انزل . ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه» . فاخبر صلى الله عليه وسلم باختلاف القرائتين وان كل واحدة منهما تؤدى إلى ماتؤدى اليه الأخرى وهو المتلو المقروء القديم الذى لايختلف ولا يتغير . وأيضاً ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه من عدة طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم واتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما انى لاأقول الم حرف ولكن بالالف عشر » الحديث ... » .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله » فأضاف القرآن إلى الله تعالى لأنه صفة من صفات ذاته ، وأضاف التلاوة إلى التالى لانها صفته يؤجر عليها كما يؤجر على جميع افعال طاعاته . وايضاً قوله صلى الله عليه وسلم: «استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل » وهذا يدلك على الفرق بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو ، لانه صلى الله عليه وسلم لما حضهم على أخذ القراءة للقرآن عن هؤلاء الأربعة لأنهم قد باينوا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم فى جودة القراءة وصحتها والعلم بها ، وهذا المعنى صحيح لأن الغلط ، واللحن ، والتحريف ، والتصحيف إنما يقع فى القراءة والتلاوة التى هى صفة القارى ، فاما القرآن المقروء فهو كلام الله تعالى الذى قد أخبر انه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولأن القراءة تتعوج فيقومها القارئ الماهر لأنها يجوز عليها التعويج والتغيير ، فاما كلام الله القديم فليس يوصف بالتعويج . دليله : قوله تعالى : (ولم يجعل له عوجا قيما ١٨ — ١) وأيضاً ماروى عن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، وابو بكر ، وعبد الله ابن مسعود يقرأ فاستمع لقرائته فلما ركع أو سجد قال صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه من سره ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ قراءة ابن ام عبد » . فاضاف القراءة إلى عبدالله ، لأنها صفته وعبادته عليها يثاب ويؤجر ، والمقروء بها كلام الله القديم الازلى وقد روى : « من سره ان يقرأ القرآن رطبا » وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر ، وعمر وانى اقرأ سورة النساء فكنت اسجلها سجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه » ومعلوم عند كل عاقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما وصف بالغضاضة والطراوة والتسجيل قراءة ابن مسعود دون كلام الله تعالى المتلو المقروء لأنه لا يوصف بالشيء وضده فاعلم ذلك وتحققه ، ولأن صفة القراءة تارة تكون غضة رطبة من قارئ دون قارئ انما ذلك راجع إلى صفات المحدثين الذين يتفاضلون فى قراءتهم واصواتهم فتكون قراءة بعضهم غضة رطبة ، وقراءة بعضهم فجة سمجة ، ويكون صوت احدهم حادا حسنا ، وصوت آخر فجا جهوراً عاليا ، فاما القرآن المقروء المتلو فلا يختلف فى ذاته بأى قرائة قرئ ، وبأى تلاوة تلى ، وبأى صوت سمع . بل الأدوات ، والاصوات واللغات تختلف فى الجودة والرداءة والخفاء والجهارة .

فصل : وقد روى من الأخبار والآثار عن سيد الأولين والآخرين وصحابته رضى الله عنهم فى الفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء مالا يحصى عدداً ونحن نذكر شيئاً من ذلك يقوى جميع ما تقدم .

فمن ذلك ماروى عن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعجمى ، والاعرابى . قال : فاستمع وقال : « اقرؤه فكل حسن سيأتى قوم يقومونه كما يقومون القدح يتعجلونه ولا يتأملونه » .

وعن سهل بن سعد الساعدى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقترىء يقرى بعضنا بعضا فقال : « الحمد لله كتاب الله واحد فيه الأحمر والأسود اقرؤا اقرؤا قبل أن يجىء قوم يقومونه كما يقومون القدح ولا يجاوز تراقيهم يتعجلون اجره ولا يتأملونه ففصل صلى الله عليه وسلم فى هذين الحديثين بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء ، لأنه صلى الله عليه وسلم عنى بالأحمر العربى الفصيح ، وبالأسود الأعجمى ، فالعجمى يقع فى قراءته اللكنة والتمتمة ويسلم من ذلك العربى الفصيح فاستمع صلى الله عليه وسلم قراءتهم المختلفة وحثهم ورغبهم فى القراءة واخبر ان كتاب الله واحد ليس بمختلف ولا متغاير ، ثم اعلمهم بمجىء قوم من بعدهم ممن يقوم القراءة تقويم القدح ، فعلم كل عاقل ان كلام الله القديم الأزلى ليس مما يعوج فيقوم ، وانما العوج يقع فى قراءة القارىء فيقوم .

ويدل عليه أيضا قول ابن مسعود رضى الله عنه : عجبت للناس وتركهم لقراءتى واخذهم قراءة زيد بن ثابت ، وقد اخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد بن ثابت غلام صاحب ذوآبة ، فاضاف ابن مسعود قراءته إلى نفسه، وأضاف قراءة زيد إلى نفسه ، وأخبر أن قراءته أكمل من قراءة زيد لأخذه لها من فى رسول الله صلى الله عليه وصلم فغاير بين القراءتين ، ومعلوم عند كل عاقل أن المقروء والمتلو الذى يقرأه عبد الله هو المقروء المتلو الذى يقرأه زيد وان كانت قراءة أحدهما غير قراءة الآخر .

ويدل عليه ما روى عن عمرو بن مرة قال : سمعت أباوائل يحدث : ان رجلا جاء إلى ابن مسعود فقال : انى قرأت المفصل كله فى ركعة فقال عبد الله : هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن . وعنه أيضا أنه قال له رجل : انى أقرأ المفصل فى ركعة فقال عبد الله : هذًّا كهذ الشعر إن اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ نفع . ومعلوم ان ابن مسعود رضى الله عنه لم يشبه كلام الله تعالى بهذّ

الشعر ، وانما شبه قراءة القارئ دون كلام البارى . وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم: « من قرأ القرآن باعراب فله اجر شهيد » . وايضا ماروى انس بن مالك قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم :« من قرأ القرآن متثبتا أو باعراب كان له بكل حرف فضل اربعين حسنة » . فكل عاقل يعلم ويتحقق ان القراءة المعربة غير القراءة الملحونة لأن من صحح قراءة الفاتحة صحت صلاته ، ومن ترك ذلك مع قدرته عليه بطلت صلاته . فأما كلام الله تعالى القديم فلا يتصف بالصحة وضدها بل هو صحيح على كل حال وان وقع الفساد فى القراءة .

وايضا ماروى قتادة قال : قلت لانس بن مالك كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : يمد صوته مداً . وايضا ماروى عبدالله بن مغفل قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وهو على ناقته أو جمله وهو يسير وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة . فمعلوم عند كل عاقل عارف ان الترجيع ، والمد ، واللين . إنما تقع فى القراءة التى هى صفة القارئ دون كلام الله القديم الازلى ، ومن اعتقد ان الترجيع . والمد ، واللين الذى هو صفة القارئ ومد صوته ولينه راجع إلى الكلام القديم الازلى فقد جهل الله تعالى وصفات ذاته وصرح بحدوث القرآن وخلقه . وايضا ما روى النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افضل عبادة امتى قراءة القرآن» وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النظر فى كتاب الله عبادة » وروى ابو سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطوا اعينكم حظها من العبادة . قالوا يارسول الله: وما حظها من العبادة ؟ قال : قراءة القرآن نظراً والاعتبار والتفكر فيه » . وقال ابن مسعود : « النظر فى المصحف عبادة » فقد اتضح بهذه الأخبار الفرق بين القراءة والمقروء لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل قراءتنا عبادة منا ، والعبادة منا صفتنا التى نثاب عليها ونؤجر وذلك ان الله تعالى وصف عبادته على الأعضاء ، وكل عضو من ابن ادم مخصوص بنوع من العبادة ، فالقلب مخصوص بالعلم بالله تعالى وبمعرفته وبحفظ كلامه ، والايمان به وبكلامه ، ثم المعرفة غير المعروف ، والعلم غير المعلوم ، والايمان غير المؤمن به ،

والحفظ غير المحفوظ ، لان العلم صفة العبد ، والمعلوم الرب تعالى ، وكذلك الايمان صفة للعبد ، والمؤمن به هو الله تعالى . وكذلك الحفظ صفة العبد لم يكن يحفظ ثم صار حافظا ، والمحفوظ كلام الله القديم الذى لا يتصف بأنه لم يكن ثم كان بل قديم موجود بوجود الحق سبحانه وتعالى موجود قبل الحفظ وبعده ، واللسان مخصوص من العبادة بالذكر لله تعالى والتسبيح له والدعاء له ، وقراءة كلامه ، ثم الذكر صفة الذاكر ، والمذكور هو الله تعالى ، والتسبيح صفة المسبح ، والمسبَّحْ هو الله تعالى ، والدعاء صفة الداعى والمدعو هو الله تعالى . كذلك القراءة صفة القارى التى هى له عبادة وطاعة ، والمقروء كلام الله القديم الموجود قبل القارئ وقبل قراءته فافهم ان كان لك فهم .

وعبادة العين : النظر فى المصحف ، والتفكر فى الآيات من كلام الله تعالى ، فالناظر إنما يثاب على نظره الذى هو صفة لا على المنظور فيه الذى هو صفة الله تعالى . ولهذا المعنى : ان من كان أكثر قراءة ونظراً وتفكراً كان اكثر ثوابا ممن نظر اقل من نظره ، وقرأ أقل من قراءته ؛ فالزيادة والنقصان إنما يكونان فى افعال العباد التى تتصف بالشىء وضده ، فاما القديم الذى هو كلام الله فلا يتصف بالشىء وضده فاعلم ذلك وتأمله تهد ان شاء الله .

ويدل على الفرق بين القراءة والمقروء ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من طرق عدة انه قال : « خذوا القرآن من اربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وزيد بن ثابت . ومعاذ بن جبل » ثم خص عبد الله بن مسعود فقال : « من سره ان يقرأ القرآن غضا رطبا كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد » يعنى ابن مسعود . فالدليل من وجهين :

احدهما : انه صلى الله عليه وسلم خص هؤلاء الأربعة بجودة القراءة دون غيرهم من الصحابة وان كان المقروء بقراءة هؤلاء هو المقروء بقراءة غيرهم ففاضل صلى الله عليه وسلم بين القراءة وقدم بعضها على بعض وكلام الله القديم لا يجوز عليه الجودة والرداءة بل كله شىء واحد جيدا لا يختلف وان اختلفت القراءة له .

الثانى من الدليلين : ان الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف القراءة إلى ابن مسعود دون القرآن الذى هو كلام الله تعالى فقال : « من سره ان يقرأ القران كما انزل

فليقرأ على قراءة ابن مسعود » . فقراءة ابن مسعود صفة له ، والمقروء كلام الله صفة له لا لابن مسعود . وايضا فانه وصف قراءة ابن مسعود بانها غضة رطبة ، وهذه صفة لا تقع إلا على صفة المحدثين لأن قراءة بعضهم تكون غضة رطبة مستحسنة تميل إليها القلوب ، وقراءة بعضهم فجة غليظة تنفر عنها الطبائع ، والمقروء بهذه هو المقروء بهذه وكذلك بعض القراءات مصححة معربة ، وبعضها ملحونة معوجة مفسدة ، والمقروء بهذه هو المقروء بهذه ، لأن القديم لا يتصف بالصحة تارة وبالفساد تارة اخرى ، انما يتصف بالفساد تارة وبالصحة تارة أخرى صفة المخلوقين ، وهى قراءتهم دون المقروء والمتلو الذى هو كلام الله القديم .

فصل : وأما الدليل على أن الحروف والأصوات من صفات قراءة القارى لا أنها من كلام البارى سبحانه وتعالى من الأخبار فكثير جدا لكن ان شاء الله اذكر من ذلك ما يقع به الكفاية لكل عاقل محصل .

فمن ذلك : ما روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل فقرأ يخفض طوراً ويرفع طوراً . وعن أم سلمة رضى الله عنها انها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا ، فموضع الدليل من هذين الخبرين انهما اضافا القراءة إليه صلى الله عليه وسلم ، وأضافا الخفض والرفع بتفسير الحروف حرفا حرفا إلى قراءة القارىء لا إلى كلام البارى وكل حديث اذكره لك بعد هذين الحديثين فتأمله فانى اذكرها سردا ان شاء الله فتجد فى كل حديث ما يدلك على صحة ما أقول وهو : اضافة الصوت ، والحرف إلى قراءة القارىء لا إلى كلام البارى القديم الازلى .

فيدل على صحة ذلك ما روى عن ام سلمة رضى الله عنها انها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية ، ولو شاء العاد أن يعدها احصاها . وهذا يدلك على ان القراءة تنعد وتنحصر ، والمقروء القديم لا ينعد ولا ينحصر فافهم ذلك ، ويدل على ذلك أيضا ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها سئلت أكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن . قالت .

ربما رفع وربما خفض . ويدل عليه ايضا ماروى عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العشا بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتا منه .

ويدل عليه ايضا ما روى عن انس انه قال : ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه ، وحسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه وحسن الصوت إلا انه كان لا يُرَجِّعُ . وايضا ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه : « مالك إذا قرأت لاترفع صوتك » قال : انى أُسمع من اناجى . وقال لعمر : « مالك إذا قرأت ترفع صوتك جداً » قال أُوقظ الوسنان وانفر الشيطان. وقال لعمار : « مالك إذا قرأت تأخذ من هذه السورة ومن هذه السورة ؟ فقال : سمعتنى أخلط به ماليس منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكله طيب » فوضع الدليل ان الرسول عليه السلام اضاف قراءة كل واحد وصوته إليه وذكر انها قراءة مختلفة وأضاف إلى كل واحد صفته من القراءة والصوت ولم يضف إلى كلام الله تعالى شيئا من ذلك فافهم .

وايضا ماروى عن أم هانى رضى الله عنها قالت : كنت اسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا على عريشى . وأيضاً ماروى جبير بن مطعم قال : اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى باصحابه المغرب فسمعته وهو يقرأ وقد خرج صوته من المسجد : (ان عذاب ربك لواقع ، ماله من دافع ٥٢ — ٧ و ٨) فكانما صدع قلبى ويقال ان هنا كان سبب اسلامه لانه جاء يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر ، فلما سمع قرآة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن صوته قال : فكانما صدع قلبى ، وكانى بالعذاب قد احاط بى ، فصدقت وآمنت من ساعتى . وهذا الحديث ادل دليل على الفرق بين القراءة والمقروء، وان الصوت صفة الصايت والقارىء دون كلام البارى ، لان الذى صدع قلبه وهداه انما هو الذى فهمه من كلام الله تعالى الذى أوعد به المستكبرين ، فعلو الصوت من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة للرسول عليه السلام ، والذى صدق به قلبه هو مافهمه من كلام الله تعالى الذى سمعه بواسطة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلو

صوته ، لان الاصوات والحروف لا تهدى ولا تشقى ، اذ لا تأثير لها فى احياء القلوب واقبالها ، انما الذى يحيى القلوب ويهديها كلام الله القديم الازلى يدل عليه قوله تعالى : (ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ٤٢ — ٥٢) فالهادى الشافى المقروء لا القراءة والمفهوم من الصوت لا الصوت .

يدل على ذلك ايضاً ماروى ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماقال عبد قط اذا اصابه هم أوحزن : « اللهم انى عبدك وابن عبدك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك اسالك بكل اسم هوللك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أواستأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا » ، قالوا يارسول الله ينبغى لنا أن نتعلم هاؤلاء الكلمات ؟ قال : « أجل . ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن » فبين لك صلى الله عليه وسلم أن كلام الله الذى هو القرآن هو الذى يهدى ويشفى لاقراءة القارىء .

وأيضا ماروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا انا فى الجنة إذا سمعت صوت رجل بالقرآن فقلت من هذا ؟ فقالوا : حارثة بن النعمان . كذلك البر . كذلك البر » . وكان حارثة من ابر الناس بامه ، واضاف صلى الله عليه وسلم الصوت إلى الرجل الصايت دون القرآن . ولو انى استقصى الاخبار والآثار فى الفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء لاحتاج إلى مجلدات عدة لكن ذكرت من ذلك ما فيه كفاية بحمد الله لمن له عقل سليم وفهم صحيح ، فاذا تقرر هذا صح لك ان القراءة صفة القارىء ، والمقروء على الحقيقة كلام البارى ، وكذلك الحفظ صفة الحافظ ، والمحفوظ كلام الله تعالى ، وكذلك الكتابة صفة الكاتب وصنعته ، والمكتوب كلام الله تعالى ، كما ان الذكر صفة الذاكر ، والمذكور هو الله تعالى ، وكذلك العبادة من الصلاة ، والصوم ، والحج صفة للعابد وهى فى أنفسها مختلفة الصفات متغايرة ، والمعبود بها واحد احد ليس بمختلف ولا متغاير وهو الله تعالى وفى هذا كفاية لمن سلم له التصور والفهم .

وأما الدليل من جهة العقل هو أن يعلم أن القراءة تارة تكون طيبة مستلذة ، وتارة فجة تنفر منها الطباع ، وتارة رفيعة عالية ، وتارة منخفضة خفية ، وتارة ، يلحقها اللحن والخطأ ، وتارة تصح وتقوم ، وما جازت عليه الأشياء فلا يجوز أن يكون إلا صفة الخلق دون صفة الحق . وكذلك ايضا الكتابة تارة تكون مرتبة جيدة حسنة يمدح كاتبها . وتارة وحشية يذم كاتبها ، والانسان إنما يمدح ويذم على فعله ، فصح أن الكتابة صفة الكاتب ، والمكتوب بها كلام الله تعالى ، وأيضا فان الكتابة يلحقها المحو ويتصور عليها الغرق ، والحرق ، والتواء ، والتلف ، وكلام الله القديم لا يتصور عليه شيء من ذلك . وكذلك الحفظ ، والسمع تارة يوجد ، وتارة يعدم ، وما يجوز عليه الوجود بعد العدم والعدم بعد الوجود فليس بصفة لله تعالى وانما هو صفة المخلوق المربوب ، لكن المسموع من القرآن ، والمحفوظ منه ، والمقروء منه ، والمكتوب منه كلام الله القديم الذى ليس بمخلوق ولا مربوب فافهم تصب ان شاء الله .

وأيضاً فان من حلف بالطلاق الثلاث أن لا يقوم من مقامه حتى يفعل فعلا يكون عبادة وطاعة لله تعالى فقرأ عشر آيات من القرآن ثم قام ولم يفعل شيئا غير ذلك لم يحنث فى يمينه باجماع المسلمين ، فصح أن قراءته فعله وعمله الذى صار به فاعلا ، عابداً ، طائعاً . وان المقروء بقراءته كلام الله تعالى القديم الذى ليس بفعل لأحد فافهم .

وأيضا فان قراءة القارىء تارة تكون طاعة وقربة ، وتارة تكون معصية وذنبا . فاما الطاعة فهى اذا قرأها وهو طاهر غير جنب وغير مراءى بها أحد من الخلق ، وتكون معصية إذا قرأها وهو جنب مرآءى ، وما يكون تارة طاعة وأخرى معصية كيف يكون صفة الحق؟ - تعالى عن ذلك - بل هو صفة الخلق ، لكن المقروء فى الحالتين شيء واحد وهو كلام الله تعالى القديم لا يتصف بالشيء وضده فافهم وفى بعض هذا مقنع لمن لم يكن يكابر الضرورات .

مسألة : ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب فى المصاحف على الحقيقة (١) كما قال : (انه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون ٥٦ - ٧٧ و ٧٨) وهو فى مصاحفنا مكتوب على الوجه الذى هو مكتوب فى اللوح المحفوظ كما قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ ٨٥ - ٢١ و ٢٢) لكن نحن نعلم وكل عاقل ان كلام الله الذى هو مكتوب فى اللوح المحفوظ هو القرآن المكتوب فى مصاحفنا شىء واحد لا يختلف ولا يتغير وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا ، وان الخط الذى فيه غير الخطوط التى فى مصاحفنا ، وان القلم الذى كتب فى اللوح المحفوظ غير اقلامنا ، وكذلك ما اختلف وغاير غيره واختص بمكان دون مكان وزمان دون زمان فهو مخلوق مربوب ، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير ولا يجوز عليه شىء من صفات الخلق ، فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته . وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة كما قال تعالى : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ٢٩ - ٤٩) لكن نعلم قطعاً أن زيداً الحافظ غير عمرو الحافظ ، وان قلب هذا غير قلب هذا ، وان حفظ هذا غير حفظ هذا . لكن المحفوظ لهذا بحفظه هو المحفوظ للاخر بحفظه وهو شىء واحد لا يختلف ولا يتغير اذ هو صفة الله تعالى قديم غير مخلوق ، وكذلك نقول أنه مقروء بالسنتنا نتلوا بها على الحقيقة لكن نعلم أن زيداً القارىء غير عمرو القارىء ، وان لسان زيد غير لسان عمرو ، وان قراءة زيد غير قراءة عمرو ، ولكن المقروء لزيد هو المقروء لعمرو شىء واحد لا يختلف ولا يتغير بل هو كلام الله القديم الذى ليس بمخلوق ولا يجوز عليه صفات الخلق وهذا كما قال تعالى : [انما انزل بعلم الله ١١ - ١٤] يعلمه زيد بعلمه ويعلمه عمرو بعلمه ، ويعبده زيد بعبادته ، ويعبده عمرو بعبادته ، ويدعوه زيد بدعائه ، ويدعوه عمرو بدعائه ، ويذكره زيد بذكره ، ويذكره عمرو

---

(١) عند من يرى وجود الشىء فى الأعيان والأذهان واللسان والكتابة ونحوها حقائق يشترك بينها لفظ الوجود اشتراكا لفظيا (ز) .

بذكره ، ويسبحه زيد بتسبيحه . ويسبحه عمرو بتسبيحه ، فزيد غير عمرو . وذكره غير ذكر عمرو ، وعبادته غير عبادة عمرو ، ولكن المعبود لهذا هو المعبود لهذا . والمذكور لهذا هو المذكور لهذا ، والمسبح لهذا هو المسبح لهذا ، والله تعالى القديم الواحد الذى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١)

مسألة : ويجب أن يعلم ان كلام الله تعالى مسموع لنا على الحقيقة (١) لكن بواسطة وهو القارىء .

دليل ذلك قوله تعالى : (وإن احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ٩ - ٢٦) واعلم : ان المسموع فهو كلام الله القديم صفة لله تعالى قديمة موجودة بوجود قبل سماع السامع لها ، وانما الموجود بعد أن لم يكن هو سمع السامع وفهم الفاهم لكلام الله تعالى يحدث الله تعالى له سمعا إذا اراد أن يسمعه كلامه ، وفهما اذا أراد أن يفهمه كلامه لأن المسموع لم يكن ثم كان عند السمع والفهم ، وهذا كما أن الله موجود قديم بوجود قديم ، وإذا خلق رجلا أوامره لعبادته وسهل له العبادة التى لم تكن ثم كانت فانه يصير عابدا لله تعالى الذى هو موجود قديم دائم قبل العبادة وبعدها ، وانما الذى لم يكن ثم كان هو العابد والعبادة فافهم الحق وحدوده .

مسألة : فحصل من هذا أن الله تعالى يسمع كلامه لخلقه على ثلاث مراتب : تارة يسمع من شاء كلامه بغير واسطة لكن من وراء حجاب ، ونعنى بالحجاب

---

(١) على القول بالاشتراك بين الوجودات السابق ذكرها ، واما على القول بان القرآن اسم للنظم الدال لا من حيث تعين من قام به فيكون واحداً بالنوع كما هو قولهم فى أسماء الكتب فيكون المقروء هو هو بدون إشكال الحدوث والقدم فما قام بالقديم قديم ، وما قام بالحادث حادث (ز) .

للخلق لا للحق كموسى عليه السلام اسمعه كلامه بلا واسطة [١] لكن حجبه عن النظر إليه ، وتارة يسمع كلامه من شاء بواسطة مع عدم النظر والرؤية أيضاً من ملك أو رسول أو قارىء ؛ وهو استماع الخلق من الرسول عند قراءته للصحابة وقراءة الصحابة على التابعين ، وكذلك هلم جرا إلى يومنا هذا يسمع كلام الله تعالى على

---

(١) وفى شرح المقاصد : (اختصاص موسى عليه السلام بانه كليم الله تعالى ، فيه أوجه ؛ أحدها ـ وهو اختيار الغزالى ـ انه سمع كلامه الازلى بلا صوت ولا حرف ، كما ترى ذاته فى الآخرة بلا كم ولا كيف ، وهـذا على مذهب من يجوز تعلق الرؤية والسماع بكل موجود حتى الذات والصفات ولـكن سماع غير الصوت والحرف ، لا يكون إلا بطريق خرق العادة ، وثانيها : انه سمعه بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة ، وثالثها : انه سمع من جهة لـكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا . وحاصله انه أكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لأحد من خلقه ، والى هذا ذهب ابو منصور الماتريدى ، وأبو اسحاق الاسفرايني ، وقال الاسفرايني : اتفقوا على انه لا يمكن سماع غير الصوت إلا ان منهم من بت القول بذلك ومنهم من قال لما كان المعنى القائم بالنفس معلوما بواسطة سماع الصوت كان مسموعا فالاختلاف لفظى لا معنوى اهـ) والصوت سواء كان من جهة أو الجهات كلها حادث مخلوق لا يقوم بالله سبحانه ، وفى طبقات الحنابلة لابى الحسين بن أبى يعلى عند ترجمة الاصطخرى فى صدد ذكر عقيدة احمد : (وكلم الله موسى تكليما من فيه ، وناوله التوراه من يده إلى يده) ومن هذا يعلم مبلغ ضلال هؤلاء المجسمه المتسترين بالانتساب إلى أحمد زوراً وحاش لله أن يكون الامام أحمد يثبت لله فماً ، وما إلى ذلك من وجوه الضلال فى العقيدة المعزوة اليه هناك كما ذكرت فيما علقت على الأسماء والصفات (ص ١٩٣) ولى افاضة فى ذلك فى كثير من المواضع والله سبحانه هو الهادى (ز)

الحقيقة لكن بواسطة ، فتارة يسمع كلامه من شاء من الخلق بغير واسطة ولا حجاب كتكليمه لنبينا عليه السلام ليلة المعراج . دليل الثلاثة قوله تعالى : (وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا ٤٢ - ٥١) وهو نبينا صلى الله عليه وسلم اسمعه الله تعالى كلامه ليلة المعراج من غير واسطة ولا حجاب لأنه تعالى فى تلك الليلة قال : (فاوحى الى عبده ما اوحى ٥٣ - ١٠) ولا يحمل الوحى هاهنا على الالهام بل على السماع والإفهام ؛ أو من وراء حجاب كموسى عليه السلام اسمعه كلامه بلا واسطة لكن حجبه عن الرؤية ، اويرسل رسولاً فيوحى باذنه مايشاء فيسمع من يشاء كلامه بواسطة تبليغ الرسول او قرآءة القارى وهذه جملة بليغة فى هـذا المعنى إن شاء الله تعالى .

مسألة : ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبى صلى الله عليه وسلم نزول اعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال .

والدليل على ذلك قوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين ٢٦ - ١٩٢ - ١٩٥) فيجب ان تعتقدها هنا اربعة اشياء : منزل ، ومنزل ، ومنزول عليه ، ومنزول به . فالمنزل هو الله تعالى لقوله : (انا نحن نزلنا الذكر ١٥ - ٩) وقوله تعالى : (وانزلنا إليك الذكر ١٦ - ٤٤) والمنزل على الوجه الذى بيناه من كونه نزول اعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال كلام الله تعالى القديم الأزلى القديم بذاته لقوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين ٢٦ - ١٩٢) والمنزل عليه قلب النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (على قلبك لتكون من المنذرين ٢٦ - ١٩٤) والمنزول به هو اللغة العربية التى تلا بها جبريل ونحن نتلوا بها الى يوم القيامة لقوله تعالى : (بلسان عربى مبين ٢٦ - ١٩٥) والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر الى قطر قول جبريل عليه السلام . يدل على هذا قوله تعالى : (فلا اقسم بما تبصرون * ومالا تبصرون * انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون *

تنزيل من رب العالمين ٦٩ - ٣٨ - ٤٣) وقوله تعالى: (فلا اقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس * انه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وماهو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم ان يستقيم * وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين ٨١-١٥-٢٩) وهذا اخبار من الله تعالى بان النظم العربى الذى هو قراءة كلام الله تعالى قول جبريل لا قول شاعر ولا قول كاهن . وقالوا : ما هذا إلا قول البشر فرد عليهم بهاتين الآيتين وكذلك رد عليهم أيضا لما قالوا : (انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ١٦ - ١٠٣) فحصل من هذا ان الله تعالى علم جبريل عليه السلام القرآن . دليله قوله تعالى : (الرحمن * علم القرآن ٥٥-١و٢) وجبريل عليه السلام علم نبينا صلى الله عليه وسلم . دليله قوله تعالى: (علمه شديد القوى ٥٣-٥) وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ مع جبريل حال قراته فزعا منه ان يذهب عنه حفظه حتى نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ٢٠ - ١١٤) وبقوله : (لاتحرك به لسانك لتعجل به ٧٥ - ١٦) معناه لاتعجل بقراءتك حتى يفرغ جبريل عليه السلام . ثم طمن قلبه صلى الله عليه وسلم بانه يحفظه اياه ويثبت حفظه فى قلبه فقال : (إن علينا جمعه وقرآنه ٧٥ - ١٧) يعنى فى صدرك حفظه ، ووعده ان لسانه يقراه قراءة لايحصل معها نسيان فقال : (سنقرئك فلا تنسى ٨٧ - ٦) يعنى قراءة لانسيان معها ، فحاصل هذا الكلام أن الصفة القديمة كالعلم ، والكلام ونحو ذلك من صفات الذات لايجوز ان تفارق الموصوف ، لأن الصفة إذا فارقت الموصوف اتصف بضدها والله تعالى متنزه عن الصفة وضدها فافهم ذلك . فجاء من ذلك ان جبريل عليه السلام عَلِمَ كلام الله وفهمه ، وعلمه الله النظم العربى الذى هو قراءته ، وعلم هو القراءة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلم النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ، ولم يزل ينقل الخلف عن السلف ذلك الى ان اتصل بنا فصرنا نقرأ بعد ان لم نكن نقرأ ، فالقراءة اخبار ، اءة لاقرن

جبريل عليه السلام غير قراءة نبينا عليه السلام ، وقراءة نبينا عليه السلام غير قراءة اصحابه ، وقراءة اصحابه غير قراءة من بعدهم ، ثم كذلك هلم جرا إلى يومنا هذا يعلم كل عاقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ قبل الصحابة ، ثم قرأت الصحابة ، ثم قرأ التابعون ثم كذلك إلى اليوم ، لكن المقروء والمتلو هو كلام الله القديم الذى ليس بمخلوق ولا يشبه كلام الخلق هو المقروء بقراءة الرسول عليه السلام وقراءة الجميع وهذا امر واضح ان شاء الله تعالى .

مسألة : ويجب أن يعلم ان الله تعالى لا يتصف كلامه القديم بالحروف والأصوات ولا شيء من صفات الخلق ، وانه تعالى لا يفتقر فى كلامه الى مخارج وادوات بل يتقدس عن جميع ذلك وان كلامه القديم لا يحل فى شيء من المخلوقات .

والدليل على ذلك : انه قد صح وثبت ان من شرط الصفة قيامها بالموصوف ، والدليل على صحة ذلك أولا : ان حد القديم مالا اول لوجوده ولا آخر لدوامه ، وان القديم لا يدخله الحصر والعد ، ونحن نعلم وكل عاقل ان هذه الاشكال من الحروف لم تكن قبل حركة الكاتب وانما يحدثها الله مع حركة الكاتب شيئاً فشيئاً . ثم هى مختلفة الصور والأشكال ويدخلها الحصر والحد وتعدم بعد ان توجد وكل ذلك صفة المحدث المخلوق لمن كان له عقل سليم . وايضاً فان حروف الكلمة يقع بعضها سابقا لبعض فعند خط الكاتب « باء » قد حصلت وثبتت قبل خطه « سيناً » وكذلك السين حصلت وثبتت قبل خطه « ميما » وكذلك النطق اذا تلفظ بالباء حصلت قبل السين وما تقدم بعضه على بعض وتأخر بعضه عن بعض فهو صفة الخلق لا صفة الحق(١) : وكذلك الأصوات يتقدم بعضها على بعض ويتأخر بعضها عن بعض

---

(١) قال المصنف فى النقض الكبير - كما فى الشامل لامام الحرمين - . (من زعم ان السين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد =

ويخالف بعضها بعضاً وكل ذلك صفة كلام الخلق لاصفة كلام الحق الذى هو قديم ليس بمخلوق . وأيضاً فان القول بقدم الأصوات والحروف يوجب القدم لجميع كلام الخلق وأصوات الناطق والصامت وهذا قول يؤدى الى قدم جميع العالم اجمع ، وايضاً فان الحروف التى يزعمون انها قديمة وانها صفة لكلامه تعالى لايخلوا ما أن تكون هذه الحروف التى تجرى فى كلام الخلق او مثلها او ضدها . فان قالوا : انها هى . وجب قدم كلام الخلق ، وكذلك ان قالوا مثلها وجب ذلك ايضاً ، لأن حد المثلين ماسد احدهما مسد الآخر وناب منابه وساوقه من جميع الوجوه

وان قالوا : بل هى مضادة لهذه الحروف فقديقولون القول [من غير] ان يكون [له] معنى وهذا بين الفساد .

ويدل على ان كلام الله القديم لايجوز أن يكون حروفا واصواتاً ماروى عن ابن عباس انه قال : لما سلط الله بختنصر على اليهود لما قتلوا يحيى عليه السلام سلطه عليهم فقتلهم وخرب بيت المقدس وحرق التوراة . قال عزير عليه السلام فى جملة مناجاته : (يارب سلط عليهم عدوا من اعدائك ، بطر رحمتك ، وامن مكرك ، وهدم بيتك ، وحرق كتابك) فاوحى الله تعالى اليه من جملة ما اوحى ان بختنصر انما احرق من التوراة الخط ، والحروف ، والورق ، والدفتر ولم يحرق كلامى فاخبر تعالى ان كلامه ليس هو الحروف التى حرقت ولا انه مما تناله الأيدى ولاتعتديه ولا يبلى ولاينعدم ويؤكد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لوجعل هذا القرآن فى اهاب والقى فى النار لم يحترق » ولم يرد صلى الله عليه وسلم ان الجلد ، والمداد ،

= خرج عن المعقول وحجد الضرورة وأنكر البديهة . فان اعترف بوقوع شىء بعد شىء فقد اعترف باوليته ، فاذا ادعى انه لا أول له فقد سقطت محاجته وتعين لحوقه بالسفسطة ، وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتواقح فى حجد الضرورى اهـ) راجع ماعلقناه على السيف الصقيل (ص ٧٠) (ز) .

والحروف المصورة لاتحترق وانما اراد ان كلام الله تعالى هو القرآن لا يحترق فى النار ولا يتصور عليه الحرق ، والعدم انما يتصور ذلك على الأجسام والأشكال . فاما الكلام القديم فلا . والذى يدل على صحة هذا انه - ونعوذ بالله تعالى - لو اخذ اليوم جبار عاص لله مصحفاً فحرقه بالنار حتى صار رماداً ، انقول ان كلام الله القديم احترق وانعدم ؟ ام نقول ان كلامه باق ثابت لم يحترق ولم ينعدم وانما احترق الورق ، والحروف المصورة بلاخلاف بين كل عاقل .

دليل آخر على حدث الحروف : وهو ان الأمة مجمعة على أن من قرأ كلام الله تعالى فى صلاته لم تبطل صلاته ، ولا خلاف أن من قرأ حروف التهجى فى صلاته بطلت صلاته فعلم بذلك انها ليست بكلام الله تعالى .

دليل آخر على ذلك : وهو ان من قرأ القرآن وهو جنب أو امرأة حائض مع علمها بتحريم ذلك انهما قدعصيا وفعلا مالايجوز لهما ، ولو تهجا الجنب والحائض حروف الهجاء من أولها إلى آخرها لم يعصيا بذلك ، فعلم بذلك أن الحروف غير كلام الله تعالى وانما هى آلة يكتب بها كلام الله تعالى ويتلى بها كلامه وليست نفس كلامه . ويدل على ذلك أيضا ما روى على رضى الله عنه انه قال فى جواب مسائل سأله عنها اليهود فقال : ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام بلا جوارح ، ولا ادوات ، ولا حروف ، ولا شفة ، ولا لهوات سبحانه عن تكيف الصفات . وايضا ماروى عن على عليه السلام أنه سئل هل رأيت ربك ؟ وكان السائل له دعبل فقال فى جوابه : لم أعبد ربا لم أره . فقال له كيف رأيته ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان ، ويحك يا دعبل ! ان ربى لا يوصف بالبعد وهو [قريب] ولا بالحركة ، ولا بقيام ، ولا انتصاب ، ولا مجىء ، ولا ذهاب ، كبير الكبراء لا يوصف بالكبر ، جليل الاجلاء لا يوصف بالغلظ ، رؤوف رحيم لا يوصف بالرقة ، آمر لا بحروف ، قائل لا بألفاظ ، فوق كل شىء

ولا يقال شيء تحته ، وخلف كل شيء، ولا يقال شيء قدامه ، وامام كل شيء ، ولا يقال له امام ، وهو فى الأشياء غير ممازج ولا خارج منها كشيء من شيء خارج ، (فتبارك الله رب العالمين ٧ - ٥٤) لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان فى شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثا .

ويدل عليه قول شيخ طبقة التصوف الجنيد رحمه الله فانه قال : جلت ذاته عن الحدود ، وجل كلامه عن الحروف ، فلاحد لذاته ، ولاحروف لكلامه . ويدل عليه أيضا ما حدث به ابو بكر[1] النقاش فى تفسيره عن آدم بن أبى اياس قال : رأيت فى يد بكر بن خنيس كتابا فزدت فيه حرفا أو نقصت منه حرفا : فقال لى بكر بن خنيس : يا آدم من امرك أن تفعل هذا ؟ اما علمت ان الله تعالى لما خلق الألف انتصبت قائمة ، فلما خلق الباء اضجعت وقيل للألف لم انتصبت قائمة ؟ قالت : انتظر ما أومر . وقيل للباء لم اضجعت ؟ قالت : سجدت لربى . فقال بكر فأيهما أجل ؟ الذى فعل مالم يؤمر به يعنى الباء سجدت ولم تؤمر بالسجود والذى انتظر ما يؤمر يعنى الألف . قال آدم بن ابى اياس فكأنه فضل الألف على الباء ودلالة هذا على وجهين : —

احدهما : انه صرح فى هذا بخلق الألف والباء .

والثانى : انه فضل الألف على الباء والقديم لا يجوز ان يفضل بعضه على بعض ولا يوصف بالأبعاض وانما الذى يبعض ويحدد تلاوة القديم لا نفس الكلام القديم : وايضا ما ذكره فى تفسيره باسناد رفعه إلى كعب الأحبار انه قال : ان اول ما خلق الله تعالى من الحروف الباء : ويقال كانت الألف والسين حرفين كاملين فرفعت السين فرفع الله الألف عليها .

---

(١) محمد بن الحسن صاحب شفاء الصدور الكذاب المشهور (ز) .

وايضا ماروى عن عبد الله بن سعيد أنه قال عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى وتقدس وهى تسعة وعشرون حرفا فتواضع الألف من بينهما فشكر الله تعالى له فجعله قائما وجعله امام اسمه الأعظم يعنى الله فانه لم يسم به غيره

ويدل عليه أيضا أن حروف التوراة مخالفة لحروف الفرقان فى الهيئة والصورة والعدد لأن حروف التوراة حروف عبرانية ، وكذلك القول فى حروف الانجيل والمقروء بالكل منهما وان اختلفت الحروف شىء واحد لا يختلف ولا يتغير .

وايضا فان الحروف تحتاج إلى مخارج ، فحرف الشفة غير حرف اللسان ، وحرف الحلق غيرهما ، فلو كان تعالى يحتاج فى كلامه إلى الحروف لاحتاج إلى المخارج وهو منزه عن جميع ذلك سبحانه وتعالى عما يشركون .

وايضاً فان الحروف متناهية معدودة محدودة ، وكلام الله تعالى قديم لا مفتتح لوجوده ولا نهاية لدوامه كعلمه ، وقدرته ، ونحو ذلك من صفات ذاته . وقد اكد تعالى ذلك بغاية التأكيد ، وان كلامه لا يدخله العد والحصر والحد بقوله تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً ١٨ - ١٠٩) وقال : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ٣١ - ٢٧) فاخبر تعالى فى هاتين الآيتين انه لا نهاية لكلامه . إذ كل ماله نهاية له بداية ، وانما تتصور النهاية فى حق من يتصور فى حقه البداية . وبالجملة ان من خالف فى هذا فلا اراه اهلا للكلام معه لأنه ينكر ما قد علم ضرورة ويكابر الحس ويعاند الحق وفى هذا القدر كفاية ومقنع .

مسألة : ويجب أن يعلم أن القراءة[1] غير المقروء ، وانها صفة للقارىء ،

---

(١) ليكن على ذكر منك ما علقناه على مواضع من هذا الكتاب وغيره من أن وصف القرآن القائم بالله بالمقروء والمكتوب ، والمحفوظ ، والمسموع من قبيل وصف المدلول بوصف الدال عند السعد وغيره من المحققين (ز) .

والمقروء بها غير مخلوق بل هو من كلام البارى وكذلك الحفظ صفة القلب والمحفوظ غير مخلوق بل هو كلام الرب ، وكذلك السمع صفة السامع والمسموع به غير مخلوق بل هو كلام الله تعالى ؛ وكذلك الكتابة صفة الكاتب والمكتوب بها من القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا صفة مخلوق وهذا كما تقول : ان الذكر غير المذكور لأن الذكر صفة الذاكر ، والمذكور بذكره هو الله تعالى ، وكذلك العبادة صفة العابد من المخلوقين والمعبود غير العبادة بل هو الله تعالى ؛ وكذلك التسبيح صفة العبد المسبح ، والمسبح هو الله تعالى ، والذى يحقق هذه الجملة النفى ، والاثبات ، والوجود ، والعدم . فانك تقول : قرأ زيد امس . فقراءته امس معدومة اليوم ، وقراءته اليوم غير قراءته امس ، والمقروء امس بقراءته امس هو المقروء بقراءته اليوم . ثم تنفى تارة اخرى فتقول لم يقرأ زيد يوما ولم يوجد منه قراءة ، والمقروء موجود ثابت لا يتصور عليه العدم ، بل هو ثابت قبل وجود زيد وقبل وجود قراءته ، وموجود ثابت فى حال قراءته وبعد قراءته على وجه واحد لا يتصور عليه الشىء وضده وهذا كما تقول : عبد زيد ربه اليوم ولم يعبده امس ، فعبادته اليوم غير عبادته امس ، وعبادته امس ليست موجودة اليوم ، لكن المعبود موجود قبل امس وفى اليوم لا يجوز أن يوصف بالشىء وضده ، وعلى هذا فقس المحفوظ ، والمسموع ، والمكتوب ، فان الكتابة توجد بعد ان لم تكن ، والحفظ يوجد بعد ان لم يكن ، والسمع يوجد بعد ان لم يكن ؛ ويتصور على الحفظ العدم بالنسيان ، ويتصور على السمع العدم بالصمم ؛ ويتصور على الكتابة العدم بالغسل بالماء وطول الزمان والحرق بالنار ، لكن المحفوظ بالحفظ من كلام الله تعالى ؛ والمكتوب ، والمسموع لا يتصور عليه العدم بوجه من الوجوه ، لأنه قديم كذاته تعالى فى القدم ، ولا تقول كذاته تعالى من جميع الوجوه ، لأنه لو كان كذاته تعالى من جميع الوجوه لوجب أن يكون خالقا رازقا محييا مميتا .

فصل : [ويعلم من] جميع ما تقدم : ان القراءة تارة توصف بالصحة والحسن ، وتارة بالفساد والقبح ، فيقال : قراءة فلان حسنة صحيحة جيدة ، ويقال قراءة فلان قبيحة

فاسدة ، فالقراءة تتصف بالشيء وضده ، لأنها صفة القارى ، والمقروء بها لا يتصف بالشيء وضده لأنه صفة البارى . وكذلك ايضاً القراءة تكون تارة طيبة مستلذة ، وتارة تأباها الطباع وتنفر عنها الا نفس ، لكن المقروء والمتلو من كلام الله تعالى لايختلف ولا يتغير بتغير غيره . وكذلك الكتابة تكون تارة بالذهب ، وتارة بالفضة ، وتارة بالمسك والعنبر ؛ وتارة تنحت فى الخشب ، وتارة تكون بقطع الآجر ، فكتابة الذهب غير كتابة الفضة ، وكذلك كتابة المسك غير كتابة العنبر ، لكن المكتوب وهو القرآن كلام الله بالذهب هو المكتوب بالفضة ، وكذلك المكتوب بالمسك هو المكتوب بالعنبر ، وما أعلم احدا يخالف فى هذا الا احد رجلين : اما جاهل غبى ليس له حس ولا تصور ، واما منافق مداهن ، نعوذ بالله من الجميع ونسأله حسن التوفيق فى الدنيا والآخرة .

فتحقق [من] جميع ماذكرنا ان القراءة فعل من أفعال العباد ، والمقروء والمتلو لايجوز أن يكون فعلا من افعال العباد ، ولا نقول ايضاً انه من صفات الفعل لله تعالى بل هو من صفات الذات . يدل على صحة هذا القول ان رجلا لو حلف بالطلاق لاقمت من موضعى هذا حتى افعل فعلا يكون طاعة من طاعات الله فقرأ آيات من القرآن ثم قام قبل ان يفعل شيئاً آخر انه قد بر فى يمينه ولم يحنث ، فعلم أن القراءة فعل القارى الذى يثاب عليها تارة ويعاقب عليها اخرى ، والمقروء فى حال الطاعة هو المقروء فى حال المعصية وهـــذا امر قد اتضح بحمد الله تعالى لمن له ادنى عقل وتصور .

مسألة : ويجب أن يعلم انه لايجوز ان يقول احدانى اتكلم بكلام الله ، ولا احكى كلام الله ، ولا اعبر كلام الله ، ولا اتلفظ بكلام الله ، ولا ان لفظى بكلام الله مخلوق ولا غير مخلوق ، بل الذى يجوز ان يقول : انى اقرأ كلام الله تعالى كما قال تعالى : (فاذا قرأت القرآن ١٦ - ٩٨) وكما قال : (فاقرؤا ماتيسر منه ٧٣ - ٢٠) ويجوز أن يقول : انى اتلو كلام الله كما قال تعالى : (وان اتلو القرآن ٢٧ - ٩٢)

ويجوز ان يقول انى احفظ القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم : « من حفظ القرآن ثم نسيه . . الخبر » . فكل مانطق به الكتاب والسنة فى القرآن جازلنا ان نطلقه ، ومالا ينطق به كتاب ولاسنة فلا نطلقه فى الله تعالى ولا فى صفاته فاعلم ذلك وتحققه .

وايضاً فان زيداً انما يكون متكلما بكلامه ، ولايجوز ان يكون زيد متكلما بكلام عمرو ، وكذلك لايكون زيد اسود سوادا من عمرو ، ومن عجيب الأمران المجسمة الحشوية لايجوزون ان يتكلم زيد بكلام عمرو ، وعمرو مخلوق ، وكلامه مخلوق ، والمخلوق الى المخلوق اقرب فى الشبه والذات والصورة والحكم ، ويجوزون ان يقولوا : نتكلم بكلام الله تعالى وكلام الله غير مخلوق ولا يشبه كلام الخلق فى الذات والحكم .

مسألة : ويجب ان يعلم ان الكلام الحقيقى هو المعنى الموجود فى النفس لكن جعل عليه امارات تدل عليه ، فتارة تكون قولا بلسان على حكم اهل ذلك اللسان وما اصطلحوا عليه وجرى عرفهم به وجعل لغة لهم وقد بين تعالى ذلك بقوله : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ١٤- ٤) فاخبر تعالى انه ارسل موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل بلسان عبرانى ، فافهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية ، وبعث عيسى عليه السلام بلسان سريانى ، فافهم قومه كلام الله القديم بلسانهم ، وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم بلسان العرب ، فافهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم ؛ فلغة العرب غير لغة العبرانية ، ولغة السريانية غيرهما ، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شىء واحد لا يختلف ولا يتغير وقد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل اهل خط فيقوم الخط فى الدلالة مقام النطق باللسان ، وقد بين تعالى ذلك فقال : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ٤٥ - ٢٩) فقام الخط مقام النطق لما كان يدل على الكلام دلالة النطق ، لكن الخطوط تختلف بحكم

الاصطلاح والمواضعة وقلة الحروف وكثرتها ، فحروف الانجيل والتوراة كل واحد منهما خلاف الآخر ، وكذلك حروف العرب وخطوطهم تخالف غيرها ، وكذلك حروف الهند وخطوطهم تخالف الجميع ، لكن لكل خط وحرف بين أهله يقوم لهم فى الدلالة على الكلام القائم بانفسهم مقام دلالة نطق السنتهم ، ويختصون بذلك فى الفهم والاصطلاح عند كلام اللسان وعند رسم الحروف الخطوط حتى لا يفهم غيرهم ذلك إلا ان يتعلم لغتهم وخطوطهم ، فصح ان الكلام الحقيقى هو المعنى القائم بالنفس دون غيره ، وانما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ، ويجوز ان يسمى كلاما اذ هو دليل على الكلام ، لا أنه نفس الكلام الحقيقى . وكذلك قد يدل على الكلام الحقيقى القائم بالنفس الرموز والاشارات ، وقد بين ذلك تعالى بقوله فى قصة زكريا عليه السلام . (آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا ٣ - ٤١) يعنى ان لا تفهم الكلام القائم بنفسك باللسان وانما أفهمه بالرمز والاشارة ففعل كما امره تعالى فاخبر عنه فقال : (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ١٩ - ١١) فافهم امره الذى هو الامر بالتسبيح القائم فى نفسه بالاشارة دون نطق اللسان ، وكذلك الاخرس الذى لا ينطق باللسان ولا يسمع الصوت ، انما يفهمنا كلامه القائم بنفسه ونفهمه كلامنا القائم بانفسنا بالاشارة دون نطق اللسان ، فحصل من هذه الجملة ان حقيقة الكلام على الاطلاق فى حق الخالق والمخلوق انما هو المعنى القائم بالنفس لكن جعل لنا دلالة عليه تارة بالصوت والحروف نطقا ، وتارة بجمع الحروف بعضها الى بعض كتابة دون الصوت ووجوده وتارة اشارة ورمزا دون الحرف والأصوات ووجودهما ، فحقيق الكلام القائم بالنفس موجود عند الحرف والصوت لكن الخالق كلامهم مخلوق كهم ، وكلام الله ليس بمخلوق كهو سبحانه وتعالى . ونريد بقولنا كهوان صفات ذاته لا توصف بالخلق والحدث ولا بشىء من الخلق والحدث ، كما أنه تعالى لا يوصف بالخلق والحدث ولا بشىء من صفات الخلق والحدث . ولا نريد بقولنا كهوانها خالقة رازقة فافهم هذا التحقيق ، لان المعتزلة تشنع وتقول : اذا كان البارى عالما بعلم

ومتكلما بكلام والكل قديم [١] يجب ان يكون معه قدماء كثيرة فى الأزل واذا كانت كهو فيجب أن تكون خالقة رازقة آلهة كهو ، وهذا تمويه منهم على عقول العوام حتى ينفروهم عن اهل التحقيق والسنة والجماعة ، ويميلوا الى باطلهم من نفى صفات الله التى وصف بها نفسه فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يوافقوهم فى القول بخلق القرآن معنى وان لم ينطقوا به ، وكذلك ان المعتزلة أكثر حجتهم على أن كلام الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن انه بزعمهم حروف واصوات ، فرضوا من هؤلاء العوام ان يصرحوا فى كلام الله تعالى بما يوجب كونه مخلوقا ضرورة وان لم يقولوا انه مخلوق نطقا فانا لله وانا اليه راجعون .

ومما يدل على أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس من الكتاب والسنة والأثر وكلام العرب ماذكر [٢] فمن ذلك قوله تعالى : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ٦٣-١) ونحن نعلم وكل عاقل انه تعالى ماكذب المنافقين فى الفاظهم وانما كذبهم فيما تكنه ضمائرهم وتكنه سرائرهم . وايضاً قوله تعالى : مخبراً عن الكفار : (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم ٥٨ - ٨) فاخبر تعالى : ان القول بالنفس قائم وان لم ينطق به اللسانه ، والقول هو الكلام ، والكلام هو القول . وايضا قوله تعالى: (يعلم السر واخفى ٢٠ - ٧) قيل ماحدث به المرء نفسه مما يضمر فيها من قول أو فعل . وايضا قوله تعالى : (يعلم ما فى انفسكم فاحذروه ٢ - ٢٣٥)

---

(١) وقول القاضى عضد الدين فى المواقف : (لا ثبت فى غير الإضافة) حاسم للنزاع بين الفريقين عند من أحاط خبرا بما يقوله ، وراجع حاشية الخيالى وعبد الحكيم على النسفية (ز) .

(٢) لقد أحسن المصنف كل الاحسان فى التدليل على الكلام النفسى بتوسع لا تجده فى غير هذا الكتاب ، والنزاع بين الفريقين فى إثبات ذلك ونفيه كما سبق (ز) .

وأيضاً قوله تعالى : (إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ١٦ - ١٠٦) فاسقط تعالى تلفظ المنافقين بالشهادة لرسوله ، وجعل حكم الكذب للقول الذى فى النفس والكلام الذى فى النفس دون نطق اللسان ، واسقط حكم الكفر عن المكره على كلمة الكفر وجعل الحكم لصدق الكلام القائم فى القلب ؛ فدل بهذه الآيات وماجرى مجراها أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس ، وله الحكم فى الصدق والكذب دون الحروف والأصوات التى هى امارات ودلالات[1] على الكلام الحقيقى .

ويدل على ذلك من جهة السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه » . وهذا فى حق المنافقين فاخبر صلى الله عليه وسلم ان الكلام الحقيقى هو الذى فى القلب دون نطق اللسان ، وإن الحكم للكلام الذى فى القلب على الحقيقة ، وان قول اللسان مجاز قد يوافق قول القلب وقد يخالفه . وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » فاخبر صلى الله عليه وسلم : ان العاصى إذا نوى بقلبه الندم على المعصية منها أن ذلك حقيقة التوبة ، وان استغفار اللسان تبع لذلك فصح أن الكلام الأصلى الحقيقى المعنى القائم بالنفس . وايضاً قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى : إذا ذكرنى عبدى فى نفسه » فاثبت الذكر للنفس ، فالذكر والقول ، والكلام ، واحد فعلم أن حقيقة الكلام المعنى القائم فى النفس.

ويدل على ذلك ايضاً قول عمر رضى الله عنه : زورت فى نفسى كلاما فاتى أبو بكر فزاد عليه . فاثبت الكلام فى النفس من غير نطق لسان ، وعمر كان من أجل اهل اللسان والفصاحة وهو احد الفصحاء السبعة ، والعربى الفصيح يقول كان فى نفسى كلام ، وكان فى نفسى قول ، وكان فى نفسى حديث إلى غـــير ذلك وانشد الأخطل :

---

(١) وهذا يعود إلى ماحققه السعد كما سبق (ز) .

لاتعجبنك من أثير خطبة ... حتى يكون مع الكلام اصيلا
ان الكلام لفي الفوآد وانما ... جعل اللسان على الفوآد دليلا

وأعلم أن مذهب أهل الحق والسنة والجماعة ان كلام الله القديم ليس بمخلوق ، ولامحدث ، ولاحادث ، ولاخلق ، ولامخلوق ، ولاجعل ، ولا مجعول . ولافعل ، ولا مفعول . بل هو كلام ازلى ابدى هو متكلم به فى الازل كما هو متكلم به فيما لايزال . لا اول لوجوده ، ولا آخر له ، وانه لايقال ان كلامه حكاية ولاعبارة ولا انى احكى كلام الله ، ولا انى اعبر كلام الله بل نقول : نتلو كلام الله ، ونقرأ كلام الله ، ونكتب كلام الله ، ونحفظ كلام الله ، وانه يجب التفرقة بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو ، والكتابة والمكتوب ، والحفظ والمحفوظ ، ولايجوز ان يطلق على كلامه شيء من امارات الحدث من حرف ولاصوت ، ولا يقال ان القديم يجوز حلوله فى المحدث كحلول الشيء فى الشيء . وقد قدمنا الأدلة على جميع ذلك وحققناه ، ومذهب المشبهة الحلولية المجسمة ان كلام البارى حروف وأصوات وانه قديم ، وان الحروف والأصوات التى توجد فى كلام الخلق كلها قديمة لااخصص بعضها على بعض وهذا قول يفضى الى قدم العالم عند كل محقق ، ومنهم من قال : بل الأصوات والحروف اذا ذكرنا الله تعالى بها أو تلونا بها كلامه قديمة فاذا ذكرنا بها غير الله وانشدنا بها شعراً كانت محدثة وهذا جهل عظيم وتخبط ظاهر ، لأن الشيء عندهم على هذا القول تارة يكون محدثاً ثم يصير قديما ، وتارة قديماً ثم يصير محدثاً ، وليس فى الجهل اعظم من هذا وكفى به رداً لقولهم . ومنهم من يقول : اصواتنا وحروفنا بالقرآن قديمة وبغير القرآن محدثة ، وهذا مثل القول الأول على الحقيقة وان اختلفت العبادة وقد بينا فساده ، ومنهم من حدث فى هذا الوقت وبان له فساد الأقوال المقدم ذكرها فقال بجهله اقول : ان القرآن باصوات وحروف تكلم بها الله ، وان كلامه حروف واصوات لكن حروف قديمة واصوات قديمة لاتشبه هذه الحروف والاصوات المخلوقة التى تجرى فى كلام الخلق ، وهذا ايضاً جهل من

قائله ويؤدى ان لايكون فى المصاحف القرآن . لان الحروف التى يكتب بها المصاحف هى هذه الحروف التى تجرى فى سائر مايكتب يؤدى إلى ان القرآن الذى نقرأه ليس بقرآن ، لأن القرآن بحروف واصوات قديمة ولاتشبه هذه الحروف والأصوات ونحن لانسمع الا صوتا مثل هذه الأصوات ، ولانرى حرفاً ولانسمعه الا مثل هذه الحروف ، وهذا القول يوجب ان لايكون عندنا قرآن بالجملة أو يؤدى إلى ان يكون هذا القرآن بهذه الحروف والأصوات المعروفة غير ذلك القرآن الذى هو بحروف واصوات قديمة لاتشبه هذه الحروف والاصوات ، والجميع فاسد باطل وسيأتى بطلان مقالتهم فى هذا وغيره فى جواب مايزعمون انه حجة لهم فى هذا وغيره ان شاء الله تعالى .

وزعمت المشبهة ان القراءة هى المقروءة ، والتلاوة هى المتلو ، وزعموا ان القديم يحل فى المحدث[1] ويختلط به ، وتمسكوا فى جميع ذلك بآيات وآثار زعموا انها حجة لهم فيما صاروا اليه من هذه البدعة العظيمة التى جميعها يدل على ان كلام الله مخلوق محدث ، فاحتجوا فى التلاوة هى المتلو ، وان الله يسمى تاليا ، ولا فرق عندهم فى ان يقال تال او متكلم قالوا : والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ٢ - ٢٥٢) وبقوله تعالى . (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ٢٨ - ٣) . قالوا فسمى نفسه تاليا كما سمى نفسه متكلما وقائلا ، والجواب عن هذا وماجرى مجراه من وجهين :

أحدهما : انا نقول ما أنكرتم ان ماذكرتم هو حجة عليكم وان هاتين الآيتين قد دلتا على الفرق بين التلاوة والمتلو ، وان التلاوة غير المتلو وذلك انه قال: (نتلوها عليك بالحق ٢ -٢٥٢) والحق هاهنا هو كلامه القديم الموجود بوجوده القديم بقدمه ، والتلاوة لم تكن موجودة ثم أوجدها ؛ والدليل على أن الحق هو كلامه القديم

---

(١) كما هو رأى السالمية (ز) .

الموجود بوجوده قوله تعالى : (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ٣٢-٣) وأيضاً قوله تعالى . (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ٣٤-٢٣) فدل على ان الحق هو المتلو القديم، وان التلاوة صفة لافعل ذات . والذي يحقق ذلك قوله تعالى قال : (وما كنت تتلو ٢٩-٤٨) فنفى قبل أن يكون تالياً ، ثم احدث له تلاوة ولم تكن ثم كانت ، فالحق الذى هو المتلو موجود ثابت لا يتصف بأنه لم يكن ثم كان .

والجواب الثانى : ان قوله تتلو يريد به بأمر من يتلو عليك وهو جبريل عليه السلام . إلا أن التلاوة لما كانت بأمره اضافها إلى نفسه وهذا صحيح يدل عليه الكتاب والمعنى الصحيح . فاما الكتاب فالدليل عليه قوله تعالى : (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ٣ - ١٠١) وقوله تعالى : (نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين* بلسان عربى مبين ٢٦-١٩٣-١٩٥) وصار هذا كقوله فى قوم نوح : (انا لما طغى الماء حملنا كم فى الجارية ٦٩ - ١١) يعنى السفينة فاضاف الحمل فى السفينة إلى نفسه ، والحامل فيها نوح عليه السلام ، الا انه لما كان بامره اضاف الحمل إليه ، والدليل على الحامل انه كان نوحا عليه السلام فقوله تعالى : (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ١١ - ٤٠) وهذا ايضا كقوله تعالى فى قصة مريم عليها السلام : (فنفخنا فيها من روحنا ٢١ - ٩١) والنافخ كان جبريل عليه السلام ، الا انه لما كان نفخه بأمره اضاف ذلك إلى نفسه فلذلك اضاف التلاوة إلى نفسه لما فعلت بأمره . وكذلك قوله تعالى : (فاتى الله على بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف ١٦ - ٢٦) وجبريل عليه السلام الذى كان أتى البنيان ، لكن لما كان بأمره أضافه إلى نفسه وكذلك قوله تعالى : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ٧ - ٥٢) والذى جائهم بالكتاب هو النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لما كان مجيئه بالكتاب إليهم بأمره تعالى أضاف ذلك إلى نفسه ، والقرآن من هذا مملوء إذا تتبع أنه يضيف الفعل إلى نفسه وان كان الفاعل له غيره لما كان بأمره .

واما الدليل من كلام العرب فانه يقال : نادى الأمير فى البلد فيضاف النداء إليه

لما كان بأمره وان كان المنادى غيره فصح ما قلناه . ثم نقول لهم أليس الله تعالى قال : (نحن نقص عليك أحسن القصص ١٢ - ٣) اتقولون : ان الله تعالى قاص؟ هذا قول لايجوزه أحد من المسلمين ؛ لكن لما قص عليه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى اضاف القصص إلى نفسه لما كان بأمره وقد بين ذلك بقوله : (بما أوحينا إليك هذا القرآن ١٢ - ٣) فالقرآن كلامه وصفته ، وقص جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الذى تضمن قصص الأولين وأخبارهم . فان احتجوا على أن القراءة هى المقروء بما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « قرأ الله (طه ٢٠ - ١) و (يسن ٣٦ - ٢١) قبل ان يخلق الخلق بألفى عام ، فلما سمعت الملائكة قالوا : طوبى لامة ينزل هذا عليها ، قالوا : فاضاف القراءة إلى الله تعالى . فالجواب عن هذا من وجهين : -

احدهما : انه ذكر ان القراءة وجدت قبل السموات والأرض بألفى عام ، ودل على انها لم تكن موجودة ثم وجدت ، والمقروء القديم ليس لوجوده أولية بل هو موجود بوجوده تعالى ، فدل على الفرق بين القراءة والمقروء لأن المقروء موجود بوجوده تعالى والقراءة موجودة بإيجاده .

والجواب الثانى : انه أمر بعض الملائكة أن يقرأ (طه ٢٠ - ١) و (يسن ٣٦ - ١) قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام ، فلما سمعت الملائكة ذلك قالوا ما قالوا ؛ واضاف القراءة إلى نفسه لما كانت بأمره فصار هذا كقوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها ٣٩ - ٤٢) والمتوفى هو ملك الموت بدليل قوله تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ٣٢-١١) لكن لما كان توفيه لهم بأمره اضاف ذلك إلى نفسه .

فصل : ومما يقوى جميع ذلك من السنة ان الفعل يضاف إلى الآمر به وان كان لم يفعله بنفسه وإنما أمر بفعله ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا ، والنبى صلى الله

عليه وسلم لم يباشر الرجم بنفسه ، لكن لما أمر الصحابة جاز أن يضاف إليه. وايضا ماروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قطع يد سارق ثوب صفوان، ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم ما باشر القطع ، لكن أمر به فاضيف الفعل إليه لما صدر عن أمره . وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه جلد شارب الخمر اربعين ولم يباشر الجلد بنفسه ، لكن لما كان عن أمره جاز اضافة الفعل إليه . والأخبار فى هذا المعنى كثيرة جداً . وايضا يقال : جبى عمر رضى الله عنه خراج العراق ، ولم يباشر الجباية بنفسه ، لكن لما جبى بأمره جاز إضافة الفعل إليه . وكذلك يقال : افتتح عمر رضى الله عنه الشام والامصار ، وهو لم يباشر ذلك بنفسه لكن الصحابة والجند بامره وصح بهذه الجملة ان التلاوة فعل التالى لكن هى بأمر الله تعالى وإيجاده ، فصح أن يضاف إليه القراءة والتلاوة على هذا الوجه ، فاما المتلو والمقروء فليس بفعل لاحد بل هو كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته الذى ليس بمخلوق ولا يتصف بشىء من صفات الخلق .

فصل : ثم نقول لهؤلاء الجهلة الضُلال كيف يجوز لكم أن تقولوا ان القراءة هى المقروء ، والتلاوة هى المتلو ، والله تعالى قد فصل بينهما وجعل القراءة فعل القارىء ، والمقروء هو القرآن الذى هو كلام البارى فى غير موضع من كتابه .

احدهما : قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن ١٦ - ٩٨) فافرد القراءة عن القرآن ، وان القراءة فعل الرسول ، والمقروء ليس بفعل لأحد بل هو كلام الله القديم وهذا كقوله تعالى : (واذكر ربك ٣ - ٤١ و ٧ - ٢٠٥) فافرد الذكر عن المذكور ، فالذكر فعل الذاكر ، والمذكور هو الله تعالى القديم الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) . وأيضا قوله تعالى : (فاقرؤا ماتيسر من القرآن ٧٣ - ٢٠) وقوله تعالى : (اتل ما أوحى إليك من الكتاب ٢٩ - ٤٥) وقوله تعالى : (وان اتلو القرآن ٢٧ - ٩٢ -) وقوله تعالى : (ان الذين يتلون كتاب الله ٣٥ - ٢٩) وفى القرآن

أكثر من ألف موضع يدل على الفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء لمن له حس سالم ، وعقل ثابت . ومن القدر الذى قدمناه دليلان : ـ

احدهما : انه تعالى ذكر تلاوة ، ومتلوا ، وقراءة ، ومقروءا فبطل بذلك زعمهم انه شيء واحد .

الثانى : انه أمر بالقراءة والتلاوة ، والأمر هو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه . والصفة القديمة التى هى المقروء والمتلو لا يصح فيه الفعل ولا استدعاء الفعل ، فصح أن المأمور به المستدعا غير المقروء ، والمتلو هى القراءة والتلاوة . فافهم هذا التقرير فانه يوجب الفرق بين الأمرين ضرورة الاشكال فيه . ثم نقول لهم : القراءة قد اختلفت وتنوعت أنواعا أفتقولون أن المقروء الذى هو القرآن مختلف متنوع ؟ فان قالوا : نعم كفروا ، وان قالوا : لا فقد ثبت ان الذى جاز عليه الاختلاف والتنوع غير الذى لم يجز عليه ذلك ، وايضا فان كل قراءة منسوبة إلى قارئها فيقال هذه قراءة أُبى ، وهذه قراءة ابن مسعود ، وكذلك فى سائر القرا آت ، ولا يجوز أن ينسب المقروء الذى هو القرآن إلى أحد من الخلق ، فيقال هذا قرآن أُبى ولا قرآن ابن مسعود ، فصح ان القراءة فعل القارى . فصح أن تنسب قراءة كل واحد إليه ، لأنها فعله الذى يثاب ويمدح عليها تارة ويعاقب ويندم عليها اخرى ، والمقروء بسائر القرا آت كلام الله تعالى الذى ليس بفعل لاحد فصح الفرق بين الأمرين .

فصل : ثم نقول لهم : ما تقولون فيمن قال : إن قرأت بقراءة ابى جعفر يزيد القعقاع ـ شيخ نافع ـ فعبدى حر ، فقرأ بقراءة الجحدرى عاصم أيعتق عبده أم لا ؟ ليس فيه خلاف بين المسلمين . ولو قال ان قرأت مقروء ابن كثير فعبدى حر فقرأ بقراءة ابن عامر عتق عبده لأن المقروء شيء واحد وان اختلفت القرا آت .

فصل : ثم نقول : لو اجتمع مائة قارى فقرأ القرآن أليس عدة القراء ماية كل واحد منهم يثاب على قراءته فالثواب ماية ثواب على ماية قراءة ، افتقولون : ان القرآن

الذى قرؤه بقرائتهم ماية قرآن أم قرآن واحد، فلا يقول عاقل إلا أنه قرآن واحد، لكن القراءات متعددة فصح الفروق بين القراءة والمقروء .

فصل: ثم نقول لهم إذا قرأ القارى القرآن وحصل له الثواب احصل له الثواب على فعل فعله أو على غير فعل ؟ فان قالوا : على غير فعل فعله وجب أن يكون هذا الثواب يحصل للساكت كما حصل للقارى وهذا لا يقوله عاقل . وان قالوا : على فعل فعله صح ان الذى فعل القراءة ، أو السماع إلى القراءة والمقروء المتلو الذى هو كلام الله ليس بفعل لاحد ، وكذلك المسموع ليس بفعل لاحد فصح الفرق بين الأمرين فافهم. وايضا فانه يجوز إذا اعرب القارى القراءة ، ومكن مايجب تمكينه، ووقف فيما يجب الوقوف عليه ، وبدأ بما يجوز البدأة به ، وقطع مايجوز القطع عليه، ووصل مايجوز وصله ، فجائز ان يقال فلان حسن القراءة جيد القراءة ، وإذا كان بالعكس من ذلك جاز ان يقال : فلان ليس بحسن القراءة ولا جيد القراءة ولا يجوز ان يقال المقروء غير حسن ولا جيد بل المقروء حسن سواء كانت القراءة حسنة أو غير حسنة فافهم الفرق بين الأمرين .

ثم نقول لهم خبرونا: أليس الله تعالى فرض علينا القراءة فى الصلاة ؟ فاذا قالوا: بلى . قلنا افرض علينا شيئا نفعله أو غير شيء نفعله ؟ فان قالوا : فرض علينا شيئا نفعله . قلنا : وما هو هذا الشيء ؟ فلا بد أن يقولوا : القراءة . قلنا فقد صح أن القرآن موجود قبل القارى له وقراءته فى الصلاة ثم أمره تعالى بأن يقرأ أى يفعل فعلا يسمى قراءة ففعل العبد صفة العبد لا صفه الرب وصار هذا بمنزلة قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ٣٣ - ٤١) أليس المذكور غير الذكر الذى هو فعل الذاكر المأمور بفعله ، فكذلك القراة فعل القارى والمقروء القرآن ، ثم نقول لهم أليس كلام الله تعالى موجود بوجوده ، قديم بقدمه قبل أن يخلق خلقا فلا بد من نعم . فنقول : فهل يصح وجود القراءة من القارى قبل وجوده ؟ فلا بد من لا . فنقول ما كان موجودا قبل القارى فهو القرآن الذى هو كلام الله ، وما وجد من

القارى بعد أمره بالقراءة فهو فعله لا محالة وهذا قدر لايخفى على بشر سليم العقل .

فان احتجوا على أن الكلام القديم يوصف بالصوت والحرف بقوله تعالى : (حتى يسمع كلام الله ٩ - ٦) قالوا والذى يسمع انما هو صوت وحرف وقد نسبه إليه فدل على انه متكلم بصوت وحرف . فالجواب من وجهين : -

احدهما: ان يقال لهم ما أنكرتم ان تكون هذه الآية حجة عليكم ، وذلك ان كل عاقل يقول ان المشرك لا يسمع كلام الله بلا واسطة وهى قراءة القارئ فلا بد من وجود القراءة التى هى حروف واصوات فيحصل لهذا المشرك السماع حينئذ لكلامه تعالى، فحصل معنا عند ذلك مسمع استمع كلام الله باسماع أوجده وهى قراءته التى هى حروف وأصوات ، ومسموع وهو كلام الله تعالى الذى لايجوز ان يكون حروفا وأصواتا لأن الحروف والأصوات تتقدم بعضها على بعض وصار هذا بمنزلة من أسمعنا الله بذكره بأن قال : يا الله . قلنا : حصل معنا مسمع وهو الذاكر ، واسماع أسمعنا به المسموع وهو المذكور فالاسماع يقع بحروف وأصوات فيجوز لكل ان يقول ان الله المذكور هو حروف وأصوات [1] .

الجواب الثانى : ان المراد بهذه الآية ماهو سماع الحروف والاصوات انما المراد بهذه الآية حتى يتدبر كلام الله ويفهم ما فيه لعله يرجع عن شركه ويهتدى فالحروف والأصوات لاتهدى انما الذى يهدى هو القرآن الذى هو كلام الله تعالى. دليله : قوله تعالى : (ان هذا القران يهدى للتى هى أقوم ١٧ - ٩)

جواب ثالث : وهو ان يقال لهم : إذا كان الكلام القديم أصواتا وحروفا ، والكلام المخلوق الذى من الشعر والخطب أصواتا وحروفا ، فقد صار الكلام القديم كالكلام المخلوق وهذا القول يوجب أن يكون كل كلام قديم أو محدث

---

(١) يعنى الاسم لا المسمى (ز) .

[سواء] لأن الحرف والصوت فى قول القائل إذ أخبر عن قول اللعين فرعون : (انا ربكم الأعلى ٧٩ - ٢٤) فاعبدون فصورة الحروف فى قول فرعون أنا ربكم كصورتها فى قراءة القارى (وانا ربكم فاعبدون ٢١ - ٩٢) ، فصح أن الحروف والأصوات ليست [كلام] فرعون ولا الرب تعالى فالحرف والصوت يعبر به عن كلام فرعون ويقرأ به كلام الله تعالى فصح ، ان الحرف والصوت اداة يقرأ بها الكلام القديم لا أن الحرف والصوت نفس الكلام القديم .

جواب رابع : وهوان يقال لهم خبرونا عن قولكم ان الله تعالى متكلم بأصوات وحروف أهى هذه الحروف والأصوات الجارية الدائرة فى سائر كلام الخلق أو غيرها ؟ فان قالوا : هى هذه فقد جعلوا جميع كلام الخلق قديما كله ، وان قالوا : بل هى غير هذه الحروف والأصوات الجارية فى كلام الخلق . قلنا : فصح حينئذ ان قراءة القراء للقرآن بحروف وأصوات غير الحروف والأصوات التى تعنون ، فاذاً ليس عندنا كلام الله تعالى بل هو غائب عنا لان أصوات القراء وحروفهم هذه هى المعهودة الجارية فى كلام الخلق . وكذلك ايضا يجب ان لايكون فى المصحف قرآن لأن الحروف التى فيه هى الحروف المعهودة الجارية فى خطوط الخلق وكل هذين القولين باطل ، فثبت أن الحروف والأصوات يقرأ بها الكلام القديم ويكتب بها الكلام القديم لا انها نفس الكلام . ثم يقال لهم : خبرونا أيصح خروج حرف من غير مخارج ؟ فان قالوا : لا . قلنا : فتقولون أن البارى - تعالى عن قولكم - ذو مخارج من شفة للفاء ، وحلق للحاء ، ولسان للثاء ، وان قالوا : نعم جسموا باجماع المسلمين[1] ، وان قالوا : لاتحتاج الحروف إلى مخارج ، فقد كابروا الحس والعيان مع قولهم بصحة الخبر المروى بزعمهم وذلك ان كلامه منه خرج ، وكلامه عندهم حروف فيجب على قولهم ان يكون خروجها من مخارج ، وكل هذا القول كفر وضلال وسفه وحمق وجهل عظيم .

فصل : فان احتجوا بقوله تعالى (حم ٤٠-١ و ٤١-١ و ٤٢-١ و ٤٣-١ و ٤٤-١ و ٤٥-١

---

(١) فتعسا لمن عزا الى احمد كما سبق سماع موسى التوراة من الله من فيه كما فى طبقات الحنابلة لأبى الحسين بن ابى يعلى فى ترجمة الاصطخرى ، وذكره ابن بدران ايضا فى المدخل نعوذ بالله من الخذلان (ز) .

و٤٦-١) و(الم ٢-١و٣-١و٢٩-١و٣٠-١و٣١-١و٣٢-١) ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وقالوا بالاجماع ان هذا كلام الله فصح ان كلامه حروف .

قلنا الجواب عن هذا من وجوه : —

احدها : ان أردتم بقولكم انها كلام الله تعالى بما تزعمون من الاجماع ان نفس صورة الالف، ولام، وميم نفس الكلام القديم فلا قائل بهذا غير جهالكم الذين لا فهم لهم ولا عقل ، لأن هذا القول منهم يؤدى إلى ان الكافر المشرك يقدر ان يوجد القديم ويفعل القديم ، لأن كل كافر كاتب يقدر ان يكتب صورة ألف ويلفظ بألف ، ومن عظيم الجهل أن يكون عبد مخلوق مربوب يقدر ان يوجد القديم ويفعل قديما هذا جهل ظاهر . وان قلتم المفهوم من (الم) و (حم ٤٠-١و٤١-و٤٢-١و٤٣-١ و٤٤-١و٤٥-١و٤٦-١) ونحو ذلك هو كلام الله تعالى عند نظر الناظر إليها وان المسموع عند قراءة القارئ (الم) و (حم) ونحو ذلك هو كلامه تعالى، هذا صحيح ، وصح بذلك ان الكلام القديم يفهم بالحروف المنظومة على اختلاف نظمها بين أرباب تلك الخطوط والاشكال كلام الله تعالى، فكذلك صح ان القراة هى حروف وأصوات بها يسمع كلام الله القديم على حسب اختلاف اللغات بين أربابها لا انها نفس كلامه القديم .

وقد اختلف المفسرون فى هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور على ثمانية أقوال: —

احدها : انها اسماء من أسماء القرآن كالذكر والفرقان وهذا قول قتادة وابن جريج.

الثانى : انها اسم لكل سورة ذكرت فى أولها وهذا قول زيد بن أسلم.

الثالث : انها يعبر بها عن اسم الله الأعظم . وهذا قول السدى ، والشعبى

والرابع : انها اقسام قسم بها الله تعالى وبه قال ابن عباس ، وعكرمة .

والخامس : انها حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، فالألف من انا ، واللام من الله ، والميم من أعلم . فكان معنى ذلك انا الله أعلم . وهذا قول ابن مسعود ، وسعيد ابن جبير ونحوه عن ابن عباس ايضا ، والعرب قد تعبر عن الكلمة بحرف منها كقول القائل : قلت لها قفى . قالت : قاف . أى وقفت ومثله فى كلام العرب كثير . وقد قال ابن عباس فى قوله تعالى : (كهيعص ١٩-١) الكاف من كاف والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم والصاد من صادق .

السادس : ان كل حرف منها يدل على معان مختلفة فالالف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، والالف الآء الله يعنى نعمه واللام ملكه ، والميم مجده ، والالف سنة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون سنة آجال ذكرها .

والسابع : انها حروف من حساب الجمل لما روى عن ابن عباس ، عن جابر ابن عبد الله قال : مر أبو ياسر [ابن اخطب] ورسول الله يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة (الم ذلك الكتاب ٢ - ١) فاتاه اخوه حيي بن اخطب فاخبره فقال حيي ابن اخطب : واقبل على اليهود فقال لهم الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون وهذه احد وسبعون سنة ثم [ذهب حيي مع هؤلاء النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و] قال للرسول الله فهل معك غير هذه ؟ قال نعم (المص ٧ - ١) قال اثقل واطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم اربعون ، والصاد تسعون فهذه احد وستون ومائة سنة ثم قال هل معك غير هذه يا محمد ؟ قال نعم . قال : ماذا ؟ قال : (الر ١٠ - ١ و ١١ - ١ و ١٢ - ١ و ١٤ - ١ و ١٥ - ١) فقال : هذا اثقل واطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وثلاثون ومائتا سنة فهل مع هذا غيره ؟ قال نعم : (المر ١٣-١) قال هذا اثقل واطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم اربعون ، والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومايتا سنة . قال : لقد التبس علينا امرك حتى ماندرى اقليل اعطيت ام كثير . ثم قاموا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو ياسر لاخيه حيي ولمن معه من اليهود : ومايدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون ، واحدى وستون ومائة ، واحدى وثلاثون ومايتان ، واحدى وسبعون ومايتان ، فذلك سبعماية سنة واربع وثلاثون سنة . قالوا : والله لقد تشابه علينا امره قيل فنزلت فيهم[1] :

---

(١) والخبر ضعيف (ز) .

(هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ٣ - ٧).

والثامن : انها حروف هجاء اعلم الله تعالى بها العرب حين تحداهم ان تلاوة القرآن بحروف كلامهم هذه التى عليها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه ابلغ فى الحجة عليهم اذ لم يخرج تلاوته عن مبانى كلامهم .

جواب ثانى : وهو انك تقول : إذا قلتم ان الحرف المفرد اذا اتى به فى تلاوة كلام الله هو نفس كلام الله فما تقولون فيمن اسقط شيئا من كلام الله أيجوز ذلك ام لا ؟ : فلابد من ان يقولوا لايجوز . فيقال لهم : خبرونا عن جماعة من القراء من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم باحسان الذين قرؤا (ملك يوم الدين ١ - ٣) وهم الاكثر قد اسقطوا الفا هى فى قراءة غيرهم لأن غيرهم يقرؤن مالك بالالف . فان قالوا : اخطؤا فلا يجوز لهم ذلك كذبوا وخالفوا الاجماع . وان قالوا يجوز لهم ذلك وهو القول الصحيح الصواب ، قلنا : فصح ان الالف ليس نفس كلام الله القديم لانه لايجوز لاحدان يسقط منه شيئاً[1] ، وانما الالف صفة قراءة دون قراءة ، فالمقروء مع اثبات الالف هو المقروء مع اسقاط الالف شيء واحد لايزيد بزيادة الحروف ولاينقص باسقاط الحروف ، والقراءة تزيد بزيادة الحروف وتنقص باسقاط الحروف ، وقد قيل ان من قرأ القرآن بقراءة ابن كثير كتب له اجر ختمة وثلث لانه يزيد فى الحروف اكثر من سائر القراء لانه يقرأ لديه واليه وعليه والكسرة عندهم تقوم مقام حرف وقرأ فى التوبة (تجرى تحتها الانهار ٢ - ٢٥ و ٢٦٦ و ٣ - ١٥ و ١٣٦ و ١٩٥ و ١٩٨) وهذا يوضح لك ان قوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) واسقاط الألف واثباتها متواتران فيكونان كآيتين ولم يسقطها قارىء بنفسه ولا اثبتها قارىء آخر بنفسه فلا تكون فى هذا الجواب وجاهة كما سيأتى (ز)

« من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات » ان الحروف عائدة الى القراءة وطول حروفها دون المقروء الذى هو كلام الله تعالى لا يزيد ولا ينقص وسنذكر ذلك فى الجواب عن هذا الخبر اذا احتجوا ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

جواب اخر : وهو انك تقول : خبرونا عن حروف كلام الله على زعمهم أهى ثمانية وعشرون حرفاً أو اكثر أو اقل ؟ فان قالوا هى ثمانية وعشرون حرفاً فقد جعلوا القديم مما يحله الحصر والعد والافتتاح والانتهاء [وهى] صفة المخلوقات لا صفة القديم . وان قالوا : اكثر قلنا : أكثر الى ماله حد او الى مالا حد له ؟ فاى القولين قالوا كان باطلا ، لأن القرآن لا يخرج فى الكتابة والتلاوة على أكثر من هذه الثمانية وعشرين حرفاً فعلى قولهم يجب ان يكون معنا بعض القرآن لا كله ، لان القرآن عندهم حروف يزيد على هذه الحروف ولعل الذى يكون معنا من القرآن اقله لا سيما ان قالوا ان الحروف القديمة لا يدخلها حصر ولا عد وهذا قول ساقط واه عند كل عاقل محصل فلم يبق الا ان الحروف والاصوات ادوات نكتب بها ونتلو بها الكلام القديم وغير الكلام القديم لا انها نفس الكلام فافهم ذلك .

وجواب اخر : وهو ان تقول لهم : خبرونا اليس قد قرأ سائر القراء غير نافع وابن عامر فى سورة الحديد فى قوله تعالى : (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ٥٧-٢٤) باثبات الهاء والواو وقرأ نافع وابن عامر باسقاط الهاء والواو فالذى اسقط من الهاء والواو كلام الله تعالى او قراءة كلام الله تعالى فلا يجوز لعاقل ان يقول الهاء والواو كلام الله لان من اسقط شيئاً من كلام الله كفر(١) ولا خلاف بين المسلمين انهما على الحق وربما رجحوا قراءتهما على غيرهما فلم يبق الا ان الحروف آلة للقراءة تسقط

---

(١) والاسقاط والزيادة فى مثل هذه المواضع متواتران فيكونان فى حكم آيتين فلا وجاهة فى هذا الجواب وكفى باقى الاجوبة (ز) .

تارة وتثبت اخرى والمقروء المتلو ثابت لايحتمل النقصان ولا الزيادة لأنه قديم لـكن المخلوق يجوز ثبوته تارة واسقاطه اخرى .

فصل : فان احتجوا على اثبات قدم الحروف وان كلام الله القديم يتصف بالحروف بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: « انزل القرآن على سبعة احرف ».

فالجواب : انه لاحجة فى هذا الحديث من وجوه عدة ، لانـكم تخالفون هـذا الحديث . لأن الرسول قال على سبعة احرف وانتم تقولون على ثمانية وعشرين حرفاً فقد اسقطتم متن هذا الحديث ولم تقولوا به فلا حجة لـكم فيه .

جواب آخر : وهو انه صلى الله عليه وسلم قال : « انزل على سبعة أحرف » ولم يقل تـكلم الله بحرف ، وانتم انما تريدون اثبات الحرف لـكلامه لانزول كلامه فلا حجة لـكم فيه .

جواب اخر : وهو ان قوله عليه السلام على سبعة احرف لم يرد بها حروف التهجى ، وانما اراد بها غير ذلك باجماع اهل العلم من الصحابة والتابعين ، ولانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه فسر ذلك بغير حروف التهجى ، لانه قال : « على سبعة احرف » ثم فسرها فقال : « أمر ، ونهى ، وترغيب ، وترهيب ، وخذل ، ومثل ، وقصص » وقال بعض الصحابة والتابعين يعنى على سبعة لغات مما لايغير حكما من تحليل ولا تحريم مثل قوله تعالى : (ياموسى أقبل ولاتخف ٢٨ - ٣١) فـكانوا لايفرقون بين قول التالى اقبل أوهلم ، أويقال لان معانيها متفقة وان اختلفت اللغات فيهـا وماجرى هذا المجرى ، وكانوا فى صدر الاسلام مخيرين فيها فلما اجتمعت الصحابة رضى الله عنهم عند جمع القرآن على احدها وهو قوله (اقبل ولاتخف) منع هذا الاجماع من غير اقبـل الى هلم وتعال ونحو ذلك ، وقيـل عن بعض الصحابة والتابعين أن قوله على سبعة احرف اراد بذلك على سبع لغات للعرب فى صيغة الالفاظ فى التلاوة وكيفية مخارجها ونقص حروفها وزيادتها ووجوه اعرابها كالذى اختلف فيه

القراءات فقرأ بعضهم : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم ٣ - ١٣٣) بغير الواو وقرأ اخرون بواو ، وقرأ بعضهم فيكون بالنصب فى مواضع ، وقرأ اخرون فيكون بالرفع فيما نصبه الاولون وقرأ بعضهم : (فتلقى آدم من ربه كلمات ٢ - ٣٧) فنصب آدم ورفع كلمات وهو ابن كثير ، وقرأ اخرون برفع آدم ونصب كلمات الى نحو هذا مما لايحصى عدداً فبطل احتجاجهم بالاجماع مما نقل عن الرسول والصحابة والتابعين ان احدا منهم قال انه اريد بالسبع حروف التهجى وانما المراد به اختلاف القراءات دون غيرها ماروى ان عمر رضى الله عنه مر ببعض الصحابة وهو يقرأ سورة الفرقان على خلاف القراءة التى اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فكدت ان اساوره يعنى اعجل عليه فابطش به ثم قال ثم لببته حتى اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على خلاف القراءة التى اقرأتنيها فقال : خل عنه . ثم قال اقرأ فقرأ عليه القراءة التى سمعتها فقال : هكذا انزل . ثم قال : اقرأ يا عمر : فقرأت عليه القراءة التى اقرانيها فقال : هكذا انزل . ثم قال : « ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف الكل شافٍ كافٍ فاقرؤا ماتيسر منه » فافاد هذا الحديث وجوها :

احدها : ان الحروف واختلافه صفة القراءة التى يجوز فيها الاختلاف لا كلام الله القديم الذى لايجوز فيه الاختلاف[1] .

الثانى : ان عمر ما انكر عليه ان القرآن المقروء بقراءته كلام الله انما انكر عليه القراءة التى هى صفة القارىء وظن ان هذه القراءة فاسدة وقراءته الصحيحة حتى اعلمه الرسول عليه السلام ان كل واحدة من القرائتين جائزة وان اختلفا لأن المقروء بها لايختلف لاختلافها .

---

(١) كان أحمد يقول : القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق . فما تواتر من زيادة ونقص كلاهما أبعاض القرآن باعتبار الوجود العلمى فلا وجاهة فى هذا الجواب (ز) .

الثالث : ان الرسول أخبر ان القرآن يقرأ على سبع قراآت وان تعدد القراآت لا يدل على تعدد القرآن لأن السبع المقروء بها واحد وهو كلام الله القديم الذى لا يشبه كلام الخلق ولا يختلف فى حال من الأحوال وان اختلفت القراآت فافهم التحقيق ترشد ان شاء الله تعالى .

فصل : فان احتجوا على ان الله تعالى متكلم بحروف بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات اما انى لا أقول الم حرف لكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف» ، قالوا : فدل على [انه] تكلم بحروف فالجواب من وجوه :-

احدها ان الحديث لا حجة فيه على ماتريدون لأنه لم يقل تكلم الله بحروف وانما قال من قرأ فله وهذا لا حجة فيه .

جواب آخر : وهو ان الأجر انما يقع على الطاعة التى هى القراءة لا على القديم الذى هو كلام الله ، ونحن نقول ان الحرف عائد إلى القراءة لا إلى المقروء ، والذى يحقق ذلك انه إذا جلس اثنان حافظان لكلام الله تعالى وهما ساكتان أليس كل واحد منهما معه كلام الله فى صدره كما أخبر تعالى : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ٢٩ - ٤٩) ولا يحكم بأن لكل واحد منهما حسنة وان كان كلام الله موجوداً معهما ، فاذا قرأ احدهما وسكت الآخر أليس يحصل للقارئ بكل حرف عشر حسنات لوجود القراءة منه وليس للساكت منهما هذه الحسنات ، وان كان معه كلام الله القديم على الوجه الذى ذكرناه انما زاد عليه هذا بأن وجدت منه القراءة التى هى حروف وفعل منه يسمى طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم : «افضل عبادات امتى قراءة القرآن» ، فصح ان الثواب على الفعل الذى هو طاعة لا على الكلام القديم فكان الحرف صفة التلاوة لا صفة المتلو .

جواب آخر : وهو انه قد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه أضاف الحرف إلى التلاوة لا إلى كلام الله القديم وهو ما روى عبدالله بن مسعود ان الرسول قال :

« تعلموا القرآن فأنه مادبة الله فتعلموه واتلوه فانكم تؤجرون على تلاوته بكل حرف عشر حسنات » . فأضاف الحرف إلى التلاوة لا إلى المتلو فصح ماقلناه وبطل ماتوهم الجاهل انه حجة له .

فصل : فان احتجوا فى اثبات الصوت لكلام الله تعالى وانه متكلم بأصوات بما روى فى الحديث : « اذا كان يوم القيامة نادى الله تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب(١) » الخبر قالوا : فقد أضاف الرسول عليه السلام الصوت إلى الله تعالى فصح ما قلناه . الجواب من أوجه : -

احدهما : أنك تقول اولا حجة لكم فيه لأنه صلى الله عليه وسلم ما قال تكلم الله بصوت ، ولا قال بصوت ولا قال كلام الله أصوات كما تزعمون بجهلكم وانما قال نادى الله بصوت وليس الخلاف إلا ان كلامه اصوات فلا حجة لكم فيه .

جواب آخر : وهو ان هذا الحديث قد روى فيه ما يدل على [أن] الصوت من غير الله بأمره لأنه روى إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق فى صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى يأمر منادياً فينادى فصح ان النداء من غيره لكن لما كان بأمره أضيف النداء إليه كما يقال : نادى الخليفة فى بغداد بكذا . وكذا . ويقال . أمر الخليفة مناديا فنادى بأمره فى بغداد بكذا . وكذا ولا فرق بين الموضعين فإن كل عاقل يعلم ان الخليفة لم يباشر النداء بنفسه لكن لما كان بأمره جاز ان يضيفه

---

(١) يريد به حديث جابر ، وفى سنده عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف . وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد وهو ممن لايحتج بهم عند بعضهم ، ولذا علقه البخارى بقوله ويذكر ، على أن كون الأسناد مجازيا متعين بحديث الدارقطنى (يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم الحديث) — راجع ما علقناه على السيف الصقيل (٦٣) (ز) .

إلى نفسه وان يضاف إليه وان لم يكن هو المنادى بنفسه ويصحح جميع ذلك القرآن قال الله : (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ٥٠ - ٤١ و ٤٢) فاضاف النداء إلى المنادى فصح ان الصوت صفة المنادى لا صفة الآمر بالنداء ، ومن عجيب الأمر ان الجهال لايجوزون ان يكون النداء صفة المخلوق إذا كان رفيع القدر فى الدنيا كالخليفة والأمير وينفون عنه ذلك ثم يجوزونه فى حق رب العالمين .

جواب ثالث : وذلك انا وكل محقق يقول ان هذا الصوت ليس بموجود اليوم وانما يكون يوم القيامة ، وكلام الله قديم بقدمه موجود بوجوده فصح ان هذا شيء لم يكن بعد وانما يكون يوم القيامة ، و من زعم ان صفة الله تعالى ليست بموجودة اليوم وانما توجد يوم القيامة فقد جعل كلام الله تعالى مخلوقا لا محالة فصح بهذه الجملة ان الصوت ليس بصفة لكلام الله تعالى وانما هو صفة للمنادى الذى يأمره الله تعالى بالنداء فى ذلك اليوم .

جواب آخر : وهو ان كل ما أضيف إلى الله تعالى [لا] يجب أن يكون صفة له فمن زعم هذا فقد كفر واشرك لا محالة لأن الخبر قد جاء بقول الله تعالى : «يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى ، جعت فلم تطعمنى ، عطشت فلم تسقنى ، عريت فلم تكسنى فاضاف هذه الأشياء إليه فى الخبر ومن زعم انه يجوع ويعطش ويمرض ويعرى فقد كفر واشرك لا محالة . وكذلك قال تعالى : (يوم ينفخ فى الصور ٦ - ٧٣) على قراءة من قرأ بالنون والنافخ اسرافيل . وقال تعالى: (ان الذين يؤذون الله ٣٣-٥٧) فاضاف الاذية إليه ومن زعم ان الأذية من صفته فقد كفر لا محالة فلم يبق الا أن النداء والصوت حصل من الصايت المأمور لامن الآمر لكن لما كان بأمره جاز ان يضاف إليه كما قال تعالى . (ولقد جئناهم بكتاب ٧-٥٢) وإنما جاء به محمد عليه السلام بأمره . وقال تعالى : (فطمسنا أعينهم ٥٤ - ٣٧) والطامس جبريل ، وميكائيل ، طمسا أعين قوم لوط لكن لما كان بأمره أضافه إلى نفسه . وكذلك يقال : رجم

وجلد رسول الله صلى عليه وسلم ، وانما الراجم والجالد غيره لكن لما كان بأمره حسن ان يضاف إليه فافهم الحق لتبطل به الباطل .

فان احتجوا بما روى ان الله تعالى اذا تكلم الله بالوحى وروى بالأمر من الوحى جاءله صوت كجر السلسلة على الصفا[1] . فالجواب عن هذا من وجوه عدة :-

احدها : ان هذا هو الحجة عليكم لأن هذا الصوت خلاف ذلك الصوت الذى فى الخبر الأول لأن ذلك قال فيه يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وهذا الصوت انما يسمعه بعض الملائكة فصح ان هذا الصوت خلاف ذلك الصوت ولو كان الصوت صفة قديمة لما اختلف ولا تغير لأن القديم لا يجوز عليه الاختلاف ولا التغير فلما اختلف وتغير دل أن ذلك صفة الخلق لا صفة الحق فافهم .

جواب آخر : وذلك انه قال : اذا تكلم الله بالوحى جاء له صوت ولم يقل اذا تكلم الله بصوت فالوحى غير الموحى لأن الموحى كلام الله تعالى ، والوحى انزال كلام الله واعلام كلام الله والذى يدل على صحة ذلك القرآن . وذلك ان الله تعالى فصل بينهما فقال : (وكذلك أوحينا اليك قرآنا ٤٢ - ٧) فالوحى انزال القرآن . واعلام القرآن ، وافهام القرآن الذى هو كلام الله تعالى وقال تعالى : (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ٤ - ١٦٣) ان انزلنا اليك وافهمناك كلامنا القديم كما انزلنا وافهمنا من قبلك كلامنا القديم فالإفهام لم يكن ثم كان . واما المفهوم الذى هو كلام الله القديم فهو موجود ثابت قبل الإفهام وبعده على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير .

---

(١) والمحفوظ هو الموقوف كما ذكره الدارقطنى فى العلل ، ولا يحتج بالموقوف فى باب الصفات ، والسكرى فى (خلق الافعال) مختلط لا يحتج به عند ابن ابى حاتم وفى سند خبر الصوت عنعنة الأعمش وهو مدلس - راجع ماذكرناه فيما علقناه على الأسماء والصفات (ص ٢٠٠) (ز) .

جواب آخر . وهو ان هذا الحديث قد روى من طرق عدة واضيف اليه الصوت المشبه بجر السلسلة الى الخلق لا الى كلام الحق فمن ذلك ماروى النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تكلم الله بالوحى اخذت السماوات منه رجفة شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا سجدا واول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فتكلم الله من وحيه بما اراد فينتهى به جبريل عليه السلام على الملائكة كلما مر بسماء سأل اهلها ماذا قال ربنا ؟ فيقول جبريل الحق وهو العلى الكبير » فثبت ان الصوت المشبه بالسلسلة صوت رجفة السموات لأنهم سمعوا صوت رجفة السموات لا كلام الله تعالى ولهذا سألوا جبريل عليه السلام ماذا قال ربنا فدل على انهم لم يسمعوا كلامه وانما سمعوا صوت رجفة السموات التى شبهت بجر السلسلة لأنهم لو سمعوا كما سمع جبريل لفهموا كما فهم جبريل . وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان » فاضاف الرسول عليه السلام هذا الصوت المشبه الى صوت اجنحة الملائكة لا الى كلام الله تعالى . وحديث ابى هريرة هذا صحيح اخرجه البخارى وحديث النواس اخرجه مسلم فى كتابه وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله انه قال . « إذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان » وفى رواية : « سمع اهل السماء للسماء صلصلة » وليس فى شىء من هذه الروايات اذا تكلم الله سمعوا من الله صلصلة وانما سمعوا من السماء اذا احدث الله فيها رجفة وجعل ذلك علامة لأهل السموات يعلمون بها ان الله تعالى تكلم بالأمر وان المخصوص بسماع كلامه جبريل عليه السلام ولهذا سألوه ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول : قال . الحق . فيقولون : قال الحق . فيصفون الله تعالى بقول الحق لا بالصلصلة والصوت فصار هذا الحديث حجة عليهم لا لهم .

جواب اخر : وهو انه قد روى من الاخبار والآثار مالا يحصى عدداً ان الصوت مخلوق وانه صفة القارىء لا صفة البارى فمن ذلك ماروى ابن جريج عن الزهرى انه

قرأ بين يديه (يزيد فى الخلق مايشاء ٣٥ - ١) فقال هو الصوت الحسن . فقال الاوزاعى رحمه الله انه قال : ليس احد من خلق الله احسن صوتاً من اسرافيل ، قيل فاذا اخذ فى السماع قطع على اهل سبع سموات تسبيحهم وصلاتهم .

وقال ابو العالية : قال موسى صلى الله عليه وسلم لقومه : قدسوا باصوات حسنة فانه اسمع له . فاضاف الصوت الى المقدسين لا الى المقدس. وقال مالك[1] بن دينار فى قوله تعالى : (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ٣٨ - ٢٥ و ٤٠) قال : يقيم الله داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول كيف امجدك به وقد سلبتنيه فى دار الدنيا ؟ قال : فيقول جل وعز انى ارده عليك ، قال فيرده عليه فيزداد صوته حسنا فيأخذ فى التمجيد فيستفرغ داود نعيم الجنان يعنى يشتغل اهل الجنة بحسن صوته عن نعيمهم .

فالصوت الحسن المردود المسلوب الرخيم صفة داود عليه السلام التى يمجد بها ويقدس بها ، والممجد المقدس هو الله تعالى الخالق لداود ولصوته ولسائر الأصوات

وروى ان عمر رضى الله عنه كان يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدى المهاجرين والأنصار . وقال ابو عثمان النهدى رضى الله عنه : صلى بنا أبو موسى صلاة الصبح فما سمعت بصوت ولا بربط كان أحسن صوتاً منه ، وتبين من هذه الآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جعل الصوت صفة للقارى لالله تعالى فقد روى عنه فى هذا المعنى مالا يحصى عدداً فمن ذلك ماروت عائشة رضى الله عنها قالت : قام رجل من الليل فرفع صوته بالقرآن فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد أذكرنى كذا . وكذا آية » قال ابو ذر كان لى جار وكان يرفع صوته بالقرآن فشكوته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ذو البجادين فقال : « دعه

---

(١) لم يرفعه الى المعصوم (ز) .

فانه اوّاه ، وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فقرأ ليلة وفرسه مربوط عند رأسه وابنه نائم الى جنبه فدار الفرس فى رباطه فقرأ فدار الفرس فى رباطه فانصرف وأخذ ابنه وخشى ان يطأه الفرس فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ أسيد فان الملائكة لم تزل تسمع صوتك » وروى ابن سابط قال: ابطأت عائشة رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما حبسك ياعائشة ؟ » قالت يارسول الله : سمعت رجلا يقرأ ماسمعت من رجل يقرأ قراءة احسن منها فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع صوته فاذا هو سالم مولى ابى حذيفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى جعل فى امتى مثلك » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه سمع قراءة ابى موسى ذات ليلة فقال : « أبو موسى مزمار من مزامير داود » ومعلوم انه شبه حسن صوته بالقراءة بالمزمار لا كلام الله القديم الذى لا يشبهه شىء من اصوات الخلق ولا نغماتهم . وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم مر فى ليلة هو وعائشة رضى الله عنها وابو موسى يقرأ فقاما فاستمعا لقراءته ثم انهما مضيا فلما اصبح لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابى موسى : « يا ابا موسى مررت بك البارحة ومعى عائشة فاستمعنا لقراءتك » فقال أبو موسى يا نبى الله اما انى لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيرا . قال : « لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم: « انى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن وان كنت لم أر منازلهم حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وان كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار » . وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج فى صحيحه وهو أكبر حجة فى نفى الصوت عن كلام الله القديم لأنه فصل الأصوات من القرآن فاضاف الأصوات إلى الأشعريين ولم يضفها إلى كلام الله الذى هو القرآن .

وقال شهر بن حوشب : قدم ابو عامر الاشعرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من قومه فقال صلى الله عليه وسلم : « انه ليدلنى على حسن ايمان

الاشعريين حسن اصواتهم بالقرآن، وفى هذه الأحاديث التى ذكرنا وامثالها مما لا يحصى عددا أن الأصوات صفة الصايتين لا صفة كلام رب العالمين وفى بعض ذلك مقنع وكفاية لمن اراد الله له الهداية .

فصل : فان قالوا اليس تقولون ان كلام الله مسموع بحاسة الآذان على الحقيقة ؟ قلنا : بلى . فان قالوا فليس يجوز ان يكون مسموعا على الحقيقة إلا ما كان صوتاً وحرفا .

فالجواب : ان هذا جهل عظيم وذلك ان اهل السنة والجماعة قد اجمعوا على ان الله تعالى يرى بالابصار على الحقيقة ولا يجوز ان يرى على الحقيقة الا ما كان جسما وجوهرا وعرضا . أفتقولون : ان الله تعالى جسم ، وجوهر ، وعرض فان قالوا : نعم . فقد اقروا بصريح الكفر للتشبيه ، وان قالوا : يرى وليس بجسم ، ولاجوهر ولا عرض ولا يشبه شيئا من المرئيات . قلنا : فكذلك كلامه قديم ليس بمخلوق ومسموع على الحقيقة ، وليس بحروف ولااصوات ، ولايشبه بشيء من المسموعات فكما انه يرى على الحقيقة ولا تكييف لكلماته فاتقوا الله وقفوا عند حدوده ولا تكونوا ممن قال فيهم : (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ٢ - ٢٢٩) . وتمسكوا بقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٤٢ - ١١) .

ثم نقول لهم : اليس الله تعالى قدسمى نفسه بانيا وهو بان على الحقيقة لأنه قال : (ام السماء بناها رفع سمكها فسواها ٧٩-٢٧و٢٨) ولم ير بانيا على الحقيقة الا بآلة من عدة وآجر وحجر وخشب وغير ذلك . افتقولون : انه مفتقر فى بناء السماء إلى ذلك حتى يكون قد بنى على الحقيقة . فان قالوا : نعم ، كفروا لا محالة ، وان قالوا : هو بناء منه على الحقيقه ولا يفتقر فيه الى آلة وعدة . قلنا : وكذلك كلامه مسموع

منه على الحقيقة بواسطة وغير واسطة ولا يفتقر فى إسماعه ايانا الى آلة من حروف واصوات وغير ذلك .

فصل : فان احتجوا بجهلهم ان الصفة القديمة تحل فى الظروف والأوعية كحلول الشيء المخلوق فى الشيء المخلوق فتفسير هذا القول منهم لو عقلوا كان اقراراً منهم بخلق الله تعالى لأن القديم لا يتصور عليه النقلة ، والتحويل ، وتفريغ مكان ، واشغال مكان ، وامكنة ، وحصر ، وعد ، وافساخ ، وفراغ فان اصروا على الجهل والضلال واستدلوا على حلول كلام الله القديم فى المخلوقين بما يظنون حجة لهم وهو جرأة وحجة عليهم واقروا بقول اخوانهم من النصارى بل زادوا عليهم فى سوء الاعتقاد وخبث المذاهب والمقال على ما سنبينه فى ثانى الحال ان شاء الله .

فان احتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تسافروا بالقرآن إلى ارض العدو » قالوا فصح ان الكلام القديم يصح عليه الحلول والنقلة والتحول فالجواب من وجوه وعدة : —

احدها : انه صلى الله عليه وسلم اراد بذلك المصحف لأنه قد بين ذلك فقال : « مخافه ان تناله ايديهم » ولم يرد ان كلام الله القديم انتقل ولا تحول من بلاد الاسلام إلى بلاد العدو والمصحف قد يسمى قرآنا لأن فيه كتابة القران وقد روى ذلك صريحا عنه صلى الله عليه وسلم فانه كتب إلى عمرو بن حزم : « ولا يمس القرآن إلا على طهارة » فاراد بذلك المصحف الذى حل فيه كتابة كلام الله القديم لا يجوز عليه المس بالأيدى .

جواب اخر : وهو انه اراد لا تسافروا بكتابة القرآن فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما قال تعالى : (واسئل القرية التى كنا فيها ١٢ - ٨٢) يعنى أهل القرية (والعير ١٢ - ٨٢) يعنى أهل العير . وقوله تعالى : (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ٤ - ٤٣) قال اكثر أهل العلم موضع الصلاة . وقال تعالى : (والشجرة

الملعونة فى القرآن ١٧-٦٠) اراد الملعون اهلها فى القرآن . وكذلك قال : (والطور ٥٢-١) (والضحى ٩٣-١) وجميع الأقسام انما معناها ورب الطور ورب الضحى وهذا كثير جدا فى كلام العرب يحذفون لعلمهم بفهم اهل اللسان والبيان ذلك وانهم ليسوا كأهل الجهل والهذيان والعرب تقول بنو فلان تطأهم الطريق ، يريدون تطأهم اهل الطريق وأبين من هذا قوله تعالى : (ان الذين يؤذون الله ٣٣ - ٥٧) يريد أنبياء الله وأولياء الله .

وجواب اخر وهو : انانعلم وكل عاقل يعلم ان الرسول عليه السلام انما اراد بالقرآن ها هنا شيئا محترما يتصور عليه من الأيدى ولم يرد نفس كلام الله القديم والذى يدل على صحة ذلك ان الحافظ للقرآن القرآن فى صدره عندنا حفظا لا أن كلام الله القديم يحل فى صدر الحافظ حلول الجسم فى الجسم ، وعندهم على حسب عقدهم انه حال فى صدور الحفاظ كحلول الشيء فى الشيء ومع ذلك فان الرسول ما نهى احدا من الحفاظ أن يدخل بلاد العدو فلم يبق إلا أنه صلى الله عليه وسلم اراد مصاحف القرآن التى يتصور عليها نيل ايدى العدو ولم يرد ان القديم يحل فى المخلوق حلول الجسم فى الجسم حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم .

فصل : فان احتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «لو جعل هذا القرآن فى اهاب ثم القى فى النار ما احترق » قالوا وقد اطلق عليه صلى الله عليه وسلم ان القرآن يجعل فى الاهاب فدل على انه حال . فالجواب ان اهل العلم رضى الله عنهم ذكروا فى ذلك ثلاثة اقوال : —

احدها : ان هذا كان فى زمانه صلى الله عليه وسلم دليلا على صدقه وكان معجزة له وكان إذا كتب فى جلد ورق أو غير ذلك ثم القى فى النار لم يحترق ذلك الجلد والرق فيكون معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات ، ثم انقضى ذلك بعد موته بدليل ان الرقيق والرق التى كتب فيها القرآن قد احترقت فى زمن الصحابة وغيرهم .

الثانى : ان قوله صلى الله وسلم : « لو جعل القرآن فى اهاب ثم القى فى النار لم يحترق » اراد بذلك فضل حفظة القرآن وانهم لأجل ما حفظوا من كلام الله تعالى وصار حفظه فى صدورهم تصير عليهم النار بردا وسلاما فلا تحرقهم كما كانت على الخليل عليه السلام باذن الله تعالى . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « نعم الشفيع لصاحبه يوم القيامة » فيكون ببركة شفاعة القرآن لصاحبه وعمله به لا تتسلط النار على اهابه فتحرقه وهذا صحيح لأن الاهاب هو الجلد قبل الذبح اوقبل الدباغة .

دليل الأول قول عائشة رضى الله تعالى عنها فى مدح ابيها الصديق رضى الله عنه وحقن الدماء فى اهبها . ودليل الثانى قوله عليه السلام : « ايما اهاب دبغ فقد طهر » فاما بعد الدباغ فلا يقال له اهاب وانما يقال له اديم اورق أو نحو ذلك .

الثالث : وهو الاصح والاجود ان القرآن إذا كتب فى اهاب أو غير ذلك والقى فى النار فان القرآن لا يحرق ولا يتصور عليه الحرق ولا الغرق ولا العدم وان تصور ذلك على الرق والجلد والورق والخط والمداد . وهذا يوضح انه مكتوب على الحقيقة وليس بحال حلول الاجسام فى الاجسام لأن المداد لما حل حلول الاجسام فى الاجسام احترق مع الرق والورق والقرآن لما لم يكن حالا لم يتصور عليه العدم بحرق ولا غرق ولا غير ذلك وهذا واضح صحيح . يؤكد ذلك انا إذا كتبنا اسما من اسماء الله تعالى فى محل يتصور عليه الحرق والغرق والبلى والتمزق فان عدم ببعض ما ذكر فانما يعدم ويذهب المحل المكتوب فيه واللون المكتوب به . واما المكتوب على الحقيقة وهو الرب تعالى فلا يتصور عليه شىء من العدم والذهاب كما اخبر تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه ٢٨ - ٨٨) .

فصل : فان احتجوا بخبر روى وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « من حفظ القرآن اختلط بلحمه ودمه . قالو : وهذا يدل على حلوله واختلاطه بلحوم الحفاظ ودمائهم فى حال صغرهم . فالجواب عن هذا من أوجه .

احدها : ان هذا الحديث يرويه اسماعيل[١] بن رافع ، وعمر[٢] بن طلحة وهما ضعيفان جدا لا يؤخذ بقولهما فى هذا ولا غيره .

الثانى : ان الصبيان الحفاظ للقرآن كثير وكلام الله تعالى قديم وشىء واحد فاذا اختلط بدم صبى ولحمه على زعمهم وامتزج واختلط فكيف يمتزج بلحم آخر ودمه اذ الشىء الواحد اذا اختلط وامتزج بشىء استحال امتزاجه بغيره نعوذ بالله من هذا المذهب الذى يؤدى القول به الى اختلاط الصفة القديمة وامتزاجها بدم المخلوقين ولحومهم ولعمرى ان قول النصارى دون هذا ، لأن النصارى انما تقول كلمة واحدة قديمة اختلطت بجسم واحد وهو جسم المسيح عليه السلام حتى صار الجسم لا هوتياً من أجل الكلمة ناسوتيا من جهة مريم عليها السلام فاختلط عندهم القديم بالمحدث اختلاط الماء باللبن فوافقتهم هذه المقالة الخبيثة وزادوا عليهم لأنهم قالوا : جسم واحدا اختلط به القديم وهؤلاء يقولون اختلط القديم بالف الف جسم واكثر نعوذ بالله من هذا القول الذى لا يقوله من له مسكة من حس وعقل .

الجواب الثالث : ان هذا الحديث ان صح فمراد النبى صلى الله عليه وسلم ان الحفظ فى الصغر اجود واثبت من الحفظ فى حال الكبر ، ويعنى باختلاطه باللحم والدم جودة الحفظ لا اختلاط المحفوظ الذى هو كلام الله القديم . وصار هذا كقوله تعالى: (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ٢ - ٩٣) يعنى حب العجل لأن العجل لا يدخل ولا يحل فى القلوب وانما يدخل ويحل حبه هذا ايضاً كما يقال : التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر والتعليم فى الكبر كالنقش فى المدر يريدون بذلك ان الحفظ فى الصغر اثبت وابقى منه فى حال الكبر .

فصل : فان قيل إذا كان القديم لا يحل فى المصحف فما معنى تعظيمه وتوقيره عن الادناس والانجاس وان لا يحمل الا على طهارة . فالجواب : ان هذا جهل وتخبط

---

(١) قال النسائى متروك (ز) . (٢) قال الذهبى لا يكاد يعرف (ز) .

لان توقير المحل والمكان لايدل على حلول القديم الذى لايتصور عليه الحلول فيه كما انا نحرم المسجد ولاندخله الا على طهارة من غير جنابة ، ولاندخل اليه شيئاً نجساً ولاقذراً ، وننزهه عن البصقة والنخامة وان كانت طاهرة توقيراً له وتعظيما وان كانت أرضه وتربته واحجاره مخلوقة ، وخشبه وطينه مخلوقان لا انه قديم ، ولا انه حل فيه قديم ، وكذلك الطواف بالبيت لايدخل بنجاسة اليه ولايصح الطواف حتى يكون الطائف متطهراً من النجس والحدث ، ولايدل هذا على ان البيت قديم ولا أنه حل القديم فيه ، كذلك الخطوط التى يكتب بها القرآن ، والصحف التى يكتب فيها نوقره ونعظمه وننزهه ان يمس الاعلى طهارة ولايقرب اليه شيء من الانجاس بل نعظمه ونشرفه ، ولايوجب ذلك كون المداد الاسود والصفرة والحمرة قديمة اوحل القديم فيها وهذا امر واضح لمن له عقل وتحصيل اذا تأمله ونظر فيه .

فصل : ثم يقال لهذه العصابة هداهم الله من الضلال ماتقولون فيمن اخذ قلما وورقة ومد حبراً وكتب ألف . لام . لام ها . اتقولون ان المكتوب على الحقيقة هو الله تعالى ام لا ؟ فان قالوا : ماهو المكتوب على الحقيقة فقد خالفوا اجماع اهل السنة والجماعة . وان قالوا : هو المكتوب على الحقيقة . قلنا : افتقولون ان الله تعالى انتقل من العرش[1] وحل فى هذه الورقة ؟ فان قالوا : نعم . كفروا باجماع الأمة وجعلوا البارى تعالى يحويه اصغر الاماكن ، وان قالوا : ليس بحال وهو الصحيح الذى لايجوز غيره . قلنا : فكذلك كلامه تعالى مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا مقروء بألسنتنا متلو فى محاريبنا غير حال فى شيء من المخلوقات .

فصل : ثم يقال لهم : خبرونا اذا كتب كاتب فى ورقة (فكذب وعصى ، ثم ادبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال اناربكم الاعلى ٧٩-٢١-٢٤) افتقولون : ان الكاتب قديم ام كتابته قديمة ام الورق الذى كتب فيه قديم ، ام اللعين فرعون وقوله

---

(١) على قولهم بالاستقرار المكانى على العرش (ز) .

قديم ، فلا يجوز لعاقل ان يقول شيئاً من هذه الاشياء قديم ، بل الكاتب مخلوق وكتابته مخلوقة ، والورقة مخلوقة ، والقلم مخلوق ، والحبر مخلوق ، وفرعون اللعين مخلوق ، وما ادعاه من الربوبية كذب مخلوق ، وانما الذى هو ليس بمخلوق كلام الله تعالى القديم الذى هو خبر يشمل جميع المخبرات التى اخبرنا عن فرعون اللعين وقوله الكذب . فصح ان كلام الله القديم ليس بالخط ولا بالورق ولا بقول فرعون اللعين ، لأن قول فرعون اللعين كذب وكلام الله حق وصدق ، وكذلك اذا كتب الكاتب فى ورقة (لا تقربوا مال اليتيم ٦ - ١٥٢) اتقولون : ان اليتيم وماله قديم والخط الذى كتب ذلك قديم ، والكاتب له قديم . لا . بل الجميع مخلوق وانما القديم كلام الله الذى هو نهيه الذى يشمل جميع المنهيات وهو غير اليتيم والمال والكاتب والكتابة واذا كتب كاتب : (كلوا واشربوا ٥٢ - ١٩) (واقيموا الصلاة وآتو الزكاة ٤ - ٧٧) اترى [أن] الكاتب قديم أو الكتابة قديمة ، أو الأكل والآكل ، والشارب والشرب ، والمصلى والصلاة ، والمزكى والزكاة قديمة . لا والله ليس شيء من ذلك قديما وانما القديم كلام الله تعالى الذى هو امره الشامل لجميع المأمورات . فصح بهذه الجملة الفرق بين كلام الحق وكلام الخلق ، وان كلامه تعالى قديم غير مخلوق ولا يتصف بشيء من صفات الخلق ولا يفتقر تعالى فى كون كلامه صفة له قديمة غير مخلوقة الى شيء من ادوات الخلق من لسان ، وشفة ، وحلق ، وحرف ، وصوت ، بل هو متكلم وله كلام صفة له قديمة غير مخلوقة ولا يجوز عليها شيء من صفات الخلق . فاعلم ذلك وتحققه ولا توفيق الا بهدى من الله وفضل ورحمة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فصل : يتعلق بمسائل ثلاثة وفروعها وهى : مسألة الخلق والارادة وانه [لا] يكون من العباد شيء الا وهو خلق الله تعالى ومراد له لا يجوز ان يخلق احد غيره ولا يكون فى ملكه الا ما اراده .

الثانية : مسألة الشفاعة وانها حق وصدق واعلى الشفاعة عند الله شفاعة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم ويشفع ايضا من أُذِن له فى الشفاعة فى العصاة من ملك ، ونبي ، ومؤمن .

الثالثة : مسألة الرؤية وانها جائزة وان المؤمنين يرون ربهم تعالى فى الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تحديد كما جاء فى الكتاب والسنة ودل عليه العقل أيضا وانما ختمنا الكتاب بمسألة الرؤية لأنها أعلى العطايا وأسنى الكرامة من الله تعالى لعباده المؤمنين وليس فوقها مزيد بل هى الزيادة المذكورة فى قوله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ١٠ - ٢٦)

مسألة : اعلم ان مذهب أهل السنة والجماعة ان الله تعالى هو الخالق وحده لا يجوز ان يكون خالق سواه ، فان جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره فهى منه خلق وللعباد كسب على ما قدمنا بيانه بقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ٢ - ٢٨٦) وأمثال هذه الآية من الأدلة على الفرق بين الخلق والاختراع والكسب . فالواحد منا إذا سمى فاعلا فانما يسمى فاعلا بمعنى أنه مكتسب لا بمعنى انه خالق لشيء . وقالت المعتزلة ، والنجارية (١) ، والجهمية ، والروافض : ان أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد وان كل واحد منا ينشيء ما ينشيء ويخلق ما يفعل وليس لله تعالى على أفعالنا قدرة جملة ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد وسوء المقال . والدليل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع الكتاب والسنة واجماع الأمة وأدلة العقل فالدليل من الكتاب أكثر مما يحصى لكن أذكر منه ثلاثة تنبه اللبيب على بقيتها ان شاء الله تعالى .

فمن ذلك قوله تعالى (٢) : (والله خلقكم وما تعملون ٣٧ - ٩٦) فاخبر تعالى

---

(١) لعل النجارية والجهمية مقحمتان فى هذا الموضع بقلم الناسخ بل لا يعرف هذا فى المعتزلة إلا من عهد الجبائى كما هو مشروح فى موضعه (ز) .

(٢) والكلام فى هذا طويل فى ايثار الحق (ز) .

انه خالق لأعمالنا على العموم كما أخبر انه خالق لصورنا وذواتنا على العموم وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب .

الثاني : قوله تعالى : (خالق كل شيء ٦ - ١٠٢) ومعلوم ان أفعالنا مخلوقة اجماعا وان اختلفنا في خالقها وهو تعالى قد ادخل في خلقه كل شيء مخلوق فدل على انه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى . فان قيل فكلامه شيء فيجب ان يكون مخلوقا . قلنا : قد احترزنا بحمدالله تعالى عن هذا السؤال بقولنا انه أخبر انه خلق كل شيء مخلوق وكلامه وصفات ذاته تعالى قد أثبتنا أنها غير مخلوقة ولا خالقة بل هي صفة الخالق تعالى قديمة بقدمه موجودة بوجوده قبل جميع المخلوقات فبطل هذا السؤال.

وجواب آخر يبطل هذا السؤال وهو انك تقول: ان الله تعالى مخاطب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب الا ترى ان الواحد منا إذا قال دخلت الدار فضربت من فيها ، أو أخرجت من فيها ، أو أعطيت من فيها لا يدل ذلك على انه دخل تحت الخطاب بأن يكون ضرب نفسه ، ولا أخرج نفسه ولا اعطى نفسه ، لأنه مخاطب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب وكذلك قوله تعالى : (خالق كل شيء ٦ - ١٠٢) هو مخاطب فلا يدخل تحت الخطاب بذاته ولا بصفاته جل عن ذلك وتعالى كما قال : (الواحد القهار ١٣ - ١٦) قهر الكل ولم يدخل في القهر ذاته وصفاته . فافهم التحقيق لتدفع به كل بدعة وتمويه من أهل البدع إن شاء الله .

الثالث : قوله تعالى : (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ٣٠-٤٠) والدلالة من هذه الآية من أوجه : —

احدها : انه قال تعالى : (الله الذي خلقكم) وهذا عام في ذواتنا وصفاتنا ثم أكد ذلك بقوله تعالى : (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) يعني ثم خلق أرزاقكم وعند المخالف ان العبد يخلق أفعاله ورزقه فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقا لنا ولأرزاقنا .

الوجه الثانى : من الدلالة انه قال : (ثم يميتكم ثم يحييكم) فكما لا يقدر احد ان يخلق موته ولا حياته فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه من حركة ولا سكون ولا غير ذلك .

الثالث : سبحانه وتعالى نزه نفسه عن عقدهم وخبثهم إذ أضافوا فعل شيء وخلقه الى غيره فقال سبحانه وتعالى:(عما يشركون ٧ — ١٩٠) ثم اكد ذلك بعده بمواضع فقال : (هل من خالق غير الله ٣٥ — ٣) سبحانه وتعالى . وقال : (افمن يخلق كمن لا يخلق ١٦ — ١٧) .

واما الدليل من السنة فكثير ايضاً غير انى اذكر منه خبرين ننبه العاقل الفطن على الاستدلال بأمثالهما من السنة :—

الأول : ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الله خلق كل صنعة وصانعها[1] » وصنعة الصانع انما هى بحركاته وافعاله سواء كان فى صنعة مباحة وطاعة ككتابة القرآن ، والحديث ، والفقه . ومحظورة من تصوير صور الحيوان أو عمل السلاح ليقتل به المسلمين . فصح بهذا الخبر ان الله جل وعلا خالق للفاعل مناولفعله

الخبر الثانى : قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما : « فرغ ربك من اربع : من الخلق ، والخُلق ، والرزق ، والاجل فلو جهد الخلق على أن يؤتوك مالم يقدره الله لم يقدروا على ذلك » وروى : « لو جهد الخلق على ان ينفعوك او يضروك لم يقدروا على ذلك » والمخلوقات منها الضار والنافع فى العاجل والآجل وقد جعل صلى الله عليه وسلم كل ذلك إلى تقدير الله تعالى وخلقه له ولم يجعل إلى العباد شيئا من ذلك فاعلمه وتحققه .

فصل : ويدل على صحة ما قلناه اجماع المسلمين وانهم يقولون : لا خالق إلا الله كما يقولون : لا رازق ، ولا محيي ، ولا مميت الا الله تعالى . فنقول فلا يكون الخالق من غيره واثبتوه خالقا .

---

(١) أخرجه البخارى فى خلق الأفعال (ز) .

فصل : ويدل على صحة ما قلناه من جهة العقل وانه لا خالق إلا الله تعالى وهو كثير جداً لكن نختصر على قدر فيه الكفاية ان شاء الله تعالى .

فمن ذلك : ان نقول لهم : ان قلتم ان الواحد منا يخلق أفعاله ، من طاعة ، أو معصية ، او إيمان ، او كفر فقد شركتم بيننا وبين الله تعالى فى الخلق وانه لا يتم خلقه إلا بخلقنا . وذلك ان الجسم لايخلو من حركة ، اوسكون ، اوكفر ، اوايمان ، أو طاعة اومعصية ، فصح ان جميع الذوات مشتركة الخلق بين العبد وبين الرب وانه لا يتم خلق احدهما إلا بمخلوق الآخر وهذا شرك ظاهر نعوذ بالله منه .

دليل آخر من جهة العقل : وانه لا خالق إلا الله لأن الخالق الصانع أقل ما يوصف به علمه بخلقه كما قال : (الا يعلم من خلق ٦٧ — ١٤) ونحن نجد الواحد منا يفعل ما لا يعلم فعله فيه ولا يحصره ولا يعده بقدرة حتى ان الواحد منا يريد أن يتكلم صواباً فيرمى خطاء إلى غير ذلك فيفعل ما لا يعلمه ولا يريده ، وايضاً الواحد منا إذا خرج الى المسجد حتى وصل إليه فعند المخالف ان كل خطوة خطاها خلقها وأنشأها ولو سئل عن عدد كل خطوة خطاها لم يدر ما يقول ولا يعلمه ولا يعرفه فلم يبق إلا أن الخالق لأفعالنا واكسابنا هو الله تعالى الذى يعلمها كما قال : (الا يعلم من خلق ٤٧ — ١٤)

دليل آخر من جهة العقل : وهو من شرط الخالق للشيء ان يكون قادراً على خلق الشيء وضده فان من يقدر على خلق الحياة يقدر على خلق ضدها وهو الموت ، وكذلك من يقدر على خلق التفريق فى الجسم يقدر خلق الاجتماع له حتى يعود كما كان جسما مؤلفا ، ولما وجدنا احدنا لا يقدر على ذلك صح انه غير خالق ، ولما وجدنا الخالق تعالى يقدر على خلق الشيء وضده دل على أنه هو الخالق لا خالق سواه ، وقد قيل عن الشيخ الامام ابى بكر بن فورك (١)

---

(١) زميل المؤلف فى عهد طلبه العلم عند الباهلى وان كانا متباعدى الدار فى عهد إمامتهما ونشرهما العلم ، ونوه بجواب ابن فورك هنا كما بلغه تقديراً لصاحبه كما هو شأن الاخلاص فى العلم (ز) .

رضى الله عنه انه كان مع اسماعيل المعروف بالصاحب فى بستان وكان يعتقد شيئاً من ذلك فاخذ سفرجلة وقطعها من الشجرة وقال له : الست انا قطعت هذه السفرجلة ؟ فقال له رضى الله عنه مجيباً : ان كنت تزعم انك خلقت هـذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت . فبهت وتحير ولم يقدر على جواب .

وبلغنى ايضاً ان بعض القدرية وقف على احدى رجليه وشال الأخرى وقال : الست انا رفعت هذه وحططت هذه ؟ فقال له بعض اهل السنة : ان كنت تزعم انك خلقت الشيل فى هـذه المشتالة فاخلق الشيل فى الأخرى حتى تصير مشتالة معها فبان له الحق ورجع عن قوله الباطل .

دليل آخر من جهة العقل : وهو أنك تقول حقيقة الخلق والأحداث هو اخراج الشيء من العدم إلى الوجود وإذا كان الواحد منا على زعمكم يقدران يخلق حركة معدومة حتى يخرجها من العدم إلى الوجود ، وان يخلق شيئاً زائداً فيخرجه من العدم إلى الوجود ، وان يخلق له لونا غير لونه فيخرجه من العدم إلى الوجود وفى هـذا القول الخبيث التسوية بين قدرة الله تعالى وقدرة العباد وانهم يقدرون على مايقدر عليه . تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

فصل : نذكر فيه شبها يزعمون ان لهم فيها حجة وليس لهم حجة بحمد الله تعالى كما قال : (حجتهم داحضة عند ربهم ٤٢-١٦) فان احتجوا بقوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون ٥٦ - ٢٤) قالوا . فاثبت لنـا العمل والعمل هو الفعل والفعل هو الخلق فالجواب : أنه تعالى ارادها هنا بالعمل الكسب والعبد مكتسب على مابينا . يدل على ذلك أنه قال فى موضع آخر : (جزاء بما كانوا يكسبون ٩ - ٨٢) نحن لانمنع أن يكون سمى كسب العبد عملا له انما نمنع ان يكون العبد خالقا مخترعا لفعله مخرجا له من العدم الى الوجود وقد بينا ان الخلق والاختراع والخروج من العـدم إلى الوجود لايقدر عليه الا الله تعالى فلم يكن لهم فى الآية حجة .

فان احتجوا بقوله تعالى : (فتبارك الله احسن الخالقين ٢٣ - ١٤) وبقوله تعالى : (الذى احسن كل شىء خلقه ٣٢ - ٧) وبقوله تعالى : (واذ تخلق من الطين ٥ - ١١٠) فالجواب من اوجه : —

احدها : انه يعنى بقوله (احسن الخالقين) يعنى احسن المقدرين فعيسى عليه السلام يقدر الطين صورة والخلق يقدرون الصورة صورة لا انهم يخرجون الصورة من العدم الى الوجود فقال تعالى (احسن الخالقين) اى المقدرين فاعلم ذلك .

جواب آخر . وذلك ان الله تعالى هو الخالق لاخالق سواه لكن لما ذكر معه غيره قال (احسن الخالقين ٢٣ - ١٤) وان كان هو الخالق على الحقيقة دون غيره كما يقال : عدل العمرين وانما هو ابو بكر وعمر لكن لما جمع بينهما سماهما باسم واحد وكذلك قول الفرزدق .

اخذنا باكناف السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

والقمر واحد لكن لما جمعه مع الشمس سماها قمرين ، وكانه تعالى لما علم من الكفار ومنكم ان تجعلوا معه غيره خالقاً قال (فتبارك الله احسن الخالقين ٢٣ - ١٤) على زعمهم ان معه خالقاً غيره وهذا كقوله تعالى:(وهو اهون عليه ٣٠-٢٧) على زعمكم لأن عندهم ان النشأة اهون من الاعادة فذكر ذلك على سبيل الرد عليهم والانكار لقولهم ان معه خالقا غيره لانه اثبت معه خالقا غيره .

جواب آخر : وذلك ان لفظة أفعل فى كلام العرب قد يراد بها اثبات الحكم لأحد المذكورين وسلبه عن الآخر من كل وجه وذلك فى قوله تعالى : (أصحاب الجنه يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلا ٢٥ - ٢٤) فاثبت حسن المقيل لأهل الجنة مع حسن المستقر وسلب ذلك عن أهل النار اصلا ورأسا لان أهل النار ليس لهم حسن مستقر ولاحسن مقيل فكذلك قوله تعالى : (احسن الخالقين) اثبت الخلق له وانه هو المنفرد به دون غيره . وكذلك يقول القائل : العسل احلى من الخل .

لايريد ان للخل حلاوة بوجه بل يريد اثبات الحلاوة للعسل وسلبها عن الخل اصلا ورأسا . فكذلك قوله (احسن الخالقين) اثبت الخلق له دون غيره .

فان احتجوا بقوله تعالى : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ٦٧ - ٣) فكيف يجوز أن يكون خالقا لكفر الكافرين ، وعصيان العاصين وفيه من التفاوت غير قليل .

فالجواب : ان هذا سؤفهم وذلك ان هذا اراد به سبحانه وتعالى خلق السموات فى الصورة وانه ليس فيها فطور ولا شقوق اجمع المفسرون على ذلك فلاحجة لكم فيها ثم ان اول الآية حجة عليكم لأنه قال . (خلق الموت والحياة ٦٧ - ٢) وبين الموت والحياة تفاوت وهو خالق الجميع لاخالق لذلك غيره فكذلك كفر الكافرين وايمان المؤمنين وان كان بينهما تفاوت فى الحكم فليس بينهما تفاوت فى الايجاد والاختراع وإحكام الخلق فصح ان الآية حجة عليهم لا لهم .

فان احتجوا بقوله تعالى : (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ٢٨-١٥) فلو كان الله الخالق لوكزة موسى لقال هذا من عمل الرحمن الجواب من وجهين:

أحدهما : ان قول موسى هذا القول على وجه الادب اى انى ارتكب ما نهيت عنه من شره النفس ووسوسة الشيطان الا تراه قال فى ضلال السبعين من قومه لما لم يكن له فى ذلك كسب : (ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ٧ — ١٥٥) فيجب على العبد عند خطأه وذنبه ان يرد اللوم والتقصير إلى نفسه والى وسوسة الشيطان ولا يرد ذلك إلى خلق الله تعالى وارادته لأنه يصير كالمحتج عليه تعالى وليس لأحد عليه حجة : (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ٦ — ١٤٩) . ومثل هذا قول ابيه آدم عليه السلام وحواء : (ربنا ظلمنا ٧ — ٢٣) فردا التقصير والنقص واللوم إلى أنفسهما لان هذا موضع الادب والتذلل لا موضع الاحتجاج ومثل هذا كثير .

الجواب الثاني : ان الاجماع منا ومنكم ان الوكزة ليست خلق الشيطان ولا عمله بل هي عندنا من خلق الله تعالى واختراعه ولموسى عليه السلام كسب . وعلى عقدهم النحس انها خلق موسى وعمله وليس لله فيها خلق ولا اختراع ولا عمل فبطل احتجاجهم بالآية ولم يبق الا ما قلناه وهو انه اراد بقوله : (من عمل الشيطان) اى زين ذلك وحسنه لى والله المعين .

فان احتجوا بقوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، ٤ — ٧٩) فاوضح تعالى ان السيئة منا والحسنة منه فالجواب من ثلاثة اوجه :—

الاول : انه لا يصح لكم الاحتجاج معشر المعتزلة بهذه الآية بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب لان ظاهرها فيه تعلق لمن يقول ان الخير خلق الله تعالى وفعله والشر خلقنا وفعلنا وانتم تقولون بظاهر هذه الآية لانكم تقولون ان احسن الحسن وخير الخير الايمان والمعرفة . وتقولون ليس لله فى هذا قدرة ولا خلق وانما هو بقدرة العبد المؤمن وخلقه فلا حجة لكم فيها .

الجواب الثانى : ان صريح النص فى اول هذه الآية حجة عليكم لانه يقال رد عليهم وامر نبيه عليه السلام ان يرد عليهم بقوله تعالى : (قل كل من عند الله ٤ — ٧٨) ثم جهلهم واياكم واكد ذلك بقوله : (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ٤ — ٧٨) فصارت الآية حجة واضحة عليكم لا لكم .

الجواب الثالث : قوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ٤ — ٧٩) وهذا صحيح من وجهين :—

احدهما : ان مثله فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ٣ — ١٩١) تقديرا لكلام يقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلا . ومثله قوله تعالى : (والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ٦ — ٩٣) ومثله أيضاً قوله تعالى : (الذين اسودت وجوههم

اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب ٣ – ١٠٦) تقديره الكلام (فاما الذين اسودت وجوههم ٣ - ١٠٦) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب ٣ – ١٠٦) فكذلك هذا فتقدير الكلام فيه (لا يكادون يفقهون) فيقولون (ما أصابك من حسنة ٤ – ٧٩)

الوجه الثانى : ان هذه الآية ان لم تحمل على ما قلناه صار بعضها ينقض بعضاً ويخالف بعضاً ، وليس فى كتاب الله تعالى مناقضة ولا اختلاف فصح ما قلناه لانه قال فى اول الآية : (كل من عند الله ٤ – ٧٨) ثم يرجع فى سياقها فيقول : لا انما البعض منى والبعض من خلقى كلا والله بل ذكر ذلك فى سياق الآية تجهيلا لقائله ورداً عليه فافهم الحق وادفع به الباطل .

فان احتجوا فقالوا : وجدنا افعالنا واقعة على حسب قصدنا فوجب ان يكون خلقاً لنا وفعلا لنا . قالوا : وبيان ذلك ان الواحد منا إذا اراد ان يقوم قام ، واذا اراد ان يقعد قعد ، واذا اراد ان يتحرك تحرك ، واذا اراد ان يسكن سكن وغير ذلك . فاذا حصلت افعاله على حسب قصده ومقتضى ارادته دل على ان افعاله خلق له ، وفعل له . فالجواب من وجهين :

احدهما : ان هذا غير صحيح اولا فانا نرى من يريد شيئاً ويقصده ولا يحصل ما يريد ولا ما يقصد . فانه ربما اراد ان ينطق بصواب فيخطىء ، وربما أراد اكلا لقوة وصحة فيضعف ويمرض ، وربما ابتاع سلعة ليربح فيخسر ، وربما اراد القيام فيعرض له ما يمنعه منه الى غير ذلك فبطل ما ذكرتموه وصح ان فعله خلق لغيره يجرى على حسب مشيئة الخالق تعالى وانما يظهر كسبه لذلك الفعل بعد تقدم المشيئة والخلق من الخالق[1] .

---

(١) واما ارادة العبد للفعل فهى مدار تكليفه وهى بيده جعلها الله هكذا تحقيقاً لمسئولية العبد عن أفعاله ، وهى متقدمة تقدما ذاتيا على الخلق كما جرت عادة الله على ذلك فيكون اختيار العبد بعيداً عن شمة الجبر (ز) .

الجواب الثانى : ان وقوع الكسب من الخلق على حسب القصد منهم لايدل ذلك على انه خلق لهم واختراع . ألا ترى ان مشى الفرس والدابة يحصل على قصد الراكب وارادته من عدو ، وتقريب ، واستطراف ، ووقوف إلى غير ذلك . ولا يقول عاقل ان الراكب خلق جرى الفرس ولا سرعتها ولا غير ذلك من أفعالها فبطل أن يكون حصول الفعل على قصد الفاعل يدل على انه خلقه ، وكذلك أيضا السفن يحصل سيرها وتوجهها فى السير من يمين إلى شمال على حسب قصد الملاح ولا يدل ذلك على أن الملاح خلق سير السفن ولا توجهها فان كابروا الحقائق وقالوا نقول ان ذلك خلقه الملاح والفارس فقد خرجوا عن الدين وسووا بين الخالق والعباد وان قدرة كل واحد منهما تتعلق بمقدورات وهذا كفر صراح . وان قالوا: حركات السفن تقع على حسب قصد الملاح وليس بخلق له . قلنا : فكذلك افعال احدنا قد تقع ولا نقول انها تقع فى كل حال على حسب قصده ولا يدل ذلك على انه خلقها فاخترعها . يؤكد ذلك ان البياض يحصل فى الناطف عند قصد الناطف له ، ولا يقول احد ان واحداً منا يقدر أن يخلق لونا لغيره ولا لنفسه فلا يمتنع أن يكون الفعل قد يحصل على حسب قصد احدنا وليس هو خلقا له ولا موجوداً له من العدم إلى الوجود فاعلم ذلك . يؤكد هذا أيضا ان نمو الزرع يحصل على حسب قصد الزارع وقيامه عليه بسقيه وغير ذلك ولا يقول احد ان نمو الزرع خلقه الزارع ولا انه خلق فى الحبة أضعاف عددها [وكذلك] ماحصل فيه النمو من الفسيل والتين وغير ذلك .

وكذلك سمن الدابة يحصل على قصد العالف لها والساقى ولا يقول احد ان العالف والساقى هو الذى خلق الشحم والسمن فى الدابة . وكذلك دود القز يحصل منه القز على حسب قصد القائم عليه والمربى له ولا يقال ان القز خلقه فى الدود إلا الله تعالى وان كان حاصلا على حسب ارادة القائم عليه وقصده وكذلك فيما يحصل من الواحد منا إذا أراد الله تعالى حصوله على حسب قصده لايدل على انه هو خلقه بل الخالق له هو الله تعالى .

فان قيل فاذا لم يكن احدنا خالقاً لفعله فكيف يكون ملوما عليه ومعذبا به ويستحق عليه المدح والثواب أو الذم والعقاب ؟ فالجواب : ــ

اننا لانقول ان المدح والثواب ، ولا الذم والعقاب يحصل بفعل الفاعل منا حتى يوجب ذلك كونه خلقا له واختراعا بل نقول : ان ذلك يحصل بحكم الله تعالى ويجب ويستحق بحكمه لا [بأن] يوجب الواجب عليه خلق أو جبه عليه. ألا ترى بالاجماع منا ومنكم ومن جميع المسلمين أن الدية تجب على العاقلة بقتل غيرها خطأ . وان لم تفعل العاقلة شيئاً يستحق به ايجاب ذلك عليها وان ذلك الذى فعلته خلق لها بل هو خلق لغيرها وهو الله تعالى عند المسلمين وخلق للقاتل على زعمكم فصح ان الوجوب حصل بايجاب الله وحكمه لا بخلق العاقلة وفعلها ، وكذلك جميع الأحكام فى الدنيا والآخرة انما تجب وتستحق بايجاب الله تعالى وارادته لا بكونها خلقا للفاعل فاعلم ذلك وتحققه .

وكذلك ايضا الأكل فى الصيام ناسيا فعل العبد كما هو فعل له عند تعمده لكن الله تعالى حكم بأن احدهما مبطل ومفطر ويذم ويعاقب عليه ، والآخر بالضد من ذلك وان كان الجميع فعلا للعبد فصح ان ذلك انما يكون بحكم الله تعالى لا بكونه خلقاً للفاعل فصح ما قلناه وبطل ما توهموه .

فان قيل : من فعل الطاعة كان طائعا ، ومن فعل المعصية كان عاصيا فالجواب : ان هذا غير صحيح لأن كون البارى تعالى خالقا وفاعلا لا يوجب ان يتصف بالطاعة والمعصية لأن الطاعة صفة الطائع والمعصية صفة العاصى ، ولا يوجب ذلك وصف خالق الطاعة والمعصية بكونه طائعا عاصياً . الا ترى ان الأسود صفة لمن قام به السواد ولا يكون صفة لله تعالى وان كان تعالى هو خالق السواد ، فكذلك التحرك صفة لمن له الحركة لا صفة من خلق الحركة ، والولد لمن له الولد لا لمن خلق الولد. والحلاوة صفة العسل لا لمن خلق الحلاوة فيه ، وكذلك الحموضة فى الخل صفة للخل

لا لمن خلق الحموضة فيه ، وكذلك الموت اذا خلقه الله فى احدنا صار ميتا واتصف بذلك ولا يوجب ان يتصف الخالق للموت بأنه ميت لما خلق الموت وفعله بالحى ، فكذلك المعصية صفة من حلت به المعصية ، والطاعة صفة لمن حلت به الطاعة ولا يوجب ذلك وصف خالقها بأنه طائع ولا عاص .

فان قيل : لايجوز ان يكون الله خالق الظلم ، والجور ، والكذب لأن من فعل الظلم كان ظالما ، ومن فعل الجور كان جائراً ، ومن فعل الكذب كان كاذبا والله تعالى يتنزه عن جميع ذلك ، فصح ان هذه الأشياء ليست بفعل له ، ولا خالق له .

فالجواب : ان هذا السؤال هو الأول بعينه والجواب عنه قد تقدم لكن نزيد هاهنا جوابا آخر وذلك انا نقول: ليس الأمر على مايقع لكم بل نقول ان الله تعالى خلق الظلم ظلما للظالم به ، وخلق الجور جوراً للجائر به ، وخلق الكذب كذبا للكاذب به كما انه خلق الظلمة ظلمة للمظلم بها ، وخلق الضوء ضوء للمستضئ به ، وخلق الحمرة حمرة للاحمر بها ، وخلق السواد سواداً للاسود به ، وخلق السم سما للمسموم به . فكما ان الله تعالى خلق الظلمة لليل ، والضياء للنهار ، والحمرة للاحمر ، والسواد للاسود ، والسم للحية ولا يوجب ذلك كونه ظلمة ولا ضياء ولا سوادا ولا حمرة ولا سما فكذلك خلق الطاعة طاعة للطائع بها ، والكذب كذبا للكاذب به ، والجور جوراً للجائر به ولا يوجب ذلك كونه جائراً ولا ظالماً ولا كاذبا فصح ماقلناه وبطل ماقالوه .

جواب آخر : وذلك ان الظلم والكذب والجور ليس من حيث الصورة والفعل وانما يكون كذبا إذا خالف الأمر ، وكذلك الجور والظلم وهذا كله يصح الوصف به لمن فوقه آمر امره ، وناه نهاه وهم الخلق . وأما الخالق فليس فوقه آمر ولا ناه فلا يصح وصفه بشيء من هذا فاعلم ذلك وتحققه فانه أصل قوى تدفع به جميع ظنونهم الفاسدة .

فان قيل : لايجوز أن يقال للجور والكذب هذا خلق الله بل يعرض عن ذلك ولا يقال فصح أنه خلق لغيره .

فالجواب : ان هذا السؤال غير صحيح لأنك [إن] اردت الاطلاق فى العموم فجائز بان تقول : ياخالق المخلوقات ، وياخالق الموجودات ، وياخالق كل شيء ، وياخالق الضر والنفع . وان اردت ذلك على الخصوص بان تقول : ياخالق الكذب والجور فلا يجوز من طريق الأدب والاذن فى ذلك كما انا نقول ياخالق المخلوقات فنعم بذلك السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، والقردة ، والخنازير ، والكلاب ، والجعلان وغير ذلك من سائر المخلوقات . فلا يجوز ان تقول على الانفراد ياخالق الاقذار والانجاس ونحو ذلك من طريق الأدب وانه لم يؤذن لنا فى ذلك بل ندعوه باسمائه الحسنى كما امر فقال . (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ٧ - ١٨٠) .

مسألة : اعلم انه لايجرى فى العالم الا مايريده الله تعالى ، وانه لا يؤمن مؤمن ولا يكفر كافر الا بارادة الله تعالى ولا يخرج مراد عن مراده كما لا يخرج مقدور عن قدرته . وقالت المعتزلة ومن وافقهم من أهل البدع : ان الله تعالى لايريد الا الطاعة والايمان فاما من كفر وعصى فقد اتى بماليس بمراد لله تعالى وقالوا : ان كل واحد يفعل من الأفعال مالايريده الله تعالى حتى انتهى بهم القول إلى ان البهائم تفعل افعالا لم يردها تعالى وانه لو اراد فعل غيرها منهم لم يحصل ذلك له وامتنع عليه ، سبحانه وتعالى عما يشركون . ونحن براء الى الله تعالى من جهلهم وبدعهم ونقول : ان مذهب اهل السنة والجماعة الذى ندين الله تعالى به انه لايتحرك متحرك ، ولا يسكن ساكن ولا يطيع طائع ، ولا يعصى عاص ، من أعلى العلى إلى ماتحت الثرى الا بارادة الله تعالى وقضائه ومشيئته . ويدل على صحة ماقلناه الكتاب والسنة واجماع الأمة وادلة العقل . فاما الكتاب فاكثر من ان يحصى لكن نذكر منها مافيه الكفاية ويدل العاقل على نظائره من ادلة الكتاب فمن ذلك قوله تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس

أمة واحدة ولايزالون مختلفين ١١ - ١١٨) (إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ١١ - ١١٩) وهذه الآية اوضح دليل واقوم حجة من وجوه عدة : —

احدها : انه اخبر تعالى انه لوشاء واراد لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الايمان أو على الفكر والضلال وهذا خلاف قول المعتزلة لأنهم يقولون : انه ما اراد الا كونهم امة واحدة على الايمان فبطل قولهم ببعض هذه الآية .

الثانى : انه قال (ولايزالون مختلفين) (إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فاخبر تعالى أنه خلقهم لما اراد من اختلافهم وانه لم يرد ان يكونوا امة واحدة .

الثالث : قوله تعالى : (الا من رحم ربك) فاخبر تعالى ان منهم من رحمه واراد رحمته دون غيره فصح انه لايكون من عباده ولايجرى فى ملكه الا ماارادة وقضاه وقدره .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا ٦ - ١٢٥) فنص تعالى على ان الهدى بارادته والضلال بارادته وهذا نص واضح لا اشكال فيه .

ويدل على صحة مذهب اهل السنة والجماعة قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ٧ - ١٧٩) وجه الدليل : انه تعالى خلق من الجن والناس قوما ليدخلوا النار ويكونوا اهلا لها ولا يكونون اهلا لها إلا بالكفر والطغيان والعصيان فعلم ان جميع ذلك بارادته وقضائه وقدره .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ٦ - ١١١) فاخبر تعالى ان الحجج والآيات لاتنفع وانما تنفع المشيئة التى بها تتم الأشياء فمن شاء ايمانه آمن ومن شاء كفره لم يؤمن .

ويدل عليه قوله تعالى : (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ٥ - ٤١) وهذا نص فى انه اراد فتنة الكافر واضلاله . ويدل عليه ايضاً قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ١٠ - ٩٩) وهذا نص واضح يغنى عن الشرح الا انه اخبر انه ماشاء ان يؤمن اهل الارض كلهم . وعند المخالف انه قد شاء ذلك والله قد اكذبه فى هذه الآية وامثالها .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ٥ - ٤١) وهذا صريح فى ارادته بقاءهم على كفرهم . ويدل عليه ايضا قوله تعالى : (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ٩-٤٦) فاخبر تعالى انه اراد قعود المنافقين عن الخروج إلى الغزو فى سبيل الله تعالى ولو ان احدنا اراد ان يستقصى جميع ما فى القرآن من الادلة على صحة مذهب اهل السنة والجماعة وابطال بدعة القدرية مجوس هذه الامة كما جاء فى الاثر وقول الصحابة لطال ذلك وما وسعه كتاب[1] .

ويدل على صحة قول أهل السنة والجماعة من الأخبار ماروى فى الصحاح فى محاجة موسى وآدم عليهما السلام حتى قال آدم يا موسى اترى هذا الأمر قد قدر على او لم يقدر؟ فقال موسى : بل قدر عليك . فقال له آدم فكيف يكون فرارى من أمر قدر على ؟ قال نبينا صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أى ظهر عليه فى الحجة[2] وهذا صريح

---

(١) والأدلة المذكورة واضحة فى عموم ارادة الله سبحانه وليس فى شىء منها ابطال اختيار العبد ليكون مجبوراً فى أفعاله واما حديث القدرية مجوس هذه الأمة فقد ذكرنا كلام اهل الشأن فيه فى مقدمة « التبصير » وفى سنده جعفر بن الحارث وهو منكر الحديث عند العقيلى وغلا ابن الجوزى والصنعانى فحكما بوضعه (ز) .

(٢) ويرى ابن حزم كون موسى محجوجا ناشئا من جعله لوم آدم على غير فعله لا من القدر كما فى الإحكام (١ — ٢٦) فلا يكون الحديث من أدلة القدر عنده وان كان فى الكتاب والسنة كثير من الأدلة على القدر ، ولا يرى ابن حزم ايضا معنى الإجبار والإكراه فى القضاء والقدر على خلاف ظن بعض الناس كما فى الفصل (٣ — ٥١) (ز)

من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن جميع الرسل عليهم السلام ان جميع الامور خيرها وشرها بقضاء الله وقدره ومشيئته .

ويدل عليه ايضاً الخبر المروى فى الصحاح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن ابيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتاه الرجل فسأله عن الايمان فقال : « ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى » فقال صدقت يا محمد ثم اخبرهم انه جبريل عليه السلام فصح باجماع الانبياء والرسل والملائكة والصحابة ان الامور كلها بقضاء الله وقدره .

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من جملة حديث : « فتقول الملائكة يا رب اشقى أم سعيد فيقضى الله عز وجل ويكتب الملك ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص » . ثم اكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بقوله : « السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه » فعلم كل عاقل ان الله تعالى اسعد من شاء وكتبه سعيداً واشقى من شاء وكتبه شقياً واخبار الرسول واقوال الصحابة فى هذا المعنى كثيرة جداً لا تحصى وفى بعض ما ذكرنا كفاية .

ويدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة اجماع المسلمين من الصحابة وهلم جرا الى وقتنا هذا ان الجميع منهم يطلق ويقول فى الخلاء والملاء من غير تكبر : ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن . فوقع الاجماع من الخاص والعام ان الامور كلها بمشيئة وقدر[1] من الله تعالى . وقيل اوحى الله الى بعض الانبياء : تريد واريد ولا يكون إلا ما اريد فان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وهذا نص واضح فى أنه لا يكون فى الدارين الا ما اراد الله تعالى . وقد سئل بعض السلف فقيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : بنقض العزائم ، وفسخ الهمم وذاك ان الواحد منا

---

(١) وقدر الله فى أفعال العباد الاختيارية على طبق علم الله بها وعلم الله بأفعال العبد باختياره لا ينافى اختياره فيها بل يحقق اختياره فيها فليس هناك شائبة جبر فى التحقيق (ز) .

يعزم على الامر ويهم به فيجرى عليه غير ما عزم عليه وهم به فعلم كل عاقل ان ذلك الفسخ لأن المقدر قدر له غير ماقدر لنفسه والمريد اراد له غير ما اراد لنفسه فكان ما أراده العبد لنفسه ، ولو شرعنا فى ذكر ما روى عن السلف والخلف فى هذا المعنى طال ولم يسعه كتاب(١) .

فصل : ويدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة من ادلة العقل ان الملك اذا جرى فى ملكه ما لايريد دل ذلك على نقصه اوضعفه او عجزه والله تعالى موصوف بصفات الكمال لا يجوز عليه فى ملكه نقص ولا ضعف ولا عجز فكيف يكون فى ملكه مالا يريده ويريده اضعف خلقه فيكون . كلا سبحانه وتعالى ان يأمر بالفحشاء او يكون فى ملكه الا ما يشاء فثبت بحمد الله ومنه مذهب اهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الامة وادلة العقل .

فصل : فى ذكر آيات وسنة يحتجون بها والجواب عنها .

فان قالوا : فما معنى قوله تعالى: (والله لايحب الفساد ٢-٢٠٥) قلنا : المراد به انه لايثيب على الفساد ولايمدحه ولا يأمر به فان اسم المحبة انما يقع على مايثاب عليه ويمدح فاعله عليه وليس كل ما يريده المريد يقال [فيه] انه احبه الا ترى ان المريد يريد بذل ماله للسلطان الجائر من هدية ورشوة ليتقى بذلك شره ثم لا يقال انه أحب ذلك ، وكذلك الرجل اللبيب يريد ضرب ولده وقرة عينه ليؤدبه ثم لا يقال انه أحب ذلك ، وكذلك يريد ربط جروحه وقطع سلعته وشرب المر من الدواء ولا يقال انه احب ذلك . وكذلك الحميم يريد ويبادر فى الحفر لميته وتجهيزه وتغييبه تحت التراب ولا يقال انه محب لذلك ولا يؤثره . فعلم انه ليس كل ما أراده المريد أحبه وانما يقال أحب الشيء إذا مدحه واثنى عليه واثاب عليه والله تعالى لم يمدح الفساد ولم يثن على المفسد ولم يثبه .

---

(١) أسباب الخذلان واسباب التوفيق عند الله سبحانه تؤدى الى تيسير الشر فى أناس وتيسير الخير فى أناس ، والأسباب التى يتلبس بها العبد تؤديه إلى مقتضاها وان كانت تفاصيل ذلك مجهولة عند العبد فيعود الأمر الى حسن اختيار العبد أو سوء اختياره (ز) .

جواب آخر : وهو ماذكره بعض أصحابنا وهو : ان قوله تعالى: (والله لايحب الفساد ٢ - ٢٠٥) يعنى لا يحبه من أهل الصلاح والطاعة وهو كقوله (ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) يعنى لعباده المؤمنين وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى .

فان قيل أليس قد قال الله تعالى : (سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ٦ - ١٤٨) فدل على ان الشرك ليس بمشيئة الله تعالى . فالجواب من وجهين : —

احدهما : ان سياق الآية حجة عليهم لأنه قال فيها (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ٦ - ١٤٩)

الجواب الثانى : انهم انما قالوا ذلك على سبيل التكذيب والاستهزاء لا على سبيل الايمان وانما قصدوا تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ١٠ - ٩٩) وهذا كقوله تعالى : وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ٣٦-٤٧) قالوا ذلك على سبيل التكذيب والاستهزاء لا على وجه الايمان والاعتراف بأن الله قادر ان يطعمهم . فلذلك قالوا فى تلك الآية وجعلوه لهم حجة فجعله كذبا وان حجتهم باطلة فصح ما قلناه .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ٥١-٥٦) فالجواب من وجهين : —

احدهما : انه أراد بعض الجن والانس . الذى يدل على صحة ذلك أن كثيراً من الجن والانس يموت قبل أن يبلغ حد التكليف والعبادة وصار هذا كقوله تعالى لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ٤٨ -٢٧) وأراد البعض لا الكل لأن منهم من مات قبل الدخول وقتل قبل الدخول . الذى يقوى ذلك ويصححه انه قال فى آية أخرى : (فريقا هدى ٧ - ٣٠) يعنى إلى الطاعة (وفريقا حق عليهم الضلالة ٧ - ٣٠) يعنى عن العبادة والطاعة .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ٧-١٧٩) وهم الذين لم يرد ان يطيعوه فاعلم ذلك .

والجواب الثانى : ان المراد بذلك أن لا يقروا بالعبادة طوعا أو كرها وهذا قول ابن عباس وهو حسن لان الكل لابد أن يقروا بذلك ؛ إما فى الدنيا وإما فى الآخرة .

جواب آخر : وهو أن المراد بذلك إلا لآمرهم وأنهاهم وهذا قول مجاهد .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ٤١ - ١٧) فالجواب من ثلاثة أوجه : -

احدها : ان معنى هديناهم أى دعوناهم قاله [سفيان] وهذا صحيح لأن الهدى يكون بمعنى الدعاء ، قال الله تعالى : (انما أنت منذر ولكل قوم هاد ١٣ - ٧) أى داع يدعوهم إلى الهدى ، وقال تعالى : (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم ٤٢ - ٥٢) أى تدعو .

الجواب الثانى : (وهديناهم ٦ - ٨٧) أى بينا لهم سبيل الهدى قاله قتادة وهذا صحيح يدل عليه قوله تعالى : (وهديناه النجدين ٩٠ - ١٠) يعنى بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وقال الصديق رضى الله عنه لما كان هو والرسول عليه السلام قاصدين إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فكان الناس يقولون أبا بكر وكان معروفا فيسلمون عليه ويسألونه من هذا الرجل الذى معك ؟ فيقول: رجل يهدينى السبيل ، يعنى يعرفنى الطريق وهو يريد رضى الله عنه سبيل الحق والدين .

الجواب الثالث : أعلمناهم الهدى من الضلالة .

جواب رابع : وهو أن المراد بذلك هدينا فريقا منهم وأضللنا فريقا . دليل ذلك قوله تعالى : (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون ٢٧ - ٤٥) . ويدل عليه أيضا قوله تعالى : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ٧-٧٥و٧٦) فصح ما قلناه

وانه هدى بعضا وأضل بعضا بنص القرآن فاعلم ذلك .

جواب خامس : وهو ان فريقا من ثمود آمنوا ثم ارتدوا ففيهم نزلت الآية يدل عليه قوله تعالى : (فاستحبوا العمى على الهدى ٤١ - ١٧) يعنى رجعوا إلى الكفر بعد الايمان .

فان قيل : فما قولكم فى قوله تعالى : (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) فصح [أنه] لا يريد الكفر فالجواب من وجهين : —

احدهما : انه لو كان كما قلتم لكان يقول: ولا يرضى لأحد الكفر أو يقول : ولا يرضى لكم الكفر فلما لم يقل ذلك لم يكن لكم حجة .

الثانى : انه قال تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) وإذا أضافهم إليه بلفظ العبودية فانما أراد بذلك خواص عباده المؤمنين دون الكافرين . ونحن نقول انه ما رضى للخواص الكفر ولا اراد لهم الكفر وانما رضى لهم الايمان . الذى يدل على صحة هذا ان العباد إذا أضافهم إليه كان المراد بهم المؤمنين دون غيرهم قوله تعالى : (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ١٥ - ٤٢) وأراد بذلك المؤمنين دون الكفار . وكذلك قوله تعالى : (ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ٤٣ - ٦٨) أراد المؤمنين دون الكفار . وكذلك قوله تعالى : (عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ٧٦ - ٦) أراد المؤمنين دون الكفار، وكذلك قوله تعالى: (ولا يرضى لعباده الكفر ٣٩ - ٧) أراد المؤمنين دون الكافرين فاعلم ذلك وتحققه.

الجواب الثانى : ان الرضا بالشىء هو المدح له والثناء عليه والاثابة عليه وكونه دينا وشرعا والله تعالى لا يرضى الكفر بمعنى انه لا يمدحه ولا يثيب عليه ولا يرضى كونه دينا وشرعا دون ارادة وجوده وخلقه فاعلم ذلك .

فان قيل : اتقولون ان الله تعالى قضى المعاصى وقدرها كما انه خلقها قلنا له : أجل نقول ذلك بمعنى انه خلقه وأوجده على حسب قصده وارادته ولا نقول انه

قضاه بمعنى أنه أمر به ولا رضيه دينا وشرعا وانه يمدحه ويثيب عليه .

فان قيل : فعلى كم وجه ينقسم القضاء ؟ قيل له على وجوه كثيرة . .

منها : قضاء يكون بمعنى الخلق وذلك قوله تعالى : (فقضاهن سبع سموات فى يومين ٤١ - ١٢) يعنى خلقهن ، ويكون القضاء بمعنى التسليط والخلق وهو قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ٣٤ - ١٤) يعنى خلقنا وسلطنا عليه الموت ، ويكون بمعنى الإخبار والإعلام وهو قوله تعالى : (وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ١٧ - ٤) يعنى أعلمناهم وأخبرناهم ، ويكون القضاء بمعنى الأمر قال الله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه ١٧ - ٢٣) ، ويكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام يقال : قضى القاضى على فلان بكذا أى أوجبه عليه وألزمه أياه وحكم به عليه فان الله تعالى قضى بالمعاصى والكفر ، بمعنى انه أراده وخلقه ، وقدره ، ولا يجوز أن يكون بمعنى أمر به واختاره دينا وشرعا ، ولا مدحه ، ولا يثيب عليه ولا فرضه فرضا على أحد بمعنى أنه أوجبه عليه ، فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من شبه المبتدعة وتلبيسهم على العوام ومن لا فهم له ان شاء الله .

فان قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره ؟ . قلنا : هذا يحتاج إلى تفصيل ، فنحن نطلق الرضا بقضاء الله وقدره على الإطلاق بمعنى انه لا يعترض على حكمه السابق وارادته الأزلية ، ولا يتقدم بين يديه [بالاعتراض] بل نسلم لما أراد فينا وفى غيرنا ولا نعترض بما يفعل فنقول : نحن نرضى بقضاء الله الذى هو خلقه كما أخبرنا به ومدحنا على فعله ، ووعد عليه الثواب فنرضى بذلك ونريده لنا ولجميع اخواننا من المسلمين ، ولا نقول : ان قضاءه الذى هو بمعنى خلقه ، وإيجاده الذى هو خلقه مذموما قبيحا ذنبا معصية كفرا انا نرضى بذلك دينا وشرعا ولا نحبه ولا نرضاه ولا نريده لنا ولا لأحد من أخواننا المسلمين ، فاعلم هذا التفصيل تسلم من شبه الأباطيل ومن خدع أهل التعطيل . يؤكد هذا أو يقرره انا نقول وكل مسلم عند الاطلاق ان جميع الأشياء لله تعالى انه خلقها وهى ملك له ، لا خالق ولا مالك لها

غيره من والد ، وولد ، وزوجة ، وصاحبة ، فنطلق ذلك عند الاجمال . فاما عند التفصيل فنقول : ان لله الأسماء الحسنى . ونقول : ان له الجلال، والجمال، والقدرة والكمال ، ولا نقول ان له الولد ، والوالد ، والصاحبة ، والزوجة ، والشريك فاعلم ذلك . وكما نقول عند الاطلاق ان كل مخلوق يبيد ويفنى ويزول ويضمحل ، ولا نقول عند التفصيل ان حجة الله على خلقه والأعمال من الصلاة ، والصيام ، والحج ان ذلك يبيد ويفنى ويضمحل ونحو ذلك .

ثم نقول لهم ياجهلة : اليس الله تعالى قضى بموت نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكذلك موت جميع الأنبياء عليهم السلام فلا بد أن يقولوا : بلى . فنقول لهم افترضون بذلك واشباهه ؟ ان قالوا : نعم . وكلنا نقول انه قضى ذلك قلنا : وكذلك نقول نحن ايضا : قضى كل موجود وخلقه واراده عند الاطلاق ، وعند التفصيل لا نقول انا رضينا موت النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى انا احببنا ذلك وانه سرنا فاعلم ذلك .

فان قيل : اليس الله تعالى قد نهى عن الكفر والمعصية؟ . قلنا : بلى قد نهى عن ذلك . فان قالوا : فلا يحسن ان يريد شيئا ويريد وجوده ثم ينهى عنه قلنا : الجواب من وجهين :—

احدهما : ان يقال لهم اليس الله تعالى قد علم ان الكافر يكفر وانه يوجد منه الكفر لامحالة ، فلا بدلهم من [ان يقولوا] نعم . فيقال لهم : فكيف نهاه عن امر قد علم انه يكون منه ولا بد من وجوده فلما جاز ان ينهى مع علمه انه لابد منه جاز ان ينهى عنه وان اراده . فاعلم ذلك .

جواب آخر : وهو ان يقال لهم اليس الله تعالى نهى عن ايلام الرسل والمؤمنين فلابد من [ان يقولوا] من نعم ؛ فيقال لهم : فيوجد فيهم الألم من الأمراض والموت ام لا ؟ . فلا بد من [أن يقولوا] : نعم . فيقال لهم : فاذا جاز ان ينهى عن ايلامهم

ثم يريد ذلك ويحسن منه فكذلك فى مسألتنا يريد وينهى حتى يثبت لنفسه كمال القدرة ونفاذ الأمر والمشيئة (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ٢١ - ٢٣) . والجملة ان الأمر منا ، والنهى منا ، والفعل منا ، والارادة منا انما توصف تارة بكونها حسنة ، وتارة بكونها قبيحة انما ذلك لمعنى ، وهو ان كل ما كان منا مخالفا لأمر الرب تعالى فهو قبيح وان كانت صورته حسنة من حيث الحس والنظر ، والسمع ونحو ذلك ؛ وان كل ما كان منا حسنا انما كان ذلك لأنه موافق لأمر الرب تعالى لا من حيث الصوره والحسن . فاذا صح هذا جئنا إلى افعاله تعالى وارادته وامره ونهيه فوجدناه ليس فوقه تعالى آمر يأمره ولا ناه ينهاه فصح ان جميع افعاله وامره ونهيه حسن على كل حال لا يتصف بغير ذلك فاعلم هذه الجملة توفق ان شاء الله تعالى . وفقنا الله واياكم وجميع المسلمين .

الشفاعة

اعلم ان أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من هذه الأمة ، وقد قدمنا المسألة وذكرنا الأخبار الواردة فى الشفاعة اصلا ورأسا . واعلم ان المعتزلة افترقت فرقتين ، فقوم منهم أنكروا الشفاعة اصلا ورأسا وردوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها ومادل عليه القرآن من ذلك . وقالت الفرقة الثانية : ان للانبياء شفاعة وللملائكة لكن لثلاث فرق من المؤمنين .

فرقة منهم : أصحاب صغائر وليست لهم كبيرة من الذنوب . والفرقة الثانية : قوم عملوا الكبائر وتابوا منها وندموا عليها . والفرقة الثالثة . قوم من المؤمنين لم يعملوا ذنبا أصلا . فاما صاحب الكبيرة الذى مات من غير توبة فلا شفاعة له عندهم وكلا القولين باطل .

أما الفرقة الأولى : فجحدت صحة الأخبار الصحاح ؛ وأما الفرقة الثانية : فذهبت إلى محال من القول لأن الشفاعة عندهم فيمن لم يعمل كبيرة أو عمل وتاب لا معنى لها لأنها تكون بمعنى أن الشافع يقول : يا رب لا تظلم عبادك فانك قد وعدت انك

تغفر الصغائر مع اجتناب الكبائر ؛ وكذلك التائب من الكبيرة لاتظلمه فانك قد وعدت بقبول التوبة ، والله اجل وأعلى من ان يسأل ويشفع اليه الا بظلم فبطل قولهم . واما من لم يذنب اصلا فعلى خبث عقدهم انه قد وجب له على الله الثواب ، والجنة ، والنعيم المقيم ، فما معنى هذه الشفاعة له . فلم يبق الا أنهم عاندوا الحق وضلوا السبيل واستحوذ عليهم وسوسة المردة والشياطين حتى ردوا القرآن والسنة وإجماع الأمة فنعوذ بالله منهم ومن خبث عقدهم .

فان قالت هذه الفرقة الأخيرة منهم : تكون الشفاعة لمن ذكرنا من الثلاث فرق شفاعة فى الثواب قلنا : وهذا ضلال أيضا لأن القرآن انما نطق بشفاعة الملائكة فى وقاية المؤمنين شر ذنوبهم يوم القيامة ولم يذكر فيها زيادة الثواب وانما اخبر عنهم يقولون : (وقهم السيئات ٤٠ - ٩) فصح ان الشفاعة فى الذنوب والسيئآت ان يغفر لها ويتجاوز عنها لاماذكرتم يافرقة الضلال .

فاما الأدلة على صحة الشفاعة فقد ذكرناها من الكتاب والسنة لكن نجدد هاهنا طرفا منها . امامن القرآن فقوله تعالى : (عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً ١٧ - ٧٩) روى [عن] انس بن مالك ، وابى سعيد الخدرى وجماعة من الصحابة لايحصون عدداً ان ذلك فى الشفاعة ، ثم ذكروا ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى اخبار يطول ذكرها وشرحها . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « شفاعتى لأهل الكبائر من امتى » وهذا فيه الحجة على الفريقين ممن انكر الشفاعة اصلا ومن قال انها لغير أهل الكبائر . وقال صلى الله عليه وسلم : « أشفع الى ربى فيحد لى حدا فاخرجهم من النار ، ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار » ثم ذكر الحديث إلى ان قال : حتى لايبقى احد من اهل الايمان فى النار ولو كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان » وهذا الحديث صريح فى الحجة على كل من الفريقين من المعتزلة . واخبار الشفاعة كثيرة جداً وقد قدمنا منها مافيه الكفاية وزيادة ، ولأن الشفاعة فى أقل الدارين من أقل الشفعاء تكون فى الذنوب وغيرها فما ظنك بالشفاعة فى أعلى

الدارين من أعلى الشفعاء عند الله عز وجل حتى ذكر فى بعض الأخبار انه صلى الله عليه وسلم يغبط بذلك المقام يغبطه به الاولون والآخرون ، ثم تكون الشفاعة فيمن لا كبيرة له وإنكار هذا جهل وعناد وطعن فى القرآن وصحيح الأخبار .

فصل : نذكر فيه شبهاً لهم يرومون بذلك دفع الاخبار الصحاح المجمع على صحتها فى صحة الشفاعة ونحن نجيب عنها بعون الله ومنه وحسن توفيقه . فان قالوا هذه الاخبار تعارض بمثلها فانه قد روى الحسن البصرى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « لاتنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » فالجواب من وجهين : —

احدهما : ان هذا عن الحسن لم يصح ولم يرد فى [خبر] صحيح ولا فى سقيم ، وانما هو اختلاق وكذب ، ولا يعارض الآثار الصحيحة المتفق على صحتها ، ثم لو جاز ان يكون قد روى فلم يسقط الصحيح المجمع على صحته بالضعيف السقيم الذى لا أصل له مع امكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع فتحمل صحاح الأخبار على ما قلنا ويحمل هذا الخبر على انه أراد به الكبائر التى تخرج من الإسلام ، نحو الكفر بعد الايمان ، أو استحلال ما حرم الله ، أو تكذيب بعض الرسل أو بعض الكتب ، ويصير هذا كما قلنا انا نجمع بين كل ما ذكر فى القرآن وان كان ظاهره يناقض بعضها بعضا عند الجهال مثلكم فانه تعالى قال : (هذا يوم لا ينطقون ٧٧-٣٥) ثم قال فى موضع آخر : (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٣٧-٢٧) فيحمل هذا على انهم لا ينطقون عند الصراط ، والميزان ، والكتب ، ويسأل بعضهم بعضاً بعد ذلك حتى لا نسقط شيئا من كتاب الله ولا ينقض بعضه ببعض ، فكذلك يحمل قوله : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » فى حق من يبقى على الايمان حتى يخرج من دار الدنيا ، ويحمل ماذكروا لوكان صحيحا على من خرج من الدنيا على غير ايمان ، ونكون أسعد واولى لانا نثبت الصحيح بتأويل لشىء باطل لا أصل له ان لو صح ، وهم يسقطون الصحيح المتفق على صحته بشىء باطل لم يصح .

فان قيل : هذا لا يصح مع قوله عليه السلام : « لا ينال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » والكافر بما ذكر به ثم ليس من أمته قلنا : بل يصح ذلك من وجهين : —

احدهما : انه أراد بذلك من كان من أمتى ثم ارتد ، أو نحو ذلك فقد يجوز ان يسمى الشيء بما كان عليه أولا وان كان فى الحال لا يسمى به ، ألا ترى إلى ما قال صلى الله عليه وسلم فى النبيذ : « ثمرة طيبة وماء طهور » يعنى كان ثمرة طيبة وماء طهورا لا يريد انه فى الحال ثمرة ، وكذلك أمر صلى الله عليه وسلم بلالا : « ارجع فناد الا ان العبد نام » ولم يرد انه الآن عبد بل أراد انه كان عبداً ، لأن الصديق اعتق بلالا قبل ذلك . يقال لعتيق الرجل : عبد بنى فلان اى كان عبداً لهم ونحو ذلك كثير . ويحتمل أن يكون سماهم من أمته لأنهم كانوا فى عصره ووقته وقرنه وكل قرن يسمى أمة ويكون ذلك فيمن كان آمن به فى وقته ثم ارتد فمن ذكر من أهل الردة ، أوكان فى وقته ولم يؤمن وسماه من أمته لأنه فى قرنه وعصره فصح ما قلناه وبطل تعلقهم بما لا أصل له .

فان قيل : أليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من تحسى سما وقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالداً فيها أبدا » ، وروى مثله فيمن قتل نفسه بحديدة ، ومن تردى من جبل . وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « لايدخل الجنة مدمن خمر ، وعاق والديه » فهذه الأخبار معارضة لأخبار الشفاعة .

فالجواب عن هذه الأخبار ان [منها] ماصح [و] منها [ما لم يصح] ويجمع بين الكل ، فتحمل هذه الأخبار على من فعل ذلك مستحلا لفعله أو فعله على وجه التكذيب للصادق فيما أخبر به أن هذا الفعل كبيرة حرام ونحو ذلك وهذا صحيح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » . فقال أبو ذر : وان زنا ، وان سرق ؟ فقال : وان زنا ، وسرق ، وقتل ، وشرب الخمر ، وان رغم أنف ابى ذر » فصح ما قلناه وقبلنا جميع الأخبار الصحاح ولم نضرب بعضها ببعض ولا أسقطنا بعضها ببعض كما يفعل أهل البدع الذين ضاهوا اليهود فى قولهم: (نؤمن ببعض ونكفر ببعض ٤-١٥٠)

فان قيل : أليس عندكم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشفع الا فى مؤمن وقد وردت الروايات « لايزنى الزانى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن » وكذلك روى انه قال : « ليس منا من يأتى بطينا ويأتى جاره خميصا » و « من غشنا فليس منا » و « لا إيمان لمن لا أمانة له » إلى غير ذلك فكيف يشفع الرسول عليه السلام فيمن ليس بمؤمن ؟

فالجواب : أن يقال لهم هذه الأخبار لاحجة فيها ولا تعارض أخبار الشفاعة فانها متحملة لوجوه اذا صرفت إليها صحت ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة .

احدهما : أن يكون المراد لايزنى ولا يسرق حين يفعل ذلك وهو مؤمن أى مستحل لذلك حتى يصح الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وان سرق وان زنا وشرب الخمر » أو يكون اراد بذلك إذا فعله على وجه التكذيب لتحريم هذه الأشياء والله تعالى لم يحرمها ، أو يكون المراد ليس بمؤمن كايمان المؤمن الذى لم يكن منه سرقة ، ولا زنا ، ولا شرب خمر أى فى البر ، والطهارة ، والعفة ونحو ذلك ويصير هذا كقوله : « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » أراد الكمال . وهذا الفصل أفسد الحجج وأدحضها بحمد الله تعالى.

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢١ - ٢٨) قيل معناه الرد على من أنكر أصل الشفاعة فأخبر تعالى ان ثم شفاعة لكن لمن أراد تعالى ان يشفع له واذن فى ذلك ولم يرد إلا لمن رضى سائر عمله لأن من رضى سائر عمله لايحتاج إلى شفاعة ويحتمل أن يكون (لايشفعون إلا لمن ارتضى ٢١- ٢٨) يعنى لمن كان معه على مرتضى . والمؤمن معه أفضل الأعمال التى ترضى وان كان عاصياً فاسقا وهو التوحيد والتصديق وقوله : لا إله إلا الله . والذى لا يرضى عمله أجمع هو الكافر فصح ماقلناه .

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ٤٠ - ١٨) قلنا : معناه فالظلم بالشرك والكفر الذى لاينفع معه طاعة كما قال تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم ٣١ - ١٣) ولهذا لما نزل قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ٦ - ٨٢) حزن الصحابة رضى الله عنهم كذلك حتى قال الصديق رضى الله عنه وارضاه يارسول الله : واينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس هذا يا ابا بكر انما الظلم الشرك هاهنا الاترى الى قول لقمان (يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) » فدل ان لاشفاعة تنفع الكافر . ولاحميم يدفع عنه ، والمؤمن بخلاف ذلك بحمد الله وان كانت له سيئآت فاعلم ذلك.

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : (لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون ٤٣ - ٧٥) (ولايخفف عنهم من عذابها ٣٥ - ٣٦) وقوله : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ٤ - ٥٦) وقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين ٧٤ - ٤٨) .

فالجواب : ان نقول انتم واخوانكم من الخوارج دأبكم ابداً ان تجعلوا آيات العذاب فى أهل الايمان والتوحيد وهى لأهل الكفر والضلال دون المؤمنين بحمد الله تعالى ؛ وهذه الآيات كلها فى أهل الكفر ، والذى يدل على صحة هذا ماقدمنا من الأخبار الصحاح : « من قال لا إله الا الله دخل الجنة » وغير ذلك من الأخبار الصحاح ؛ وايضا فان القرآن نطق بذلك فانه قال فى أول هذه الآية : (ماسلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى اتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين ٧٤ - ٤٢ - ٤٨) فصح ان لاشفاعة لهم لاجل كفرهم وصارت فى النار وجدا لهم لأجل كفرهم وصارت الآية الى آخره حجة عليهم ، الا ان الله تعالى اخبر ان ثم شفاعة ، وانتم تقولون ان لاشفاعة ؛ غير انه تعالى اخبر انها لاتنفع للكافرين فدل على انها تنفع المؤمنين .

فان قيل : ماتقولون فيمن حلف بالطلاق الثلاث انه يفعل فعلا ينال به شفاعة الرسول عليه السلام ، ويستحق به شفاعة الرسول ، اوقال : أفعل فعلا يجوز ان يشفع لى فيه الرسول مما أستحق من العقاب بماذا تأمرونه ؟ أتامرونه بالمعصية ام بالطاعة ؟ . قلنا : الجواب من وجهين : —

احدهما : انا نقول نأمره بالتمسك بالتوحيد والإيمان دون فعل الذنوب ، لأن الشفاعة لاتنال بالذنوب وانما تنال بالايمان دون الذنوب ، وهذا كما أن زيداً يشفع فى ذنب صديقه ، أوقريبه ، أوحبيبه فى دارالدنيا الى من ملك إسقاط ذلك لايقال انه نال ذلك بالذنب الذى أذنب او الخطأ الذى اخطأ ، وانما ناله بالصداقة المتقدمة او القرابة المتقدمة او السؤآل المتقدم لانفس الذنب ونأمره ايضا بفعل الطاعات حتى ينال بذلك شفاعة الرسول عليه السلام فى الزيادة له من البر والنعيم ونحو ذلك .

الجواب الثانى : انا نعارضكم بمثل هذا لاتجدون انتم عنه محيصا فنقول لكم : ماتقولون فيمن سمع قوله تعالى : (يحب التوابين . ويحب المتطهرين ٢ - ٢٢٢) فحلف رجل بالطلاق الثلاث ليفعلن فعلا يجب عليه فيه التوبة او الاستغفار حتى يتوب منه ويستغفر ماتأمرونه ؟ فان قالوا . نأمره بالطاعة ، وفعل الخير . قلنا لهم هذا لايصح ؛ لأن الانسان لايجب عليه التوبة اوالاستغفار من فعل الطاعة والخير باجماع المسلمين . وان قلتم : نأمره بفعل المعاصى والذنوب حتى تجب عليه التوبة والاستغفار فيتوب ويستغفر حتى يتخلص من يمينه فقداستحللتم ماحرم الله وامرتم بمالايجوز لمسلم ان يأمر به . وان قلتم : لانأمره بفعل المعصية ولكن ان ابتلى بشىء من ذلك قلنا له قد فعلت ماوجب به عليك التوبة والاستغفار وزوال حكم اليمين قلنا لكم : نحن ايضا نقول لمن حلف ليفعلن فعلا يجوز ان يشفع فيما يستحق عليه من العقاب شفاعة الرسول عليه السلام نقول له تمسك بالطاعة والايمان فان ابتليت بشىء من المعاصى فقد خرجت من اليمين ويجوز ان يشفع لك الرسول ، لا انانأمره بالمعصية بوجه من الوجوه .

رؤية الله تعالى

مسألة : اعلم ان رؤية الله تعالى جائزة من جهة العقل ، وهى واجبة للمؤمنين فى الآخرة من طريق الشرع وبها نختم الكتاب ان شاء الله تعالى بعونه وتوفيقه ، وانما ختمنا بها لأنها أعلى الأشياء واجلها ، وبها يختم للمؤمنين المصدقين لها حتى يستحقروا كل نعيم فى جنبها جعلنا الله من أهلها بمنه وفضله انه جواد كريم .

اعلم ان اهل السنة والجماعة قد جوزوا الرؤية على الله تعالى شرعا وعقلا بلا خلاف بينهم على الجملة ، وانما وقع الخلاف بينهم هل يكون ذلك ويجوز فى الدنيا ام ذلك فى الآخرة خاصة . فكل الصحابة اجمعوا ومن بعدهم من اهل السنة والجماعة ان الله تعالى يرى فى الجنة يراه المؤمنون بلا خلاف فى ذلك . واختلف الصحابة فى الرسول عليه السلام هل رآه ليلة المعراج بالقلب أو بعينى الرأس على قولين . فكانت الصديقة عائشة رضى الله عنها فى جماعة من الصحابة يقولون : رآه بقلبه دون عينى رأسه ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يقولون انه صلى الله عليه وسلم رآه ليلة المعراج بعينى رأسه . ونحن نقول بقول ابن عباس رضى الله عنهما فاذا تقرر هذا فان المعتزلة ، والنجارية ، والجهمية ، والروافض ، والخوارج الكل منهم ينكرون الرؤية ولا يجوزونها بوجه حتى قالوا : ولا يرى ولا يرى هو نفسه . وقد قدمنا الأدلة على صحة الرؤية وجوازها فيما تقدم ولا بد ان نذكر هاهنا طرفا من الأدلة ايضا يؤكد ما تقدم ويقويه ان شاء الله . ودليل ذلك من الكتاب والسنة والاجماع ممن يعد اجماعه اجماعاً ، ودليل العقل .

فمن ادلة الكتاب قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : (رب ارنى انظر اليك ٧ - ١٤٣) وهذا السؤال انما كان من موسى بعد النبوة ، والبعثة ، والرسالة لأن الله تعالى قال : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك ٧ - ١٤٣) ولا يخلو سؤال موسى عليه السلام هذا السؤال بعد النبوة والكمال من احد اربعة اوجه : اما ان يكون سأل الرؤية بعد علمه بجوازها على ربه ، اومع علمه باستحالتها على ربه ، اوسألها وهو شاك فى ذلك ، أو سألها وهو ذاهل العقل لا يتفهم شيئا . فلا يجوز

ان يكون سأل ذلك مع علمه بانه يستحيل على ربه لأن من المحال ان يسأل النبي الكريم ربه مايستحيل فى حقه , ولايجوز عليه كما يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى ولايجوز ان يكون سأل ذلك وهو شاك جاهل حكم هذه المسالة اوذاهل لايدرى لأن هذه المسالة من مسائل اصول الدين ، وكيف يجوز على النبي الكريم عليه السلام الشك فيها أو الذهول ، او غفلة القلب عنها . وإذا بطل جميع ذلك لم يبق الا انه عليه السلام سأل وهو معتقد جواز الرؤية عليه سبحانه وتعالى . فاذا اعتقد النبي الكريم جواز الرؤية لم يخل من ان يكون مصيبا اومخطئا ، ولايجوز ان يخطىء النبي الكريم فى اعتقاده فلم يبق إلا أنه اصاب ، وهذا التقرير لامخرج للمخالف عنه بوجه ولا سبب فافهمه .

فان قيل : ما انكرتم ان يكون موسى لم يسأل الرؤية وانما سألها قومه وسالوه ان يسألها لهم اما ان يكون هو سألها لنفسه فلا .

فالجواب : ان هذا تعلل لاينفعكم ولاينجيكم مما قررنا وحققنا فى اعتقاد موسى عليه السلام جواز الرؤية وذلك : ان موسى عليه السلام لوكان يعتقد استحالة جواز الرؤية لكان قد انكر عليهم ذلك اشد الانكار وجهلهم بذلك غاية الجهل ولم يساعدهم على ذلك ، ولا سأل ما جهلهم عليه ولما ساعدهم كما فعل لما قالوا : (ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ٧ - ١٣٨) ولم يسأل ربه ان يجعل لهم الها لأنه علم عليه السلام استحالة ذلك . فكيف يسال له أولهم الرؤية مع اعتقاده استحالة ذلك عليه سبحانه وتعالى ، فلم يبق الا ماقلناه .

جواب آخر : وذلك ان هذا عدول عن الظاهر الى غيره بغير دليل لانه قال (ارنى أنظر اليك ٧ - ١٤٣) فلا يحمل ارنى أنظر على قومى ينظرون اليك فبطل ماقالوه وصار هذا بمنزلة قول من قال : قوله اى (انا الله لا اله الا انا فاعبدنى ٢٠ - ١٤) اى اعبد غيرى وهذا لايجوز فبطل قولهم .

فان قيل : أليس قد قال الله تعالى : (لن ترانى ٧-١٤٣) فنص على أنه لا سبيل إلى ما سأله فالجواب من وجهين : —

احدهما : ان هذا لايمنع من جواز الرؤية لأن قوله لن ترانى انما تضمن عدم وجود الرؤية عند السؤال لا استحالة الرؤية على ما قررنا ، ولو أراد استحالة الرؤية لقال : لن يجوز ان ترانى . وقد لايوجد الشيء ولا يدل على استحالته ، ألا ترى ان احداً لو سئل نبي زمانه أن يسأل ربه أن يرزقه ولداً ، فسأل نبي ذلك الزمان فأوحى الله تعالى لن يرزق هذا السائل ولداً هل يدل ذلك على انه لايجوز وجود الولد فى حق هذا السائل ويستحيل بل هو جائز وان منع من وجوده عقب السؤال على ان حرف لن لا يقتضى عدم جواز الرؤية فى الدنيا والآخرة . ولو قرن بابد . ألا ترى أنه تعالى قال فى حق اليهود : (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ٢-٩٥) يعنى الموت ولم يقتضى ذلك [ان لايتمنوه] فى الدنيا والآخرة ، لأنه أخبر تعالى انهم يتمنون الموت فى النار بقوله : (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك ٤٣-٧٧) يعنون الموت فإذا كان حرف لن مع اقتران أبديه لايقتضى نفى ذلك فى الدنيا والآخرة فكيف به إذا لم يقرن به أبداً وأيضا الجواب يجوز فيه الاستثناء بأن كان يقول : لن ترانى فى الدنيا ولن ترانى إلى وقت كذا . وكذا كما قال أخو يوسف عليه السلام : (فلن أبرح الأرض ١٢-٨٠) ثم استثنى (حتى يأذن لى أبى او يحكم الله لى ١٢-٨٠) فصح أن حرف لن لايحيل عليه جواز الرؤية وانما توجب أن لاتوجد الرؤية فى هذا الوقت دون جوازها فصح ما قلناه .

والجواب الثانى : ان الله تعالى علق جواز الرؤية على أمر جائز ولو كانت مستحيلة لما علقها على أمر يجوز أن يوجد وهو استقرار الجبل فلما كان استقرار الجبل من الجائز دل على أن الرؤية جائزة .

فان قيل : أليس قد قال موسى عليه السلام : (تبت إليك ٧-١٤٣) قالوا : والتوبة انما تكون من الخطأ فلما علم عليه السلام انه أخطأ تاب فالجواب من أوجه : —

احدها : ان موسى عليه السلام لما رأى عظيم الآية من جعل الجبل دكا وصعوقه قال على جارى العادة من القول عند الفزع (تبت إليك ٧-١٤٣) وان لم يكن سؤاله مستحيلا ، وهذا كما ان الواحد منا إذا سمع صوت الرعد العظيم ، أو رأى الظلمة العظيمة ، أو أمراً هائلا فزع عند ذلك إلى التوبة والاستغفار ، وان لم يكن منه قبل ذلك معصية . أو سؤال مستحيل .

وجواب آخر : وهو انه يحتمل ان موسى عليه السلام ذكر عند هول ما رأى فيه النفس تجدد التوبة منها وأكدها وان لم يكن منه فى هذه الحالة ذنب يتاب منه .

جواب آخر : يحتمل ان يكون قال : تبت إليك للشدة التى اصابته عند سؤال الرؤية وان كانت الرؤية جائزة . كما ان الواحد منا إذا ركب البحر وناله شدة وخوف من هوله وأمواجه ، أو سافر فلقى فى سفره ما اتبعه وشق عليه يقول : أنا تائب من ركوب البحر ومن السفر ، وان كان ركوب البحر والسفر جائزاً غير محرم ولا مستحيل ، وكذلك مسألتنا مثله .

جواب آخر : يحتمل ان يكون قال (ثبت اليك ٧ - ١٤٣) من ان أسأل مثل هذا الامر العظيم الجليل قبل الاستئذان فيه حتى يؤذن لى فى السوآل ولهذا قيل عن موسى عليه السلام انه تأدب بعد ذلك فقال : يارب اسألك فى جميع اموري ؟ قال : نعم ياموسى اسألنى فى جميع امورك حتى ملح عجين اهلك .

جواب آخر : وهو ان موسى عليه السلام كانت ارادته وهمته تعجيل الرؤية له فى الدنيا قبل الآخرة وكان مراد الله تعالى تأخير الرؤية له الى الآخرة وان لا يتقدم على نبينا صلى الله عليه وسلم فى الرؤية فكأنه قال : تبت عن مرادى وهمتى إلى مرادك . وهذا صحيح لأن التوبة هى الرجوع فكانه رجع عن مراده إلى مراد ربه فاعلم ذلك .

ويدل على صحة ماقدمناه من قوله تعالى . ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها

ناظرة ٧٥ - ٢٢ و ٢٣) وقوله تعالى : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة ١٠ - ٢٦) وقوله : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٨٣ - ١٥) والحجب للكفار عن رؤيته عذاب . فدل على ان المؤمنين غير محجوبين ولا يعذبون بعذاب الحجاب فاعلم ذلك .

ويدل على ذلك ايضاً من الأخبار التى قدمنا ذكرها عند سؤال الصحابة مع قوله عليه السلام فى دعائه انه قال : « اللهم انى اسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق إلى لقائك من غير ضر أو مضر ولا فتنة مضلة » وهذا ايضا تصريح من الرسول عليه السلام فى جواز الرؤية وانها غير مستحيلة لأنه لا يسال صلى الله عليه وسلم فى امر مستحيل لاسيما بعد تقدم موسى عليه السلام فى سوآل الرؤية وما كان منه ، فلو كانت غير جائزة أو مستحيلة لما سألها صلى الله عليه وسلم فلما سألها دل على الجواز وبطل ماقال اهل العناد وبالله التوفيق .

ويدل على صحة جواز الرؤية اجماع الصحابة على جوازها فى الجملة ، وانما اختلفوا هل عجلها لنبيه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ام لا ؟ على قولين ، ولم يقع الاتفاق منهم على جوازها لما صح هذا الاختلاف ، فلما وقع هذا الاختلاف فقال بعضهم : عجل ذلك له فى الدنيا قبل الآخرة . وقال البعض : لم يرد دليل على الجواز فى الجملة وانه متفق عليه والا كان يقول لمن قال بانها لم تعجل : فكيف تجوز الرؤية وهى مستحيلة عليه فلما لم يقل ذلك أحد منهم دل على اجماعهم على جوازها فاعلم ذلك .

ويدل على ذلك من جهة العقل انه تعالى موجود ، والموجود لا يستحيل رؤيته وانما يستحيل رؤية المعدوم . وايضا فإنه تعالى يرى جميع المرئيات وقد قال تعالى : (ألم يعلم بأن الله يرى ٩٦ - ١٤) وقال : (الذى يراك ٢٦ - ٢١٨) وكل راء يجوز ان يرى ولا يجوز أن تحمل الرؤية منه تعالى على العلم لأنه تعالى فصل بين الأمرين فلا حاجة بنا ان نحمل احدهما على الآخر ألا ترى انه سمى نفسه عالماً ، وسمى نفسه مريداً ، ولا أن نحمل الارادة على العلم كذلك لا نحمل الرؤية على العلم فاعلمه .

جواب آخر : وهو ان الصحابة سألوا الرسول عليه السلام : هل نرى ربنا ؟ فقال: « نعم » ولا يجوز ان يكون سؤالهم هل نعلم ربنا أو يعلمنا ربنا فبطل قول من يحمل الرؤية على العلم ولهذا أجاب صلى الله عليه وسلم : « سترونه كما يرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وكما ترى الشمس ليس دونها سحاب » يعنى لا تشكون فى رؤيته كما لا يشك [من] رأى القمر والشمس فيها فشبه الرؤية بالرؤية فى نفى الشك عن الرائى ولم يشبه المرئى بالمرئى فاعلم ذلك .

فصل : فى ذكر الأجوبة عن آيات يحتجون بها وأخبار وشبه فى نفى الرؤية

فان احتجوا بقوله تعالى : (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ٦-١٠٣) قالوا فاخرج ذلك مخرج التمدح كما تمدح بقوله تعالى : (بديع السموات والأرض انى يكون له ولد ٦ - ١٠١) فكيف يجوز ان يزول عن مدحته ، فالجواب عن هذه الآية من وجوه عدة : —

احدها : ان يقال لهم ما أنكرتم على قائل يقول لكم لا حجة لكم فى ذلك لأن التمدح انما وقع فى قوله تعالى : (وهو يدرك الأبصار) لأن كون الشىء لايدرك بالأبصار لايدل على مدحه ألا ترى المعدوم لاتدركه الأبصار ولا يوجب كون ذلك مدحة له ، وكذلك عندكم العطور والروائح وأكثر الأعراض لاتدرك بالأبصار وليست بممدوحة لأنها لاتدركها الأبصار .

فان قيل : ما أنكرتم أن يكون متمدحا بأنه يدرك الأبصار وانها لاتدركه ؟ قيل لهم : لأن للوصفين اللذين يتمدح بهما لابد أن يكون فى كل واحد منهما مدح بمجرده نحو قوله تعالى : (عزيز حكيم ٢-٢٠٩ و٢٢٠ و٢٢٨ و٢٤٠ و٢٦٠ و٨-١٠ و٤٩ و٩-٧١ و٣١-٢٧) و (عليم قدير ١٦-٧٠) فكل واحد من الوصفين مدح فى نفسه تجدد أو انضم إلى غيره ، ولما لم يكن كون المعدوم غير مدرك بالبصر مدحاً له عندنا وعندكم بطل ما قلتم .

جواب آخر : وهو ان نقول الآية حجة عليكم وذلك قوله : (وهو يدرك الأبصار ٦ - ١٠٣) فحسب وانما أراد أنه يدرك جميع المرئيات فأثبت تعالى انه يرى

الأشياء لأنه موجود ، قادر على الرؤية وسائر الأشياء الموجودة التي يجوز أن ترى لـكن تمدح تعالى بأن كل راء يجوز أن يرى لـكن هو تعالى مع جواز رؤيته منعنا من الادراك له بأن يحدث فى أبصارنا مانعا يمنعنا من رؤيته فالمدح وقع بكونه قادراً على ذلك دون غيره من الخلق فصار هذا بمنزلة تمدحه تعالى بكونه محييا مميتا أى لا يقدر على ذلك غيره وان جاز أن يميت الحى ويحيي الميت ، فـكذلك لا يمدح تعالى بأن يحدث مانعا فى البصر من الادراك وان جاز ان يزيل ذلك المانع حتى نراه تعالى بلا كيف ، ولا شبه ، ولا تحديد فاعلم ذلك.

جواب آخر : وهو ان المعتزلة لا يصح لهم الاحتجاج بهـذه الآية لأن عند البصريين منهم انه لم يعن بالادراك الرؤية لأن البصر عندهم عرض فلا يدرك عند البغداديين منهم انه تعالى لا يرى شيئاً وانما المراد بالادراك العلم فهو يعلم الأبصار عندهم والأبصار لا تعلمه فبطل احتجاج الجميع منهم بهذه الآية ، لأن عندهم لا يراد بالادراك الرؤية فلا يصح لهم الاحتجاج بها فى نفى الرؤية .

جواب آخر : وهو ان الآية لا حجة فيها لأنه قال : (لا تدركه الأبصار ٦-١٠٣) ولم يقل لا تراه الأبصار ، والادراك بمعنى يزيد على الرؤية لأن الادراك الاحاطة بالشئ من جميع الجهات والله تعالى لا يوصف بالجهات ولا انه فى جهة فجاز ان يرى وان لم يدرك وهذا كما قال تعالى فى قصة اللعين فرعون : (حتى إذا أدركه الغرق ١٠ - ٩٠) يعنى احاط به من جميع جوانبه ، فالغرق لا يوصف بأنه يرى وانما يوصف بأنه احاط بالشئ . كذلك المؤمن يوصف بأنه يرى ربه ولا يدركه بالاحاطة وهذا كما نقول : انا نعلم ربنا ولا نقول انا نحيط بربنا . فـكما كانت الاحاطة معنى يزيد على العلم كذلك الادراك معنى يزيد على الرؤية وهذا صحيح ، لانا نجمع بين قوله تعالى : (فاعلم انه لا إله إلا الله ٤٧ - ١٩) وبين قوله : (ولا يحيطون به علما ٢٠ - ١١٠) ونجمع بين قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ٧٥ - ٢٢ و٢٣) وبين قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار ٦ - ١٠٣) فنقول : معلوم ولا يحاط به ، ومرئى ولا يدرك ، فصح ما قلناه وبطل قول الغير .

جواب آخر : ان معنى الآية لاتدركه الأبصار فى الدنيا وان جاز ان تدركه فى الآخرة ليجمع بين قوله تعالى : (لاتدركه الأبصار) وبين قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة)

جواب آخر : (لا تدركه الأبصار) يعنى ابصار الكفار دون المؤمنين ليجمع بين قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) وبين قوله تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٨٣ - ١٥) وهذا صحيح لأن الحجاب لما كان للكفار دون المؤمنين كذلك الرؤية للمؤمنين دون الكفار.

جواب آخر : وهو ان أبصار الخلق لاتدركه فى الدنيا والآخرة لأن هذه الأبصار جعلت للفناء وانما يحدث لهم بصراً غير هذا البصر ويكون باقياً غير فان فيرى الباقى بالباقى وقد قيل انه تعالى يحدث لأوليائه حاسة سادسة غير هذه الحواس الخمس يرونه بها . وقال هذا القائل : الله أخبر فى كتابه العزيز انه يراه أهل الجنة، وخبره حق لايدفع بالشبهة ولا يمكن الجمع إلا بما قلناه من احداث حاسة يرى بها الله تعالى دون هذه الحواس والله اعلم بالصواب .

جواب آخر : وهو ان يحمل (لاتدركه الأبصار) [على انها لاتدركه] فى جهة ولا تدركه جسما ولا صورة ولا متحيزاً ولا حالا فى شئ (وهو يدرك الابصار) على جميع هذه الصفات وتكون الحكمة فيه الرد على النصارى واهل التشبيه ومن يقول بالجهة والحيز والصورة وغير ذلك مما لايليق به سبحانه وتعالى .

فان احتجوا بقوله تعالى : (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة ٤ - ١٥٣) فاكبر الله هذا السؤال فأنكره .

قيل لهم : لا حجة لكم فى ذلك لأن الله تعالى ما اكبر ذلك لكونه مستحيلا وانما أنكره لأنهم سألوه ذلك على وجه التعنت ، الا ترى انه انكر عليهم سؤالهم تنزيل الكتاب من السماء وليس ذلك بمستحيل وانما أنكروا استكباراً وتعنتا منهم

لمحمد صلى الله عليه وسلم وتشكيكاً للناس فى نبوته لأن عندهم التوراة ، والانجيل ، والفرقان وكل ذلك منزل من عند الله ، وإنما أرادوا بذلك التلبيس على العوام حتى لا يصدقوا بنبوته صلى الله عليه وسلم وتركوا ما أوجب الله عليهم من الإيمان به فى التوراة والانجيل كما قال تعالى : (الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل ٧ - ١٥٧) فأكبر تعالى سؤالهم ذلك لأجل هذه المعانى لا يكون ذلك مستحيلا . وهذا كما أنكر تعالى سؤال قريش لما قالوا : (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب * أو ترقى فى السماء ١٧ - ٩٠ - ٩٣) وكل ذلك جائز غير مستحيل لكن أنكره عليهم وأكبره لما كان [ذلك] على وجه التعنت والتكذيب لما قد وضح من آياته وحججه ، وكذلك أنكر سؤالهم الرؤية لموسى عليه السلام على وجه التعنت لا لكونها مستحيلة .

فان احتجوا بالخبر المروى عن عائشة رضى الله عنها لما قال لها ابن الزبير وهو ابن اختها يا اماه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : يا ابن اختى لقد وقف شعر بدنى والله تعالى يقول : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ٤٢ - ٥١) قالوا فوضع الدليل من الخبر انها أكبرت ذلك ونفت الرؤية عن الله تعالى فدل ، ان ذلك مستحيل فى حقه سبحانه وتعالى .

الجواب من أوجه : —

احدها : ان ابن عباس رضى الله عنه وغيره من الصحابة قد صرحوا بأن محمداً رأى ربه ليلة اسرى به بعينى رأسه ولو كان ذلك مستحيلا لم يقع الخلاف فيه بين الصحابة كما لم يقع بينهم الخلاف فى ماهو مستحيل على الله تعالى من الولد والزوجة ، والشريك ونحو ذلك . فلما وقع بينهم الخلاف فى ذلك وانقرض عصرهم على ذلك دل على ان الرؤية جائزة غير مستحيلة فبطل ما ذكر .

وجواب آخر : وهو ان عائشة رضى الله عنها إنما خالفت فيما رأى به محمد ربه

فعندها رآه بالقلب دون العين وعند غيرها من الصحابة رآه بالقلب والعين معاً فقد وقع الاجماع منهم على جواز الرؤية عليه تعالى ، وانما اختلفوا فيما به رآه لا أصل جواز الرؤية عليه لأن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رؤية حقيقية لا رؤية مجاز بخلاف الواحد منا لأن رؤيته بالقلب قد تكون حقيقة وقد تكون تخيلا ومجازاً ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « تنام عيناى ولا ينام قلبى » وقال عليه السلام : « انى أراكم من وراء ظهرى » ورؤية الأنبياء عليهم السلام حقيقة بالقلب والعين .

دليله . قصة ابراهيم عليه السلام : (انى أرى فى المنام انى أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ٣٧ - ١٠٢) فصح ان الاجماع قد وقع من الصحابة رضى الله عنهم فى جواز الرؤية على الله تعالى وان وقع الخلاف بما رآه الرسول عليه السلام ليلة الاسراء فصار ذلك حجة على المخالف لا له .

جواب آخر : وهو ان عائشة رضى الله عنها انما أنكرت رؤية البارى بابصار العيون فى دار الدنيا لا على الاطلاق ولهذا روى عن أبيها وعنها رضى الله عنهما وعن جميع الصحابة انهم فسروا قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ١٠-٢٦) قالوا : الزيادة النظر إلى الله تعالى فى الجنة وقد روى هذا مرفوعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فصح مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله تعالى وبطل شبه المخالف واندحض مكره ولله المنة والحجة البالغة [١] .

---

(١) رؤية أهل الجنة لله سبحانه مجردة عند أهل الحق من المقابلة والمسافة ونحوهما من لوازم الجسمية على خلاف الرؤية فى الشاهد بأدلة تنزه الله سبحانه من أن يكون جسما أو جسمانياً ، وهذا موضع اتفاق بين الفريقين سوى الحشوية ، فيجب أن يكونا متفقين ايضا على حصول معرفة ضرورية بالله سبحانه لهم فى الجنة فوق معرفتهم الاستدلالية الغيبية به تعالى فى دار الدنيا كما هو الفرق بين الإيمان بالغيب والإيمان بالشهود ، وما عدا ذلك شغب يأباه المحصلون نسأل الله الصون من معاندة الحق ونسأله التوفيق وجمع الكلمة حول الصدق (ز) .

فان احتجوا فقالوا : لوجاز عليه سبحانه وتعالى الرؤية بالأبصار لوجب ان يكون جسماً او جوهراً او عرضاً او محدوداً اوحالا فى مكان اومقابلا ، او خلفا اوعن يمين ، او عن شمال ، او يكون من جنس المرئيات لأننا لم نعقل مرئيا بالبصر الا كذلك فلما استحال عليه جميع هذه الوجوه بطل ان يكون مرئياً او يجوز عليه الرؤية وهذا فى تصورهم الفاسد من اعظم الحجج عندهم فى نفى الرؤية عنه سبحانه وتعالى وهى عنداهل السنة والجماعة من [أسقط الحجج] فليس هو اليوم مرئياً لخلقه ومدركا لهم ولا تجوز الاشارة فى وصفه تعالى .

فالجواب ان نقول لهم هذه الحجةالباطلة تؤدى الى ابطال الربوبية اصلا ورأساً او تؤدى الى ايجاب كون ربنا تعالى يشبه المخلوقات ، لأن من انكر الصانع القديم يقول لنا : لو كان لنا صانعاً لوجب ان يكون جسما او جوهرا ، اوعرضاً او ذا علة وطبع وآلة وغير ذلك ؛ لأنا لم نعقل صانعا الا على هذه الاوصاف وانتم تنفون عنه جميع هذه الأوصاف فبطل ان يكون ثم صانع بل يصنع نفسها او يصنعها من هو على هذه الأوصاف ؛ وكذلك نقول : فى العلم ، والحياة ، لأن العالم ، والحى ، لايعقل الاجسما ، وجوهراً ، وعرضاً ، وذاعلة ، وفكر ، وروية وغير ذلك وقد وقع الاجماع منا ومنكم انه عالم ، وانه حى ، وانه معلوم بالقلب ، وانه موجود ؛ ثم كونه عالماً ومعلوما ، وموجوداً يصح وصفه بجميع ذلك ؛ وان لم يكن جسما ، ولاجوهراً ، ولا عرضا ، ولاذاعلة ، ولا محدوداً ولا حالا فى مكان ، بخلاف العالم منا ، والمعلوم منا ، والموجود منا . فكذلك لايستحيل ان يكون مرئياً وليس ذا جسم ولاجوهر ولا عرض فبطل زعمكم وصح الحق وظهر امر الله وانتم كارهون .

فان احتجوا فقالوا : لوكان تعالى مرئيا ، أو تجوز عليه الرؤية لرأيناه الساعة لأن الموانع من الرؤية يستحيل وصفه بها ؛ لأنه لايوصف بالدقة ، والرقة ، والحجاب

والبعد ، وكل مانع من الرؤية . فلو جاز ان يكون مرئيا لرأيناه الساعة لانعدام هذه الموانع فى حقه .

فالجواب : ان جميع ماذكرتم لايمنع من الرؤية ، لأن الملائكة فيهم من الدقة ، واللطافة ، ماليس فى غيرهم ، وبعضهم يرى بعضاً ، والميت يراهم عند النزع ، والرسول كان يرى جبريل عليه السلام فبطل ان تكون الدقة ، والرقة ، واللطافة ، مانعة من الرؤية . وكذلك البعد لايمنع الرؤية لأن السماء أبعد الأشياء منا والكواكب فيها ، لأن بيننا وبينها خمس مائة عام ونحن نراها ولم يمنعنا بعدها من رؤيتها ، وكذلك الحجاب لايمنع من الرؤية لأن الله تعالى يرى ماتحت التحت ودونه الف الف حجاب [عند الخلق] . وكذلك الهدهد يرى الماء من تحت الأرض ودونه حجاب وحجاب ، فبطل ان يكون جميع ماذكرتم هو المانع من الرؤية حتى يجب ان نراه الساعة .

فان قيل : فما المانع من الرؤية الساعة له تعالى ؟ قلنا : ان المانع هو ماخلقه فى أبصارنا من قلة الادراك لبعض المرئيات دون بعض فاذا خلق فينا إدراكا رأينا مرئيا لم نكن نراه من قبل ؛ ألا ترى ان الواحد منا لايرى اليوم ملك الموت اذا نزل بأخيه ، وأبيه ويراه إذا نزل به ، وليس ذلك إلا لأنه لم يخلق الله فى بصره ادراكا له عند موت غيره ، وخلق فى بصره ادراكا له عند موته . وكذلك الفرس ، والهر وكثير من الحيوان يرون الصورة والشخص فى ظلام الليل وسواده ، ونحن لانرى ذلك ؛ وماذلك الا لأن الله تعالى خلق فى بصرها ادراكا حتى رأت ، ولم يخلق فى أبصارنا ادراكا حتى نرى كما ترى ؛ فكذلك لم يخلق فى أبصارنا ادراكا له فى الدنيا حتى نراه ، ويخلق لنا ان شاء الله فى جنته ادراكا حتى نراه كما وعدنا ووعده الحق الصدق الذى لايخلف .

فان قالوا : واذا كان الأمر كذلك فجوزوا ان يخلق الله لكم ادراكا ترون به ذرة ، ويخلق فيكم عدم إدراك فيل الى جنبها . قلنا : هذا جائز فى قدرته سبحانه

وتعالى ،ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى الصلاة لماعرضت عليه الجنة والنار ونظر الى كل واحدة منهما فى عرض الحائط ، وهما من أعظم المخلوقات ، واصحابه كانوا يدركون الذرة على ثوبه صلى الله عليه وسلم ولون ثوبه مع صفر ذلك ولم يدركوا ما أدرك . ولم يروا مارأى ، ولا يقدح فى هذا انكار من انكر من المعتزلة ان الجنة والنار لم تخلقا بعد ، لأن الكل منهم سلم الى الرسول عليه السلام انه قد رأى فى هذه الحالة شيئاً من الجنة والنار ، أو ماهو على صورهما مخلق منهما اذا خلقتا ، واختص هو صلى الله عليه وسلم برءوية مالم يره اصحابه وان كانوا يرون الذرة لو دبت على قميصه صلى الله عليه وسلم وان لم يروا ماهو أكبر منها وأعظم . وأبين من هذا ان بعض الخلق يدرك صوتاً خفياً جدا ولا يدرك صوتاً عاليا جدا وان وجد الصوتان فى وقت واحد ومسافة واحدة وقد رأينا ذلك عيانا فان بعض الطرش اذا تكلم عنده رجل فأخفى صوته غاية الاخفاء وتكلم آخر عنده بصوت من اعلى الاصوات أدرك الصوت الخفى ولم يدرك الصوت العالى وليس ذلك الا لما ذكرناه وهو : ان الله تعالى خلق فى سمعه ادراك الصوت الخفى ولم يخلق فى سمعه إدراك الصوت العالى فكذلك يجوز ان يخلق فى بصرنا إدراك الذرة الصغيرة ويخلق فيه مانعا من ادراك الفيل الكبير (والله على كل شىء قدير ٣ - ٢٩) .

فان قيل : فاذا كان كذلك فيجب أن يجوز أن يكون بحضرتنا ذرة ننظر اليها وندركها ويجوز ان يكون الى جنبها فيلة وأجمال وأنهار جارية لأن ذلك جائز فى المقدور او نشك فى ذلك ولعله يكون بحضرتنا ونحن لانراه .

الجواب : ان هذا تخبط وجهل وقلة فهم لأنه لا يلزمنا ان يجوز ان يكون بحضرتنا كل ماهو جائز فى مقدور الله تعالى ولا نشك فيه لأن ذلك لو لزم للزمنا ان نجوز ان يكون بحضرتنا وعندنا فى الدنيا جنة ونار ونشك فى ذلك لأن الله تعالى قادر على ذلك ولما لم يلزم ذلك مايلزم ماذكرتم وكذلك ايضا من الجائز فى قدرته تعالى ان

يخلق اليوم رجلا لامن ذكر ولامن أنثى ثم لايجب علينا أن نجوز أنه الآن عندنا موجود أو نشك فيه فكذلك ماقلتم وكذلك ايضا يجوز فى مقدوره تعالى ان يميت أهل بلدة نحن فيها كلهم ثم لايلزم ان يجوز ذلك الآن اونشك فيه فكذلك ماقلتم فليس كل جائز يجب أن يكون بحضرتنا اونشك فيه فبطل ماقلتم وصح الحق .

فان احتجوا فقالوا : لوجاز ان يكون مرئياً لجاز ان يقال : يرى كله اوبعضه .

فالجواب : ان هذا محال من القول لأن اطلاق الكل والبعض انما يجوز على من كان ذا كل اوبعض والله تعالى منزه عن الوصف بالكل والبعض وهذا بمنزلة قائل يقول لنا : لوكان معلوما لجاز ان نقول نعلم كله أوبعضه فنقول له : لانقول نعلم كلا ولا بعضا بل نقول نعلم واحداً احدا فرداً صمداً : (ليس كمثله شيء) فكذلك نقول : نرى واحداً احداً فرداً صمداً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير٤٢ — ١١) .

فان قيل : لوكان اهل الجنة يرون ربهم تعالى ثم لايرونه لكانت احوالهم قد تناقضت وعادت من منزلة اعظم الى منزلة أدون ولايجوز ان تتناقص احوال أهل الجنة .

فالجواب : ان الأمر ليس على مايقع لكم لأن تناقص الأحوال ان يريد المرء حالة عالية فيبقى فى حالة ناقصة او يريد ملاذا فلا يصل اليها عالية كانت أو دون ذلك فأهل الجنة بحمد الله تعالى قد تكاملت حالتهم اذ كانوا بحيث اذا شاؤا رأوا ربهم واذا شاؤا اشتغلوا بملاذهم ولايكون ذلك نقصا فى احوالهم ولايلزم على هذا التقرير ان يقال فهذا نقص فى حق أهل الجنة اذا شاؤ الخلوة بالتلذذ عن رؤية ربهم تعالى . قيل هذا يلزمكم انتم دوننا لانانحن نقول : هم (لايشاؤن الاماشاء الله لهم) فهم به وله فى كل أحوالهم فاذاشاء لهم الرؤية شاؤها وتلذذوابها وإذا شاء لهم الخلوة شاؤها وتلذذوا بها ولانقص عليهم فى ذلك ولايلزم ماقلتم .

جواب آخر : وهو ان اهل الجنة يجتمعون بالنبي صلى الله عليه وسلم وينظرون اليه والاجتماع به والنظر اليه اعلى من الاجتماع بالحور والقصور والنظر الى الحور

والقصور ثم يشتغلون بالحور والقصور بعد نظره صلى الله عليه وسلم وان عادوا إلى قصورهم ونعيمهم وان كان نظره اعظم واعلى من ذلك فجاز مثل ذلك ايضا فى جواز رؤية البارى وان كانت اعلى الأشياء وأجلها فثبت ماقلناه وبطل التمويه بحمد الله .

فان قيل : إذا كان مرئيا فخبرونا ماهو ؟ . قيل لهم ان اردتم بقولكم ماهواى ماصورته ، وجنسه ، وطوله ، وعرضه الى غير ذلك مما لايجوز عليه فليس بذى صورة ولاجنس ولاطول ولا عرض وقد قدمنا الادلة على انه لايشبه خلقه ولايشبهونه . وان اردتم بقولكم ماهو ما اسمه ؟ فاسمه : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الحى ، القيوم ، وان اردتم بقولكم ماهو صنعه؟ فصنعه : العدل ، والاحسان ، والانعام ، والسموات والأرض وجميع ما بينهما ، وان اردتم بقولكم ماهو . ما الدلالة على وجوده ؟ . فالدلالة على وجوده جميع ماتراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره ، وان اردتم بقولكم ماهو ؟ اى اشيروا لنا اليه حتى نراه ، ولم انها لاتصح الا فى المسجد ؟

جواب آخر . وهو ان هذه الأخبار تحمل على وجه التغليظ والمبالغة فى الزجر حتى يقف الناس عن هذه الأمور ولا يقدموا عليها وهذا كقول امير المومنين على رضى الله عنه : من اراد ان يقتحم جراثيم جهنم فليقض بين الجد والاخوة . ولم يرد عليه السلام الاعراض عن الحكم اصلا بين الجد والاخوة فانه قد حكم عدة نوب بقضايا مختلفة بين الجد والاخوة .

فان قيل فإذا كان مرئياً فكيف هو : قيل لهم ان أردتم بقولكم كيف هو : على أى تركب ، أو على أى صورة هو ، أو على أى جنس هو ؟ فلا تركيب له ، ولا صورة ولا جنس فنخبركم عن ذلك ، وان أردتم بقولكم كيف هو وعلى أى صفة هو ؟ فهو قديم ، حى ، عالم ، قادر ، متكلم ، سميع ، بصير ، مريد . وان أردتم بقولكم كيف هو ، كيف صنعه إلى خلقه . فصنعه إليهم الإحسان ، والعدل ، والتفضل ،

والامتنان ، فإن قيل إذا كان مرئياً فاين هو؟ قيل لهم ان أردتم أين هو فى وصف المنزلة والرفعة والجلال فهو كما وصف نفسه بقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ٦-١٨ و ٦١) وبقوله : (الرحمن على العرش استوى ٢٠-٥) وبقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ٤٣-٨٤) ، وبقوله تعالى : (ان ربك لبالمرصاد ٨٩ - ١٤) قيل لهم الأين سوآل عن مكان وليس هو مما يحويه مكان لما قدمنا من الحجج والبراهين بحمد الملك المنان .

وحسبى الله ونعم الوكيل .

وهنا انتهى الكتاب ، وقد انتهيت من النظر فيه بتوفيق الله سبحانه يوم السبت الثامن والعشرين من شوال المكرم سنة ١٣٦٩ هـ - وهو اليوم الذى أتممت به ثلاثا وسبعين سنة من عمرى ختم الله لى بخاتمة خير بمنه وفضله - وانا الفقير اليه سبحانه

محمد زاهد الكوثرى عفى عنه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

الفهارس

١ ـ : الموضوعات الهامة
٢ ـ : الآيات القرآنية
٣ ـ : الأحاديث النبوية
٤ ـ : الأعلام

فهرس

الموضوعات والمباحث الهامة

صفحة

مشتملات كلمة مولانا العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا :—

سبب تأليف المؤلف لهذا الكتاب — ذكر المبادىء التى يجب على المكلفين معرفتها — تقسيم العلم الى قسمين — علم الله وعلم الخلق حصر العلوم فى الموجود والمعدوم — ٣

تقسيم الموجود الى قديم ومحدث — صفات صانع العالم الادلة التى يدرك بها الحق سبحانه وتعالى . أقسام الفرائض — بسط القول فى صفات الله وأفعاله — بقاء نبوات الأنبياء بعد وفاتهم — وجوب الكف عما شجر بين الخلفاء الراشدين — نقض ادلة المعتزلة فى دعواهم خلق القرآن والافاضة فى ذلك افاضة لا توجد فى غير هذا الكتاب . ٤

كيف يجب أن يكون اخلاص العلماء بعضهم لبعض — اهمية هذا الكتاب وانه من ابدع ما ابرز للوجود من آثار المتقدمين من المتكلمين — قوة ذاكرة المؤلف وسرعة خاطره ٥

مقدرة المؤلف على تصيد الحجج ضد مخاصميه — عادة المؤلف الرواية بالمعنى — ازدياد مذهب الأشعرى وضوحاً ببيانات المؤلف النيرة — تعود المؤلف القسوة فى المزاح — بين المؤلف وكبير الامامية ابن العلم — قوله فى أبى جعفر محمد بن أحمد السمنانى القاضى انه مؤمن آل فرعون — ٦

صفحة

كتاب التمهيد للمؤلف — ترجمة المؤلف — أقوال المؤرخين فيه — قول القاضى عياض — قول الخطيب البغدادى عن مناقشة المؤلف لملك الروم — قول الخطيب ان كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه سوى القاضى ابى بكر فان صدره يحوى علمه ٧ — ٨

تاريخ وفاة المؤلف ومكان دفنه — ابتكاره لبعض الآراء — مشاركته لعبد القاهر البغدادى فى الأخـــذ عن ابن مجاهد — اعلام مذهب الأشعرى وحملته من التقدمين — صراحتهم فى التنزيه البات — من طرائف الأنباء المروية عن المؤلف . ٩ — ١١

تقدمة المؤلف للكتاب — سبب تأليف هذا الكتاب — وجوب معرفة المكلف المقدمات التى لا يتم النظر فى معرفة الله عز وجل إلا بها — العلم واحكامه ومراتبه . ١٢

تقسيم العلم إلى قسمين — علم الله سبحانه وتعالى وعلم الخلق — تقسيم علم الخلق إلى قسمين : علم اضطرار وعلم نظر واستدلال — كيفية وقوع العلوم الضرورية للخلق — الحواس الخمس — بيان العلم المبتدأ فى النفس لا عن درك ببعض الحواس الخمس — العلم بالضرورات الواقعة باوائل العقول ١٣

انواع الاستدلال من عقلى ، وسمعى ، ولغوى . تقسيم العلوم الى ضربين موجود ومعدوم — اقامة الدليل على ذلك — تقسيم الموجودات الى قسمين : قديم ومحدث . ١٤

تقسيم المحدث الى ثلاثة أقسام . جسم ، وجوهر ، وعرض — بيان للأقسام الثلاثة — وجوب العلم بان العالم محدث — وجوب العلم بأن للعالم محدثا احدثه واقامة الدليل على ذلك ١٥ — ١٦

وجوب العلم بان أول نعم الله على خلقه خلقه فيهم ادراك اللذات - وان افضل واعظم نعم الله على خلقه وعباده المؤمنين خلقه الايمان في قلوبهم . ١٧

الطرق التي يدرك بها الحق والباطل - قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين انفذه الى اليمن : ١٨

تقسيم فرائض الدين الى ثلاثة أقسام - لزوم القسم الأول لجميع الأعيان - وجوب القسم الثاني على العلماء - وجوب القسم الثالث على السلطان ١٩

وجوب العلم بأن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته والاستدلال عليه بآثار قدرته - الثاني من فرائض الله على عباده الايمان والاقرار بكتبه ورسله - وان الايمان بالله يتضمن التوحيد ، والتوحيد هو الاقرار بأنه تعالى ثابت موجود ٢٠ - ٢١

صفات الله سبحانه وتعالى - رؤية الحق سبحانه وتعالى - وجوب العلم بأنه سبحانه وتعالى مدرك لجميع المدركات . ٢٢

وجوب العلم بصفات ذاته وصفات افعاله جل جلاله وبان كلامه سبحانه وتعالى صفة لذاته ٢٣

وجوب العلم بان كلامه سبحانه وتعالى مسموع بالآذان وان كان مخالفا لسائر اللغات وجميع الأصوات - قراءة القرآن كسب ثياب الانسان على تلاوته ويلام على تركه - تقديره سبحانه وتعالى لارزاق الخلق . عدالة الله سبحانه وتعالى في خلقه - واجب المكلفين النظر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى لا في ذات الله ٢٤ - ٢٥

جواب موسى عليه السلام لفرعون حين سأله عن ذات الله سبحانه وتعالى - جواب بعض أهل التحقيق لمن سأله عن الله عز وجل - وجوب العلم بان العالم محدث واقامة الدليل على حدوثه - اقامة

الادلة على انه لا بد من محدث احدث العالم ٢٦—٢٨
وجوب العلم بانه لايجوز ان يكون محدث العالم مشابهاً للعالم المصنوع ٢٨
جواب بعض أهل التحقيق لمن سأله عن التوحيد — قول الجنيد رضى الله عنه فى التوحيد — قول أبى محمد الحريرى فى التوحيد — قول الجنيد عن اول شىء يحتاج إليه المكلف — جواب ابو بكر الزاهد لمن سأله عن المعرفة — وجوب العلم بان محدث العالم قديم — اقامة الأدلة على ذلك ٢٩
وجوب العلم بان صانع العالم جل جلاله واحد — اقامة الأدلة على ذلك ٣٠
وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى حى — وجوب العلم بان الله قادر على جميع المقدورات — وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات — اقامة الأدلة على ذلك ٣١
وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى مريد على الحقيقة لجميع الحوادث وانه سميع لجميع المسموعات — اقامة الأدلة على ذلك ٣٢
وجوب العلم بان الله سبحانه وتعالى متكلم وان كلامه غير مخلوق ولا محدث — وانه باق اى دائم الوجود — وانه عالم بعلم قديم متعلق بجميع المعلومات — اقامة الأدلة على ذلك ٣٣
الكلام على غضب الله سبحانه وتعالى — ورضائه — وحبه — وموالاته — ومعاداته . اقامة الأدلة على ذلك ٣٤—٣٥
القول بان غضب الله سبحانه وتعالى — ورضائه — ورحمته — وسخطه — وحبه — وعدواته — وولايته — وبغضه انما هو ارادته لاثابة من رضى عنه وعقاب من غضب عليه . اقامة الادلة على ذلك ٣٥—٣٦
الجواب لمن سأل هل يجوز ان يوصف سبحانه وتعالى بالشهوة —

لزوم العلم بانه لا فرق بين الارادة والمشيئة والاختيار ، والرضى — وان الاعتبار فى ذلك كله بالمآل لا بالحال — والعلم بان العبد له كسب وليس مجبوراً — الأدلة على ذلك . ٤٠

وجوب العلم بان الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل ، والعلم بان رؤية الله تعالى جائزة من حيث العقل مقطوع بها للمؤمنين . ٤١ — ٤٢

وجوب العلم بان الطاعة ليست بعلة للثواب كما وأن المعصية ليست بعلة للعقاب — وان يعلم بان ارزاق العباد وجميع الحيوان من الله تعالى . اقامة الادلة على ذلك . ٤٣ — ٤٤

وجوب العلم بان عذاب القبر ، ومنكر ونكير ، ورجوع الروح إلى الميت ، ونصب الصراط ، والميزان ، والحوض ، والشفاعة حق وان الجنة والنار مخلوقتان حق وصدق — اقامة الادلة على ذلك . ٤٥ — ٤٧

تقسيم الايمان الى قديم ومحدث — وجوب العلم بان حقيقة الايمان هو التصديق — وان محل التصديق القلب — القول بان الايمان عقد بالقلب واقرار باللسان — القول بان الايمان يزيد وينقص — اقامة الأدلة على ذلك . ٤٨ — ٥٠

وجوب العلم بان كل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمان — وانه يجوز للمؤمن ان يقول انا مؤمن حقاً ، وانا مؤمن ان شاء الله — ٥١ — ٥٢

وجوب العلم بان الاسم هو المسمى بعينه وذاته — وانه يجوز لله تعالى ارسال الرسل والانبياء — اقامة الادلة على ذلك . ٥٣

وجوب العلم بان صدق مدعى النبوة يجب اثباته بالمعجزات — معجزة موسى عليه السلام — معجزة عيسى عليه السلام — وجوب العلم بان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث لجميع الخلق وان شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه — اقامة الادلة على ذلك . ٥٤

اقامة الدليل على ثبوت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم — وجود الاعجاز فى القرآن العربى — اختصاص القرآن الكريم بالجزالة — والنظم ، والفصاحة الخارجة عن اساليب الكلام المعتاد — اشتماله على قصص الأولين وما كان من اخبار الماضين مع القطع بانه كان صلى الله عليه وسلم اميا — معجزاته صلى الله عليه وسلم من غير القرآن اقامة الادلة على ذلك . ٥٤ — ٥٥

وجوب العلم بان نبوة الانبياء لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا . اقامة الدليل على ان امام المسلمين واميرالمؤمنين بعد النبى ابوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على . ٥٥ — ٥٧

اقامة الدليل على اثبات الامامة للخلفاء الاربعة على الترتيب ٥٨

وجوب العلم بلزوم الكف عن الخوض فيما جرى من المشاجرة بين اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — وان خير الامة اصحاب النبى — وان افضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الاربعة — وجوب الاقرار بفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقامة الادلة على ذلك . ٥٨ — ٥٩

وجوب الكف عن ذكر ما جرى بين الصحابة . جواب ابن عباس لمن سأله عن رأيه فيما شجر بين الصحابة — جواب جعفر بن محمد الصادق لمن سأله عن ذلك — جواب عمر بن عبد العزيز — وجوب العلم بان الامامة لا تصح إلا لمن اجتمعت فيه شروط خاصة ٦٠

فصل فى الكلام على خلق القرآن والرد على من قال بذلك . ٦١

اعتقاد اهل السنة والجماعة بقدم كلام الله سبحانه وتعالى — الادلة من القرآن الكريم ومن السنة — ومن اجماع الصحابة على ذلك . ٦٢

الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى : « الله خالق كل شىء — وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث . ٦٣ — ٦٥

قول عتبة عند سماعه للقرآن — الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى : «وكان امر الله مفعولا — انا جعلناه قرآنا عربيا ٦٥ — ٦٦

الرد على من استدل على خلق القرآن بقوله تعالى — واذا بدلنا آية مكان آية — « ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك — معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا تسافروا بالقرآن . . . ٦٧ — ٦٨

الرد على من استدل على خلق القرآن بالقول بان القرآن سور والسور آيات والآيات كلمات والكلمات حروف واصوات — ٦٨ — ٦٩

وجوب العلم بان قراءة القرآن هى غير المقروء والتلاوة غير المتلو ، والكتابة غير المكتوب ٧٠ — ٧٤

فصل فى الاخبار الواردة عن الفرق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء ٧٤ — ٧٥

قول ابن مسعود عجبت للناس وتركهم لقراءتى — جوابه لمن قال له انى قرأت المفصل فى ركعة ٧٥

قراءة النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن — القول بان كل عضو من اعضاء ابن آدم له عبادة خاصة ٧٦

الأدلة على الفرق بين القراءة والمقروء من كلام الله ٧٧

فصل فى بيان الادلة الدالة على ان الحروف والاصوات هى من صفات قراءة القارىء لا انها من كلام البارى ٧٨ — ٨١

القول بان قراءة القارى للقرآن الكريم تارة تكون طاعة وتارة تكون معصية وذنباً ٨١

وجوب العلم بان كلام الله تعالى مكتوب فى المصاحف على الحقيقة وانه مسموع على الحقيقة . الادلة على ذلك ٨٢ — ٨٣

اسماع الحق سبحانه وتعالى كلامه لخلقه على ثلاث مراتب ٨٣ — ٨٤

وجوب العلم بان كلام الله تعالى منزل على قلب النبي صل الله
عليه وسلم نزول اعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال — دليل ذلك ٨٥ — ٨٦
وجوب العلم بان كلام الله القديم لا يتصف بالحروف
والاصوات — دليل ذلك ٨٧ — ٨٩
قول كعب الأحبار عن اول ما خلق الله تعالى من الحروف ٩٠ — ٩١
وجوب العلم بان القراءة غير المقروء وانها صفة للقارى ٩٢
فصل بان قراءة القرآن تارة توصف بالصحة والحسن . وتارة
توصف بالفساد والقبح — قراءة القرآن فعل من افعال العباد ٩٢ — ٩٣
وجوب العلم بانه لا يجوز لاحد ان يقول انى اتكلم بكلام الله ٩٣ — ٩٤
وجوب العلم بأن الكلام الحقيقى هو المعنى الموجود فى النفس ٩٤ — ٩٥
الادلة على ان حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس ٩٦ — ٩٧
بيان مذهب اهل السنة والجماعة بان كلام الله القديم ليس بمخلوق ٩٨ — ١٠١
فصل فى بيان ان الفعل يضاف الى الآمر به وان لم يفعله ١٠١ — ١٠٢
فصل فى بيان ان الله تعالى قد فصل بين القراءة والمقروء —
الادلة على ذلك . ١٠٢ — ١٠٣
فصل فى بيان انه اذا قرأ القارى القرآن وحصل له الثواب
أحصل له الثواب على فعله أو على غير فعله . ١٠٤ — ١٠٦
اختلاف المفسرين فى تفسير الحروف المقطعة فى اوائل السور
على ثمانية اقوال وبيان تلك الاقوال . ١٠٧ — ١١١
فصل فى ابطال حجج من قال فى اثبات قدم الحروف ١١١ — ١١٣
فصل فى الرد على من قال ان الله تعالى متكلم بحروف ١١٣
فصل فى الرد على من احتج فى اثبات الصوت لكلام الله تعالى ١١٤ — ١٢٠

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسافروا بالقرآن ..» وقوله: «لو جعل هذا القرآن فى اهاب ....» ١٢١—١٢٣

تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: من حفظ القرآن اختلط بدمه ولحمه. ١٢٣—١٢٤

فصل فى الرد على من قال اذا كان القديم لا يحل فى المصحف فما معنى تعظيمه وتوقيره. ١٢٤—١٢٦

فصل يتعلق بمسائل ثلاثة وفروعها: الخلق والارادة، والشفاعة، والرؤية. ١٢٦—١٢٧

قول أهل السنة والجماعة ان الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده الادلة على ذلك. ١٢٧—١٣٠

قصة ابن فورك مع الصاحب ابن عباد — قصة بعض أهل القدر مع بعض أهل السنة. ١٣١

الرد على من احتج على خلق الافعال بالآيات القرآنية التالية. فتبارك الله احسن الخالقين — الذى احسن كل شىء خلقه — واذ تخلق من الطين. قول الفرزدق. ١٣٢

الرد على من احتج بقوله تعالى: ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت — فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان — . ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك. ١٣٣—١٣٥

الرد على من قالوا وجدنا افعالنا واقعة على حسب قصدنا. ١٣٥—١٣٨

وجوب العلم بانه لا يجرى فى العالم إلا ما يريده الله تعالى — إقامة الادلة على ذلك. ١٣٩—١٤٠

محاجة موسى وآدم عليهما السلام ١٤١

جواب بعض السلف لمن سأله بم عرفت ربك . ١٤٢
الرد على من يقول بان شرك المشرك ليس بمشيئة الله . ١٤٤
تفسير معنى قوله تعالى : واما ثمود فهديناهم — قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لمن سأله عن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثناء رحلتهم من مكة الى المدينة : بقوله رجل يهدينى السبيل ١٤٥
الرد على من انكر ان المعاصى غير مخلوقة لله ولا مقدرة على الانسان . ١٤٦
تقسيم القضاء على عدة وجوه . قوله ان معنى قضاء الله بالمعاصى والكفر اراده وخلقه لا بمعنى امر به واختاره دينا وشرعاً . ١٤٧
بحث مفصل فى معنى قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره . ١٤٧ — ١٤٩
بحث مفصل فى الشفاعة — افتراق المعتزلة فى الشفاعة الى فرقتين ١٤٩
ذكر طرف من الادلة الدالة على صحة الشفاعة . ١٥٠
فصل فى شبه يراد بها دفع الاخبار الصحاح المجمع على صحتها — دفع المؤلف لتلك الشبه . ١٥١ — ١٥٥
رؤية الله سبحانه وتعالى . ١٥٦
قول أهل السنة والجماعة بجواز الرؤية لله تعالى — اختلاف الصحابة فى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج ١٥٦ — ١٥٨
الجواب على من اعترض على رؤية الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى لموسى : لن ترانى — رد قول من اعترض بقول موسى عليه السلام : تبت اليك . ١٥٩ — ١٦٠
فصل فى ذكر الاجوبة عن آيات يحتجون بها وأخبار وشبه فى نفى رؤية الله تعالى — الرد على من استدل على عدم جواز الرؤية

بقوله تعالى (لا تدركه الابصار ...) — الخلاف بين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد على معنى الادراك . ١٦١ — ١٦٣

الرد على من نفى رؤية الله تعالى بقول عائشة رضى الله عنها لابن الزبير حين سألها بقوله : هل رأى محمد ربه . ١٦٤ — ١٦٥

الرد على من قال : بانه لو جاز عليه سبحانه الرؤية بالابصار لوجب ان يكون جسماً ، أو جوهراً ، او عرضاً ، او محدوداً . ١٦٧ — ١٦٨

الرد على من قال : لو جاز ان يكون مرئياً لجاز ان يقال يرى كله او بعضه — الرد على من قال : لو كان أهل الجنة يرون ربهم ثم لا يرونه لتناقصت احوالهم وعادت من منزلة اعظم الى منزلة ادون الخ . . . ١٦٩

الجواب لمن سأل اذا كان الله سبحانه وتعالى مرئياً فما هو ؟ وكيف هو ؟ . الانتهاء من النظر فى هذا الكتاب . ١٧٠ — ١٧١

فهرس الآيات القرآنية

(ا)

آيتك الا تكلم الناس ٩٥
اتل ما أوحى اليك من الكتاب ١٠٢
إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد ٤٩ ، ٩٦
أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا ١٣٢
أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه ١٨
افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب ١٨
افلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ٤٢
أفمن يخلق كمن لايخلق ٢٩ ، ١٢٩
الا إذا تمنى القى الشيطان في امنيته ٧١
إلا أن يشاء الله ٥٣
إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ٩٧
إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ١٤٠
ألاله الخلق والأمر ٦٢
الا يعلم من خلق ١٣٠
الذى أحسن كل شيء خلقه ١٣٢
الذى يجدونه مكتوباً عندهم ١٦٤
الذى يراك ١٦٠
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ١٥٤
الذين اسودت وجوههم أكفرتم ١٣٤ و ١٣٥
الذين جعلو القرآن عضين ٦٦
الر ١٠٨
الله خالق كل شيء ٦٤
الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ٢٥ ، ٤٤
الله يبسط الرزق لمن يشاء ٤٤
الله يتوفى الأنفس حين موتها ١٠١
الم ١٠٧
المر ١٠٨
الم ذلك الكتاب ١٠٨
المص ١٠٨
الم يعلم بأن الله يرى ٣٢ ، ١٦٠
إلى ربها ناظرة ٢٢ ، ٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٢
ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ٣٨
ام السماء بناها ١٢٠
ام يحسبون انا لانسمع سرهم ٣٢
ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ١٠٠
انا ربكم الأعلى ١٠٦
انا الله لا إله الا انا فاعبدنى ١٥٧
إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ٤٧
إنا اعطيناك الكوثر ٤٦
إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح ١١٦
إنا جعلناه قرآناً عربياً ٦٦ ، ٦٧
انا لماطغى الماء حملناكم فى الجارية ١٠٠
انا نحن نزلنا الذكر ٨٥
ان تكفروا فان الله غنى عنكم ١٤٦

« تنبيه » : الرقم الذى بجوار الآيات بالفهرس هو رقم صفحات الكتاب والأرقام الموجودة بجوار الآيات من داخل الصفحات فالرقم الأول رقم السورة والرقم الثانى رقم الآية

ان ربك لبالمرصاد ١٧١
انزله بعلمه ١٣ ، ٢١ ، ٣١
ان الشرك لظلم عظيم ١٥٤
ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ١٤٦
ان عذاب ربك لواقع ٧٩
ان علينا جمعه وقرآنه ٨٦
إن فى خلق السموات والأرض ١٩
إنك لن تستطيع معى صبرا ٤١
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ٤٠
إن الذين يتلون كتاب الله ١٠٢
إن الذين يؤذون الله ١١٥ ، ١٢٢
إن الله لا يغفر أن يشرك به ٤٧
إنما الله إله واحد ٣٠
انما امرت أن أعبد رب هذه البلدة ٧١
إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ١٤٥
إنما انزل بعلم الله ٨٢
إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له ١٦، ٢٢
إنما وليكم الله ورسوله ٣٥
إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون ٨٦
إننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى ٢٤
إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ١٨، ١٠٥
إن هو الا ذكر للعالمين ٨٦
إن هو إلا وحى يوحى ١٨
إن هي الا فتنتك ٣٩، ١٣٣
انه لقول رسول كريم ٨٦
أو ترقى فى السماء ١٦٤
أو تكون لك جنة من نخيل ١٦٤
أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ٤٨
أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر ١٤١
أولم يروا أن الله الذى خلقهم ٢١
انى أرى فى المنام أنى أذبحك ١٦٥
إياك نعبد وإياك نستعين ٤١

(ب)

بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ١٦١
بلسان عربى مبين ٨٥ ، ١٠٠
بل الله يمن عليكم ١٧
بل هو آيات بينات فى صدور ٨٢
بل هو قرآن مجيد ٨٢
بل يداه مبسوطتان ٢١
بلى ولكن حقت كلمة العذاب ٣٩
بما أوحينا اليك هذا القرآن ١٠١
بما كسبت أيدى الناس ٤٠

(ت)

تبارك اسم ربك ٥٣
تبارك الله رب العالمين ٩٠
تبت اليك ١٥٨
تبياناً لكل شىء ١٨
تجرى باعيننا ٢١
تجرى من تحتها الأنهار ١٠٩
تحيتهم يوم يلقونه سلام ٤٢
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ١٥
تلك آيات الله نتلوها عليك ٩٩

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ٦٠
تنزيل من رب العالمين ٨٦
(ث)
ثانى اثنين إذهما في الغار ٥٦
(ج)
جزاء بما كانوا يعملون ١٣١
جزاء بما كانوا يكسبون ١٣١
الجوار الكنس ٨٦
(ح)
حتى أتانا اليقين ١٥٤
حتى إذا أدركه الغرق ١٦٢
حتى إذا جاء أمرنا ٦٥
حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ١٠٠
حتى يتبين لهم أنه الحق ٦٦
حتى يسمع كلام الله ١٠٥
حجتهم داحضة عند ربهم ١٣١
الرحمن على العرش استوى ٣٧ ، ١٧١
حم ١٠٦
الحمد لله الذى هدانا لهذا ٣٩
الحى القيوم ٣١
(خ)
خالدين فيها ابداً رضى الله عنهم ٤٧
خالق كل شىء ٢١، ١٢٨
خلق الموت والحياة ١٣٣
(ذ)
ذلكم بانه إذا دعى الله وحده ٢٠
ذو القوة المتين ٢١
ذى قوة عند ذى العرش مكين ٨٦
(ر)
رب اجعلنى مقيم الصلاة ٤١
رب أرنى انظر اليك ٢٢ ، ٤٢ ، ١٥٦
رب بما اغويتنى ٣٩
رب السموات والأرض وما بينهما ٢٦
ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين ٦٠
ربنا ظلمنا ١٣٣
ربنا غلبت علينا شقوتنا ٣٩
الرحمن ٨٦
الرحمن على العرش استوى ٢٢
رسولا يتلو عليكم آيات الله ٦٥
رضى الله عنهم ورضوا عنه ٢٢ ، ٥٩
رفع سمكها فسواها ١٢٠
(س)
سبح اسم ربك ٥٣
السلام المؤمن المهيمن ٤٨
سنقرئك فلا تنسى ٨٦
سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ١٤٤
(ش)
شهد الله انه لا إله الا هو ٤٨
(ط)
طه ١٠١
(ع)
عزيز حكيم ١٦١

عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ٤٧
عسى ربه ان طلقكن ٥٧
علم القرآن ٨٦
علمها عند ربى فى كتاب لايضل ٦٠
علمه شديد القوى ٨٦
عليم قدير ١٦١
على قلبك لتكون من المنذرين ٨٥ ، ١٠٠
عما يشركون ١٢٩
عينا يشرب بها عباد الله ١٤٦

(ف)

فأتى الله بنيانهم من القواعد ١٠٠
فاذا جاء أجلهم ٢٥
فاذا قرأت القرآن ٧٢ ، ١٠٢
فاستحبوا العمى على الهدى ١٤٦
فاعتبروا يا أولى الأبصار ١٨
فاعلم انه لا إله الا الله ١٦٢
فاعلموا انما أنزل بعلم الله ١٣ ، ٣١
فاقرؤا ماتيسر منه ٩٣
فاقرؤا ما تيسر من القرآن ١٠٢
فان الله عدو للكافرين ٣٥
فانظر إلى طعامك وشرابك ٤٢
فاوحى إلى عبده ما أوحى ٨٥
فاين تذهبون ٨٦
فتبارك الله أحسن الخالقين ١٣٢
فتلقى آدم من ربه كلمات ١١٢
فحشر فنادى ١٢٥
فخرج على قومه من المحراب ٩٥
فذكر إنما انت مذكر ٦٥
فريقا هدى وفريقا حق عليهم ١٤٤
فطمسنا أعينهم ١١٥
فعال لما يريد ١٦ ، ٣٢
فقال انا ربكم الأعلى ١٢٥
فقضاهن سبع سموات ١٤٧
فكذب وعصى ١٢٥
فلا اقسم بالخنس ٨٦
فلا اقسم بما تبصرون ٨٥
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ٤٦
فلما قضينا عليه الموت ١٤٧
فلن ابرح الأرض ١٥٨
فلولا فضل الله عليكم ورحمته ١٧
فليحذر الذين يخالفون عن امره ١٨
فما تنفعهم شفاعة الشافعين ١٥٤
فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ١٣٤
فمن يرد الله أن يهديه يشرح ٣٨ ، ١٤٠
فنفخنا فيها من روحنا ١٠٠
فوكزه موسى فقضى عليه ١٣٣
فى كتاب مكنون ٨٢
فى لوح محفوظ ٨٢

(ق)

قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ٥١
قال الملأ الذين استكبروا من قومه ١٤٥
قالوا لم نك من المصلين ١٥٤
قد سمع الله قول التى تجادلك ٣٢
قل أى شىء أكبر شهادة قل الله ١٤
قل فلله الحجة البالغة ٢٥ ، ١٤٤
قل كل من عند الله ١٣٤
قل لا أملك لنفسى نفعا ولاضراً ٣٩
قلنا احمل فيها من كل زوجين ١٠٠

قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى ٩١
قل لوكان معه آلهة كما يقولون ٣٠
قل ياعبادي الذين اسرفوا ٤٧
قل يتوفاكم ملك الموت الذى ١٠١
قل يحيها الذى انشأها ١٩

(ك)

كتب على نفسه الرحمة ٦٣
كتب الله لاغلبن انا ورسلى ٥٥
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٢٢، ١٦١
كل شيء هالك إلا وجهه ٢١، ٣٣، ١٢٣
كلما نضجت جلودهم ١٥٤
كل من عند الله ١٣٥
كل نفس ذائقة الموت ٦٣
كلوا واشربوا ١٢٦
كنتم خير أمة أخرجت للناس ١٨
كهيعص ١٠٧

(ل)

لاتتخذوا عدوى وعدوكم ٣٥
لاتحرك به لسانك ٧١، ٨٦
لاتدركه الأبصار ١٦١، ١٦٢
لاتقربوا الصلاة ١٢١
لاتقربوا مال اليتيم ١٢٦
لامبدل لكلماته ٦٧
لايسئل عما يفعل ٢٥، ١٤٩
لايستوى منكم من انفق ٥١، ٥٦
لايشاؤون الا ماشاء الله ١٦٩
لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون ١٥٤
لتدخلن المسجد الحرام ٥٥، ١٤٤
لقد رضي الله عن المؤمنين إذيبايعونك ٥٩
للذين احسنوا الحسنى وزيادة ٤٢، ١٢٧، ١٦٠
لمن شاء منكم أن يستقيم ٨٦
لم يلد ولم يولد ٣٤
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ١٦٤
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ٤٠، ١٢٧
لوكان فيهما آلهة الا الله ٣٠
لولا كتاب من الله سبق لمسكم ٥٧
ليس كمثله شيء ١٧، ٢٠، ٢٦، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٣، ٨٣، ١٠٢

(م)

ما اصابك من حسنة ١٣٤، ١٣٥
ماترى فى خلق الرحمن ١٣٣
ماتعبدون دونه الا اسماء ٥٣
ماجعل الله من بحيرة ٦٦
ما سلككم فى سقر ١٥٤
ما فرطنا فى الكتاب من شيء ١٨
ماكان لنبي أن يكون له أسرى ٥٧
ما للظالمين من حميم ١٥٤
مالك يوم الدين ١٠٩
ما له من دافع ٧٩
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ٢١
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ٦٤
مطاع ثم أمين ٨٦
من كفر بالله من بعد إيمانه إلا ٤٩
منهم من كلم الله ٢٤ - ٣٣
من يضلل الله فلا هادى له ٢٥
من يهد الله فهو المهتد ٢٥

(ن)

النار يعرضون عليها غدواً ٤٥
نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون ٩٩

نتلوها عليك بالحق ٩٩
نحن نقص عليك أحسن القصص ١٠١
نزل به الروح الأمين ٨٥ ، ١٠٠
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ١٥٢

(هـ)

هذا عارض ممطرنا ١٥
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ٩٤
هذا يوم لا ينطقون ١٥١
هل أتى على الإنسان حين من الدهر ١٤
هل من خالق غير الله ٢٥ ، ٣٨ ، ١٢٩
هو الأول والآخر ٢٠
هو الذى أنزل عليك الكتاب منه ١٠٩
هو الذى يسيركم فى البر والبحر ٣٨

(و)

واتل ما أوحي اليك ٧٢
وإذا أراد الله بقوم ٣٩
وإذا بدلنا آية مكان آية ٦٧
وإذا قيل لهم أنفقوا ١٤٤
وإذ تخلق من الطين ١٣٢
واذكر ربك ١٠٢
واسئل القرية التى ١٢١
واستمع يوم ينادِ المناد ١١٥
وأشربوا فى قلوبهم ١٢٤
وأفوض أمرى إلى الله ٦٦
وأقبل بعضهم على بعض ١٥١
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ١٢٦
والذى جاء بالصدق ٥٦
والذين يدعون من دون الله ٢٥
والله خلقكم وما تعملون ٣٨ ، ١٢٧
والله على كل شيء قدير ١٦٨
والله لا يحب الفساد ١٤٤
والله ولى المؤمنين ٣٥
والله يريد الآخرة ٣٢
والله يقول الحق ٦٢
ولم يجعل له عوجا ٧٢
وإلهكم إله واحد ٢٠
وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا ١٤٥
وأنا ربكم فاعبدون ١٠٦
وإن أحد من المشركين استجارك ٨٣
وأن اتلو القرآن ٧١ ، ٩٣ ، ١٠٢
وأنزلنا إليك الذكر ٨٥
وانك لتهدى إلى ١٤٥
وإن له عندنا لزلفى ١١٨
وإن منكم إلا واردها ٤٦
وإنه لتنزيل رب العالمين ٨٥
وأوتيت من كل شيء ٦٤
وتمت كلمة ربك ٣٣
وتوكل على الحى الذى لا يموت ٣١
وجعلنا من الماء كل شيء حى ٦٦
وجعلوا لله أندادا ٦٦
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ٦٦
وجنة عرضها السموات والأرض ٤٧
وجهت وجهى للذى فطر ٢٧
وجوه يومئذ ناضرة ٢٢، ٤٢، ١٥٩، ١٦٢
والخامسة ان غضب الله عليها ٣٥
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ١١٢
والشجرة الملعونة فى القرآن ١٢١ ، ١٢٢
والصبح إذا تنفس ٨٦

والضحى ١٢٢
وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ١٩
والطور ١٢٢
والعاقبة للمتقين ٥٥
وعليها ما اكتسبت ٤٠
والعير ١٢١
وفى أنفسكم أفلا تبصرون ١٨
وقد خلقتك من قبل ١٤
وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس ٧١
وقضى ربك ألا تعبدوا ١٤٧
وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب ١٤٧
وقهم السيئآت ١٥٠
وكان أمر الله قدرا مقدورا ٦٥
وكان أمر الله مفعولا ٦٥
وكانوا لا يستطيعون سمعا ٤١
وكذلك أوحينا إليك ١١٦
وكذلك جعلناكم أمة وسطا ١٨
وكلم الله موسى تكليما ٢٤ ، ٣٣
وكنا نخوض مع الخائضين ١٥٤
وكنا نكذب بيوم الدين ١٥٤
وكنتم على شفا حفرة من النار ١٧
وكيف تكفرون وأنتم تتلى ١٠٠
ولئن شئنا لنذهب بالذى ٦٧
ولا بقول كاهن قليلا ٨٥
ولا تعجل بالقرآن من قبل أن ٨٦
ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك ٥٣
ولا مبدل لكلمات الله ٦٧
ولا يخفف عنهم من عذابها ١٥٤
ولا يحيطون به علما ١٦٢
ولا يرضى لعباده الكفر ١٤٦
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٤٧ ، ١٥٣
ولتصنع على عينى ٢١
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم ١٤٥
ولقد جئناهم بكتاب ١٠٠ ، ١١٥
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا ١٤٠ ، ١٤٥
ولقد رآه بالأفق المبين ٨٦
ولكن جعلناه نورا نهدى ٨٠
ولكن كره انبعاثهم فثبطهم ١٤١
ولكن الله حبب إليكم الإيمان ٤٨
ولله الأسماء الحسنى ٢١ ، ٥٣ ، ١٣٩
والليل إذا عسعس ٨٦
ولما جاء موسى لميقاتنا ١٥٦
ولم نك نطعم المسكين ١٥٤
ولم يكن له كفوا أحد ٣٤ ، ٣٦
ولن يتمنوه أبدا ١٥٨
ولو أن ما فى الأرض من شجرة ٧٠ ، ٩١ ،
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ٣٩ ، ١٤٠
ولو ردوه إلى الرسول ١٨
ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض ٣٩ ، ١٤١
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة ١٣٩ ، ١٤٠
ولو شئنا لآتينا كل نفس ٣٩
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ٣٨
ولو كان من عند غير الله ١٨
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ١٧ ، ٤٣
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ٤٠
وما آتاكم الرسول فخذوه ١٨
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ٩٤
وما أصابكم من مصيبة فبما ٤٠
وما أمر فرعون برشيد ٦٥
وما أنت بمؤمن لنا ٢٠ ، ٤٨

وما تحمل من أنثى ولا تضع ١٣ ، ٢١
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ٢٢، ٣٩، ٨٦
وما خلقت الجن والإنس ١٤٤
وما رب العالمين ٢٦
وما صاحبكم بمجنون ٨٦
وما كان لبشر أن يكلمه الله ٨٥ ، ١٦٤
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ٥٥
وما لا تبصرون ٨٥
وما من دابة فى الأرض إلا على الله ٤٤
وما هو بقول شاعر ٨٥
وما هو بقول شيطان ٨٦
وما هو على الغيب بضنين ٨٦
وما يكون لنا أن نعود فيها ٣٩
وما ينطق عن الهوى ١٨
والملائكة باسطوا أيديهم ١٣٤
ومن أعرض عن ذكرى فإن له ٤٥
ومن يتعد حدود الله فأولئك ١٢٠
ومن يتول فإن الله هو ١١٠
ومن يرد الله فتنته فلن ١٤١
ومن يشاقق الرسول من بعد ١٨
ومن يقتل مؤمنا متعمداً ٣٥
ونادوا يا مالك ليقض ١٥٨
ونزعنا ما فى صدورهم ٥٩
ونضع الموازين القسط ٤٦
وهديناه النجدين ١٤٥
وهديناهم ١٤٥
وهو أهون عليه ١٣٢
وهو الذى فى السماء إله وفى ١٧١
وهو الذى يبدأ الخلق ثم ١٩
وهو السميع البصير ٣٢
وهو على كل شيء قدير ٢١ ، ٣١
وهو القاهر فوق عباده ١٧١
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٢١
ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ٢٥
ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض ٣١
ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا ٩٦

(ى)

يا أيها الرسول ٧١
يا أيها الذين آمنوا اذكروا ١٠٤
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم ٥٦
يا أيها الناس علمنا منطق الطير ٦٤
يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ١٤٦
يا موسى اجعل لنا إلها كما ١٥٧
يا موسى أقبل ولا تخف ١١١
يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ٦٣
يتلونه حق تلاوته ٧١
يثبت الله الذين آمنو ٤٥
يحب التوابين ويحب المتطهرين ١٥٥
يحبهم ويحبونه ٣٥
يريد الله أن يخفف عنكم ٣٢
يريد الله بكم اليسر ٢٢ ، ٣٢
يزيد فى الخلق ما يشاء ١١٨
يسئلك أهل الكتاب أن تنزل ١٦٣
يس ١٠٠
يضل من يشاء ويهدي يشاء ٣٩
يعلم خائنة الأعين ٣١ يعلم السر وأخفى ٩٦
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ٣١
يعلم ما فى أنفسكم ٩٦
يمنون عليك إن أسلموا قل لا تمنوا على ٥٢
يوم يسمعون الصيحة بالحق ١١٥
يوم ينفخ فى الصور ١١٥

فهرس

الأحاديث النبـــوية

ص

(ا)

الأئمة من قريش ٦٠
ابنى قل اب ٤٥
اتمشى امام من هو خير منك ٥٦
اذا اجتهد الحاكم ٥٩
اذا تكلم الله بالوحى ١١٦، ١١٧
اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ٩٧
اذا قضى الله الامر فى السماء ١١٧
اذا كان يوم القيامة ١١٤
ارجع فناد الا ان العبد نام ١٥٢
استقرئو القرآن من اربعة ٧٣
اشفع الى ربى ١٥٠
اعطوا اعينكم حظها من العبادة ٧٦
اعملوا فكل ميسر لما خلق له ٤٣
اعوذ بالله من عذاب القبر ٤٥
أعيذكما بكلمات الله التامة العامة ٣٣
افضل عبـــادات امتى قراءة القرآن ٧٦ و ١١٣

ص

اقرأ أسيد فان الملائكة ١١٩
الحمد لله كتاب الله واحد فيه ٧٥
الله خالق كل صانع وصنعته ٣٨
اللهم ادر الحق مع على حيث دار ٥٨
اللهم انى اسألك لذة النظر ١٦٠
اللهم انى عبدك وابن عبدك ٨٠
اما ترضى ان تكون ٥٨
انا اؤمن به وابو بكر وعمر ٤٨
انا غداً ان شاءالله نازلون ٥٣
ان ابنى سيد وسيصلح الله ٥٩
ان الله خلق كل صنعة ١٢٩
ان الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى ٤٣
ان امنّ الناس علىّ فى نفس ٥٦
ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ٥٢، ١٤٢
ان عثمان اخى ورفيقى فى الجنة ٥٧
ان لله تسعة وتسعين ٥٣
ان هذا القرآن مأدبة الله ٧٣

ص

ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف ١١١، ١١٢
انه ليدلنى على حسن ايمان ١١٩
انى اراكم من وراء ظهرى ١٦٥
انى لاعرف اصوات رفقة الاشعريين ١١٩
اياكم وما شجر بين اصحابى ٦٠
ايما اهاب دبغ فقد طهر ١٢٣

(ب)

بينا انا فى الجنة ٨٠

(ت)

ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ٤٢، ١٦١
تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله ٢٦
تنام عينى ولا ينام قلبى ١٦٥

(ث)

ثلاثة يبغضهم الله تعالى ٣٥
ثمرة طيبة وماء طهور ١٥٢

(ح)

الحمد لله الذى وفق رسول رسوله لما يرضى ١٨

ص

حوضى كما بين ايلة الى مكة ٤٦

(خ)

خذوا القرآن من اربعة ٧٧
الخلافة بعدى ثلاثون ٦٠
خير القرون قرنى ٥٨
خيرت بين ان يدخل ٤٧

(د)

دعوت الله تعالى ان يرفع ٥٧

(س)

السعيد من سعد فى بطن امه ١٤٢
سل تعطه من سره ٧٤

(ش)

شفاعتى لاهل الكبائر من امتى ٤٧، ١٥٠

(ف)

فتقول الملائكة يا رب اشقى ١٤٢
فرغ ربك من اربع ١٢٩
فضل كلام الله على سائر ٣٣، ٦٢

(ق)

القبر اما روضة من رياض الجنة ٤٥
قال الناس لى كذبت وقال ابو بكر ٥٦

(ك)

كان الله تعالى ولم يكن شيء ٢٧
كلام الله غير مخلوق ٦٢
كنت نبياً وآدم بين ٥٦
كيف بك ياعمر اذا جاءك فتانا القبر ٤٥

(ل)

لاعطين الراية غداً ٥٨
لاتسافروا بالقرآن ٦٨ ، ١٢١
لا تمس القرآن إلا ٦٨
لا صلاة لجار المسجد إلا فى ١٥٣
لا يبقى فى النار من فى قلبه ٤٧
لا يدخل الجنة مدمن خمر ١٥٢
لا يزنى الزانى ١٥٣
لا يكمل ايمان العبد حتى يحب ٥٠
لا يمس القرآن إلا على طهارة ١٢١
لا ينال شفاعتى اهل الكبائر ١٥١
لقد اعطيت مزماراً من مزامير ١١٩
لو جعل هذا القرآن فى اهاب ٨٨ ، ١٢٢
لو جهد الخلق على أن ينفعوك ١٢٩
لو كان بعدى نبيا لكان ٥٧
لو كان لنا ثالثة ٥٧
لو نزل من السماء عذاب ٥٧
لو وزنت ايمان ابى بكر ٥٧
ليس منا من باتى بطينا ١٥٣
ليس هذا يا ابا بكر انما الظلم ١٥٤

(م)

ما حبسك يا عائشة ١١٩
مالك إذا قرأت ٧٩
مثل الناظر فى قدر الله ٢٦
من أراد أن يقرأ القرآن ٧٢
من تحسى سماً وقتل نفسه ١٥٢
من حفظ القرآن ٩٤ ، ١٢٣
« أبو موسى » مزمار من مزامير ١١٩
من سره أن يقرأ القرآن ٧٧
من قرأ حرفا من كتاب الله ٧٣
من قرأ القرآن باعراب ٧٦
من قرأ القرآن فله ١١٣
من يجهز جيش العسرة ٥٧
من يزيد فى المسجد أضمن له الجنة ٥٧

(ن)

الندم توبة ٩٧
نعم الشفيع لصاحبه ١٢٣

(هـ)

هكذا أنزل ٧٣

(ى)

يا ابن آدم تريد وارید ٣٢
يا ابن آدم مرضت ١١٥
يا معشر من آمن بلسانه ٥٠، ٩٧
يقال للعابد يوم القيامة ٤٧
يقول الله تعالى ٣٥
يكون بين أصحابى ٥٩

فهرس الأعلام

(ا)

آدم عليه السلام ٨ ، ١٣٣ ، ١٤١
آدم بن أبي اياس ٩٠
إبراهيم الخليل عليه السلام ٢٧ ، ١٦٥
إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم ٤٥
إبراهيم بن محمد الاسفرايني
« أبو إسحاق » ٩ ، ١٠
إبليس ٣٩ ، ٤٠
أبي بن كعب ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٣
الأخطل الشاعر ٩٧
اسرافيل عليه السلام ١١٥ ، ١١٨
اسماعيل بن رافع ١٢٤
اسماعيل بن عباد « الصاحب » ٥ ، ١٣١
أسيد بن حضير ١١٩
الأشعري ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٣٦ ، ٥٨ ، ٦٤
امام الحرمين ١٠
ابن ام عبد = ابن مسعود
انس بن مالك ٧٦ ، ٧٩ ، ١٥٠

(ب)

الباقلاني « هو المؤلف » ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢
الباهلي « أبو الحسن » ٥ ، ٩
البخاري ١١٧
بختنصر ٨٨
البراء بن عازب ٧٩
البربهاري ١٠
بشر المريسي ٦٣
برصيص ٤٠
أبو بكر الخوارزمي ٨
أبو بكر الصديق ٤ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤
أبو بكر القطيعي ٧
أبو بكر النقاش ٩٠
بلال ١٥٢
بلعم ٤٠
بلقيس ٦٤

(ج)

جابر بن عبد الله ٧٤ ، ١٠٨
الجبائي « أبو علي » ٩
جبريل عليه السلام ٢٤ ، ٥٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٥ ، ١٠٧ ، ١٤٣ ، ١٦٧
جبير بن مطعم ٧٩

وضعنا علامة = بمعنى انظر

ابن جريج ١٠٧ ، ١١٧
جعفر بن محمد الصادق «الإمام» ٣٧، ٦٠
الجنيد رضى الله عنه ٢٩، ٤٠، ٩٠

(ح)

حارثة بن النعمان ٨٠
أبو حاتم القزوينى ٨
الحريرى : أبو محمد ٢٩
ابن حزم ٧، ١٢١
الحسن الباقلانى «ابن المؤلف» ٩
الحسن البصرى ١٥١
أبو الحسن الباهلى ٥، ٩
أبو الحسن الأشعرى = الأشعرى
الحسين بن حاتم ٧
حواء «عليها السلام» ١٣٣
حى بن أخطب ١٠٨

(خ)

الخطيب البغدادى ٨
ابن خلكان ١١

(د)

داود عليه السلام ٨، ١٤، ١١٨
أبو الدرداء رضى الله عنه ٥٦، ٦٢
دعبل الشاعر ٨٩

(ذ)

أبو ذر رضى الله عنه ١١٨، ١٥٢
أبو ذر الهروى ٧
الذهبى ٧
ذو البجادين ١١٨

(ز)

ابن الزبير ١٦٤
الزهرى ١١٧
زيد بن أسلم ١٠٧
زيد بن ثابت ٧٥، ٧٧

(س)

سالم مولى أبى حذيفة ٧٣، ٧٧، ١١٩
ابن سابط ١١٩
سحرة فرعون ٤٠
السدى ١٠٧
سعيد بن جبير ١٠٧
أبو سعيد الخدرى ٧٦، ١٠٥
أبو سعيد الهارونى ١١
سفيان ١٤٥
أم سلمة ٧٨

(ش)

الشريف الأجل الإمام جمال الإسلام = الأشعرى
الشعبى ١٠٧
شعيب عليه السلام ٣٩
الشلبى ٣٧
شهر بن حوشب ١١٩
الشيخ الاجل الأمجد = الأشعرى

(ص)
صفوان رضى الله عنه ١٠٢
ابن الصيرفى ٦
(ض)
أبو الضحى ١١٧
(ع)
عائشة رضى الله عنها ٨، ٤٦، ٧٨، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥
عاصم الجحدرى ١٠٣
أبو العالية ١١٨
ابن عامر: أحد القراء السبعة ١١٠
أبو عامر الأشعرى ١١٩
ابن عباس رضى الله عنه ٤٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٩، ١٤٥، ١٥٦، ١٦٤
عبد الجبار بن على الاسفرايني «أبو القاسم» ١٠
عبد القاهر البغدادى ٩، ١٠
عبد العزيز المكى ٦٣
عبد الله بن سعيد ٩١
عبد الله بن عمر ٤٥، ١١٧، ١٤٢
عبدالله مسعود = ابن مسعود
عبد الله بن مفضل ٧٦
عثمان رضى الله عنه ٥٧، ٥٨
أبو عثمان المغربى «الصوفى» ٣٧
أبو عثمان النهدى ١١٨
عزيز عليه السلام ٨٨
عكرمة ١٠٧
على عليه السلام ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٧٩، ٨٩
عمار بن ياسر ٣٩
عمر بن الخطاب ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٥٨، ٧٣، ٧٩، ٩٧، ١٠٢، ١١٢، ١١٨، ١٣٢
عمر بن طلحة ١٢٤
عمر بن عبد العزيز ٤٧، ٦٠
عمرو بن مرة ٧٥
القاضى عياض ٣
عيسى عليه السلام ٥٤، ٩٤، ١٢٤
(غ)
الغزالى ١٠
(ف)
أبو الفتح بن أبى الفوارس ٧
الفخر الرازى ١٠
الفرزدق ١٣٢
فرعون موسى ٢٦، ٤٠، ١٠٦، ١٢٥، ١٢٦، ١٦٢
ابن فورك ٥، ٩، ١٠، ١٣٠
(ق)
قتادة ٧٦، ١٠٧، ١٤٥
(ك)
ابن كثير ١٠، ١٠٣، ١٠٩
كعب الأحبار ٩٠
(ل)
لوط عليه السلام ١١٥

(م)
ابن ماسى : أبو محمد ٧
ماعز ١٠١
مالك بن دينار ١١٨
مجاهد ١٤٥
ابن مجاهد = محمد بن مجاهد
رسول الله : نبى الله، محمد صلى الله عليه وسلم (يرد بكثرة)
محمد بن أحمد السمنانى
القاضى « أبو جعفر » ٧٠٦
محمد بن مجاهد
الطائى « أبو عبد الله » ٨، ٩، ١٠
محمد بن الطيب = الباقلانى
محمد بن عمران « أبو الفرج » ٨
محمد المحبوب ٣٧
مريم عليها السلام ١٠٠، ١٢٤
مسروق ١١٧
ابن مسعود ٦٨، ٧٢، ٧٨، ٨٠، ١٠٣، ١٠٧، ١١٣
مسلم بن الحجاج ١١٧، ١١٩
معاذ بن جبل ١٨، ٧٣، ٧٧
ابن المعلم « كبير الأمامية » ٦
الملائكة ١١٧، ١٦٧
ملك الروم ٨
الملك المعظم ٧
ملك الموت ١٦٧
منكر « عليه السلام » ٤٥
موسى عليه السلام ٢٢، ٢٦، ٤٢، ٥٤، ٥٨، ٨٤، ٨٩، ٩٤، ١١٨، ١٣٣، ١٤١، ١٥٩، ١٦٠
أبو موسى ١١٨
ميكائيل عليه السلام ١١٥
(ن)
نافع ١١٠
النعمان بن بشير ٧٦
نكير عليه السلام ٤٥
النواس بن سمعان ١١٧
(هـ)
هارون عليه السلام ٥٨
أم هانى ٧٩
أبو هريرة ٤٥، ٧٧، ٨٠، ١١٧
(و)
أبو وائل ٧٥
(ى)
أبو ياسر بن اخطب ١٠٨
اليافعى ١١
يحيى عليه السلام ٨٨
يزيد القعقاع « أبو جعفر » ١٠٣
يوسف عليه السلام ٨، ٤٨

كلمة الناشر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله شهادة أرجو بها النجاة يوم لاينفع إلا رضاه .

أما بعد : فإن هذا الكتاب من أمهات الكتب العلمية ، الغزيرة المادة ، الواسعة البحث فى علم استعصى على كثير من العلماء فهم كثير من مسائله الدقيقة . غير أن لسان الأمة ، وسيف أهل السنة ، العالم النظار أبا بكر محمداً بن الطيب الباقلانى البصرى المتوفى سنة « ٤٠٣ هـ » تغلب ببارع حيلته وفائق مهارته فذلل صعابها ، وراض جماحها فزلت بعد شماس ولانت بعد إباء فرد على الذين زاغت قلوبهم فدفع شبههم ، وأقام الحجة عليهم من الكتاب والسنة والأدلة العقلية وأيد مذهب الأشاعرة فى أمهات مسائل التوحيد كنفيه خلق القرآن ، واثباته لرؤية الله سبحانه وتعالى ، والشفاعة ، والقضاء والقدر .

ومما ضاعف أهمية هذا الكتاب وشجعنى على نشره تكرم مولانا بقية السلف الصالح شيخ مشايخ علماء هذا العصر بلا منازع المحدّث الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا ونزيل القاهرة الآن بتقديمه للقراء والنظر فيه والتعليق عليه بقدر ما سمحت له صحته ووقته فجزاه الله عن العلم وخدامه خير الجزاء وبارك فى عمره وأبقاه ذخراً للاسلام والمسلمين .

وقد عثرت على أصل هذا الكتاب النفيس بادى ذى بدء فى دار الكتب الملكية المصرية بوساطة حضرة الأخ الأديب البحاثة فؤاد افندى السيد الموظف بقسم الفهارس العربية بالدار المذكورة ثم عثرت على نسخة مخطوطة فى مكتبة الأستاذ

البحاثة المعروف بالأواسط العلمية السيد محمد بن تاويت الشهير « بالطنجى » محقق رحلة ابن خلدون . ومقدمته ، وديوان النابغة وغيرها من الكتب التاريخية والأدبية فراجعتها على النسخة الموجودة بالدار واستخرجت من النسختين أصلا دفعته إلى مولانا الكوثرى فأصلح حفظه الله مافيه من خطأ وأثبت الكلمات المنقوصة فوضعتها بين مربعين وهاهى ولله الحمد نخرجها نسخة كاملة لتضم إلى الخزانة العربية فى ثوب قشيب بقدر المستطاع .

هذا وانني أتقدم بفروض الشكر وآيات الثناء لكل من قام ويقوم بمؤازرة مكتبتنا وتشجيعنا على نشر الكتب العلمية من تراثنا العربى الإسلامى القديم أخص منهم بالذكر حضرات أصحاب السعادة والفضيلة القانونى المشرع الكبير محمود بك السبع المستشار لدى المحاكم العليا الوطنية والإدارى الحازم الكبير الأمير الاى محمد بك يوسف مدير الشئون العربية بحكمدارية العاصمة الحائز لتقدير ومحبة ملوك ورؤساء الحكومات العربية خاصة والإسلامية عامة والمربى الكبير الشيخ عبد المجيد الشافعى بدار العلوم والشيخ حامد مصطفى بكلية اللغة العربية والسيد يوسف على الزواوى من علماء الأزهر وغيرهم من رجالات العلم والأدب .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يحفظهم جميعاً وان يسدد خطانا ويوفقنا إلى مافيه حبه ورضاه بمنه وكرمه انه سميع مجيب .

كتبه ناشر الكتاب الفقير إلى الله تعالى راجى عفوه وغفرانه أبو أسامة السيد عزت ابن المرحوم العالم النحرير السيد أمين بن المرحوم محدث الديار الشامية وبدر بدور البلدة الدمشقية السيد سليم بن المرحوم العالم العلامة السيد ياسين ابن شيخ علماء الديار الشامية وأستاذ شيوخ مشايخ الشافعية المحدث الكبير السيد حامد ابن شهاب الملة والدين الشهاب أحمد بن عبيد ابن عبد الله بن عسكر الحسينى النسب الحمصى المولد الدمشقى الموطن الشهير بالعطار

تصويب

٣ — ١٧ : بين ، ٧ — ٢ : من ، ٨ — ١ : المؤرخين ، ١٤ — ٢ (لا +) ، ١٥ — ١٠ : لذلك ، ١١ : المكان المانع من أن يوجد ، ١٣ — ٣ : ٤ — ١٦٦ ، ١٧ — ١٥ : ٤ — ٨٣ ، ١٨ — ٧ : تبياناً ، ١٦ : نوله ، ٢١ — ٢ : ١٣ — ١٦ ، ١١ : ٤ — ١٦٦ ، ١٢ : هواشد ٢٢ — ١٠ : ٩٨ — ٨ ، ٢٤ — ١ : فاعبدنى ، ٢٠ — ١٤ ، ٢٥ — ٨ : فهوالمهتد : و (من يضلل الله ، ٩ : ١٨ — ١٧ ، و ٧ — ١٨٦ ، ٣١ — ١٤ : ٤ — ١٦٦ ، ٣٢ — ١١ : و (يريد الله ، ٢٠ : قد سمع الله ، ٣٩ — ١٨ : ٧ — ١٨٨ ، ٤٦ — ١٠ : نقيم لهم ، ١٧ : هذه ، ٢١ : له ميزان ، ٤٧ — ١ : ٢١ — ٢٨ ، ٥١ — ٢٣ : ٤٩ — ١٤ ، ٥٢ — ١ : لا ايمان ، ٥٤ — ١٥ : فسارع ، ٥٨ — ٩ : قرنى ، ٥٩ — ١٧ : مافى صدورهم ، ٦٢ — ١٠ : أن تقول ٦٤ — ٧ : ٢٧ — ٢٣ ، ٢١ : ٢١ — ٢ ، ٦٦ — ٤ : حتى يتبين ٧٠ — ٧ : الأرض ٧١ — ٦ : ٥ — ٦٧ ، ٨ : ٢٢ — ٥٢ ، ٧٥ — ١٤ : قراءته ، ٨٠ — ٣ : نهدى ، ١٤ : إذ سمعت ، ٨٣ — ٨ : ٩ — ٨٦ ، ٦ — ٢٤ : لان قراءة ، ٩٠ — ٣ : تبارك الله ١٠٠ — ١٨ : فاتى الله بنيانهم ، ١٠٩ — ٢٠ : تجرى من ، ١١٤ — ٨ : اولا لا ، ١١٦ — ٤ : الوحى ، ١١٨ — ١٤ : بين ١٢١ — ١٢ : وجوه عدة ، ١٢٦ — ٢٠ : يكون ، ١٢٧ — ٢٠ : تعملون ١٣٠ — ١٥ : ٦٧ — ١٤ ، ١٣١ — ٧ : فاحلق ، ١٩ : بما كانوا ، ٢٠ : نمنع ، ١٣٩ — ٩ : الاقذار ١٤٣ — ١٨ : ويبادر ، ١٥٣ — ١٩ : عمل مرتضى ، ١٥٨ — ١٣ : ابدبه ، ١٤ : ابد وايضا ، ١٥٩ — ١٣ : تبت اليك ، ١٦٠ — ١٣ : ولولم ، ١٦٣ — ١٧ : ومن ، ١٦٤ — ١٢ : لقد قف ١٦٩ — ١٢ : تناقصت ، ١٧٥ — ١٧ : يثاب .

DATE DUE

OFFIC. JUN 5 1985

OFFIC. DEC 22 1985

ISWCS FEB 15 1990

MAY 29 1992 MAY 27 RECD

SEP 30 1992

SEP 29 RECD

FEB 15 1993

JAN 07 RECD

201-6503

Printed in USA

0111849258
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0111849258
BUTLER STACKS

BP
166
.B27

BOUND
JUL 26 1956

DEC 8 1975

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55319211
BP166 .B27 al-Insaf fima yajibu